مفاهيم إسلامية

الماركسية والغزو الفكري

الطبعة الثانية

محمد جلال كشك

الناشر
الدار القومية للطباعة والنشر
القاهرة

الماركسية

والغزو الفكري

إهـــــــداء ٢٠٠٧

الأستاذ الدكتور / قدري محمود حفني

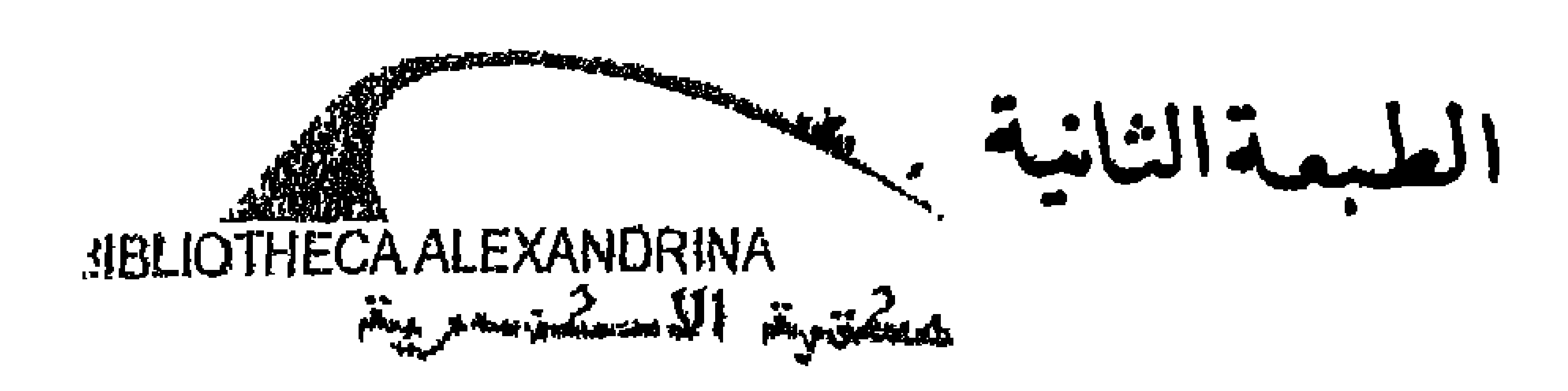
جمهورية مصر العربية

مفاهيم إسلامية

الماركسية
والغزو الفكري

محمد جلال كشك

الطبعة الثانية



BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

خطبة الطبعة الثانية

الحمد لله ...

ها نحن نصدر الطبعة الثانية من كتاب نفدت نسخه دون كلمة نقد واحدة فى أية صحيفة مصرية ... وان كان اخواننا العرب حياهم الله قد تقبلوه فى احتفاء ولم يبخلوا عليه فى صحفهم بالنقد والاشارة ...

وقد حاولت أن أعلن عنه فى احدى صحفنا بالأجر...ففسخت ادارة الصحيفة ما تعاقد عليه مندوبها الذى ما خطر بباله أن العداوة يمكن أن تصل الى حد رفض الاعلان بالأجر،وهو يتعاقد مع سفارات الشرق والغرب ويعلن عن سلاطين ويحرر اعلانات فى المآتم والأفراح ... حتى نصل الى كتابى فتبلغ العصبية حد القول « ارفع قضية وسندفع مليون جنيه ولكن لن نعلن عن كتاب لجلال كشك » .

الحمد لله ... ربحت تجارتنا وما بارت بضاعتنا وانا الفائزون فى الدنيا والآخرة ان شاء الله .

ويوم خرجنا على الناس بحديث الماركسية والغزو الفكرى ... كان حديثا عجبا ، تقبلوه بالدهشة والاستغراب ، كانوا مازالوا يعيشون فى أوهام المادية الجدلية ، وفى نوبة الانتهازية التى انتابتهم عندما ظنوا أن الريح تهب من الناحية اياها

والحمد لله ... ان كل ما يكتب الآن عن النزاع الصينى الروسى قد أوردناه فى كتابنا هذا ...

والحمد لله أن التسليم قد تم بأولوية القومية على الأممية وخرافة الدولية ... وان شبرا واحدا من أرض الوطن أعز من كل نظريات العالم ... بل لقد قهرتهم عظمة الاسلام ، وها هى المقالات تترى فى الكشف عن خصائصه الثورية ، بل واكتشفوا لنا كاتبا يهوديا (خواجه) أعلن أن للاسلام طابعا اشتراكيا ... والمدح لا ينقطع فى ابن خلدون وابن حنبل ودعنا من أبى ذر فهو صديق قديم رضى الله عنه وعافاه من حبهم .

وكما كانوا يتسابقون على الماركسية عند صدور الطبعة الأولى اذ بهم يتسابقون على الافتاء فى الاسلام عند صدور الطبعة الثانية .

الحمد لله .. فمنهم نعرف اتجاه الريح ..

أما نحن فما بدلنا وما غيرنا ، نؤمن بديننا ، نؤمن بالاسلام خاتم الأديان وأعظم حضارة عرفتها البشرية والحل الأمثل لجميع مشاكلها ومتاعبها .

ونؤمن بالعـروبة ... قلب الاسـلام النابض عزه من عزها ... ما أبغضها الا كافر .

نؤمن بمصر قلب العـروبة ... لا عزة للعـرب الا بعـزها ... ما أرادها أحد بسوء الا كبه الله على وجهه .

نؤمن بأن اسلامنا أكبر من الاشتراكية ... وأن عروبتنا فوق الأممية ، وفوق الانحياز للغرب أو الشرق .

نؤمن بأن مصر لا تكون الا رأسا،وأن كل محاولة لتوجيهها روحيا من خارجها ، مصيرها فشل محزن .

الحمد لله ...

نفدت الطبعة الأولى ... وها هى الطبعة الثانية،ما زدت فيها الا ما جرى به القلم هنا أو هناك ... فلو شئت أن أقول كل شىء لاحتجت لكتاب جديد .

ولعلى فى هذه السطور أن أشكر الذين وقفوا معى أيام كنت أحوج ما أكون فيها للمسة حب وشدة على اليد ... ولكم أحاطنى الأصدقاء الكبار والصغار بالحب والحنان .. بل والمساعدة ..

فالى هؤلاء جميعا .. أهدى حديثى هذا .. لعلى أكون عند حسن ظنهم ...

محمد جلال كشك

٣ بهجت على ــ الزمالك

المحرم ١٣٨٦

مايو ١٩٦٦

خطبة الكتاب

الحمد لله ..

على غير مكروه نحمده هذه المرة ! بل على نعمة من أجل نعمه .. وهل أجل وأعظم من أن تسمع الصيحة ، وتنبت البذرة ، وتلقى الدعوة قلوبا مؤمنة ؟

لم تكن أكثر من صيحة أردت أن أطلقها ، وفى خاطرى ، وصف « الكواكبى » لكتابه الخالد ، بأنه : كلمة حق .. وصيحة فى واد .. الخ ..

وما كان يخطر ببالى أن الكلمة ستلقى كل هذه القلوب المتفتحة ، وأن الحبة ستنبت كل هذه السنابل ! .

فما كاد يخرج كتاب « الغزو الفكرى » حتى أحدث من الأثر ما فاق كل أحلامى وتصوراتى .. وما زلت حتى الآن أقلب الكتاب متسائلا .. « ماذا فيه .. لتنفد نسخه خلال ثلاثة شهور ، وبرغم جهودنا ! » .. فلا أجد الجواب الا فى كلمة واحدة : « الصدق » ..

أثار نقاشا وتعليقا فى كل بلد عربى .. حتى جماعة « اقتله بالصمت » كان الانفعال يدفعهم الى بعض الغمغمات المسموعة التى تؤكد انه نال منهم . بل وأصبح اسم الكتاب شعارا فى مؤتمرات أدبية وبحوث فكرية ..

وجاء صليبيون من روما وباريس ، يتساءلون عن مؤلفه .. وتلقى الناشر الصديق العزيز (اسماعيل عبيد) طلبات يخطىء أكثرها فى اسم المؤلف ولا تخطىء اسم الكتاب .. وليس أعظم من أن يصبح الكتاب أشهر من مؤلفه .. وأن يعرفه الناس لحق قاله .. كذلك فما أحب الى قلبى من ذلك النقد الذى وجه للكتاب ، بأنه جاء مختصرا ولو أطال لأشبع وأمتع .

نعم ..

خير ألف مرة أن يقال للمتحدث : هل من مزيد ؟ من أن يقال له : هون عليك ! بعض ما قلت كان يكفى ..

وعذرى للذين أرادوا المزيد ، اننى أردته أن يكون الصيحة التى يتجمع لها العقلاء ، فيناقشون ويتدبرون .. وأحسبنى لا أذهب بعيدا فى تفاؤلى ، لو قلت أنهم فعلوا .. وسنرى ، بغير شك ، من علماء الاسلام وشباب العروبة ، صفحات أوضح ، وبحوثا أعمق ، وأعمالا أنضج .. سيكون لى الشرف ، أن أتعلم منها ..

وكان على العبد الفقير ، ولا أقول « الحقير » ، كما كان

« الجبرتى » فخر أمتنا يصف نفسه فى كتابه .. فتلك مرتبة من التواضع ، لم نصل اليها ، ولا نطمع فيما يقابلها من جزاء الخلود الذى ناله ..

أقول ، كان على العبد الفقير أن يعيد طبع كتاب « الغزو الفكرى » لولا أن جدت أحداث تستدعى أن يبادر المرء الى تغييرها بغير أضعف الايمان ولا أقواه .. وهل نملك الا اللسان والقلم ؟

وبمشيئة الله،ستكون هناك طبعة ثانية من«الغزوالفكرى»[1] سأتناول فيها ما تفضل به النقاد من توجيهات أعتز بها .. ولكنى أحب هنا أن أقف عند تعليق واحد .. قاله الأستاذ « أنيس منصور » فى صحيفة الأخبار .. وكان هو أول من علق على الكتاب .. قائلا : « الغزو الفكرى الذى لا أراه » .. وأحسب أنه قد رآه الآن .. بحواسه الخمس ..

فطوبى للذى آمن ولم ير .. !

وأظن أننا يجب أن نقول شيئا عن هذا الكتاب .. والمفروض أن حديثنا هذا ، مقدمة .. وقد اخترت أن أسميها «خطبة الكتاب» فذلك من تراثنا .. ولكنى أكره أن أفشى سر الكتاب قبل أن تحكيه صفحاته ولأنه كتاب جاف .. فلست أحب أن أثقل عليك أيضا فى هذه السطور .. ومن ثم فلن أقول عنه شيئا ..

---

(١) صدرت الطبعة الثانية ..

أما هذه الصفحات الست التى تنشرها بالزنكوغراف .. فلأنى « أمرؤ فيه دعابة » .. آثرت أن أعرفك بعلاقتى بالماركسية من خلال مقال سبتنى فيه « البرافدا » فأقذعت .

« والبرافدا » ــ كما أنت تعلم ــ هى الصحيفة الرسمية للحزب الشيوعى السوفيتى . وتاريخ هذا الحوار هو ١٩ يوليو ١٩٦٢ (وردى عليه فى روز اليوسف فى ٣٠ يوليو ١٩٦٢)وكاتبه من الجانب الروسى هو « فيكتور مايفسكى » .. وكان وقتها نائبا لرئيس التحرير .. ولا يزال يكتب فى البرافدا ، بعد اعفاء خرشوف ، وأرجو له كل خير .. فقد أسعدنى حقا أن تسبنى جريدة محترمة « كالبرافدا » .

وباختصار شديد .. حتى لا أعوقك عن اقتحام الكتاب .. أقول لك رأيى :

اننى أعتقد أننا نعيش الحرب الصليبية الثالثة .. وكانت الأولى هى تلك التى دعا اليها البابا أربان الثانى فى نوفمبر ١٠٩٥ .. والثانية بدأت بنزول نابليون فى الاسكندرية فى يوليو ١٧٩٨ .. أما الثالثة فيصعب تحديد بدايتها لأنها لا تعتمد على الحملات العسكرية .. حتى نؤرخ لها بيوم الغزو .. بل أن مدفعيتها الثقيلة هى الغزو الفكرى .. وهى عملية معقدة ومستترة .. تتسلل على نحو يصعب تماما ، تحديد بدايته .. بل ربما تمتد بجذورها الى الحرب الصليبية الأولى ..

وفى مواجهتها ليس لنا من سلاح الا ديننا ..

واعتزازنا بحضارتنا ليس ردة ، ولا حنينا للماضى .. بل لأننا وقد لمسنا قبسا من ضياء هذه الحضارة .. يعز علينا أن نكون كأولئك البؤساء الذين رآهم الرسول فى حديث الاسراء والمعراج يأكلون لحما نتنا ويصدفون عن اللحم الطيب .

مايو ١٩٦٦ جلال كشك

• •
• •

٢١ /٧/ تاس / ٢٠٧ ـ ١

موسكو ـ ٢١ يوليو ـ تاس : بناء على طلبكم ، فيما يلى النص الكامل لمقالة فيكتور مايفسكى : " محادثات فى القاهـرة " المنشورة فى " البرافدا " فى التاسع عشر من يوليو ...

" ان المؤتمر الوطنى للقوى الشعبيه على وشك الانعقاد وكان المفروض أن يفتتح فى منتصف ابريل ، ثم فى أوائل مايو ولكنه كان يؤجل فى كل مرة . وقد انتهى اعداد مشروعيثا فى العمل الوطنى . ماذا سيقول ؟ ليس ثمة من يعرف . ولكـن الطبقات المختلفه تتخذ مواقف متباينه ازاء الميثاق المقبل .

وبالصدفه قابلنا رأسمالى مصرى ، اممت مشروعاته ، هز كتفيه وقال فى استياء :

" ما أريده هو الوضوح ... اذا كنا نبنى الاشتراكية ... فلماذا تبقى كل هذه الرأسماليه عندنا ؟ واذا كنا نبنى رأسماليه فلماذا كل هذه التأميمات ، وهذا الحديث عن الاشتراكية ... أريد ان اعرف بوضوح ما الذى نبنيـــه ؟

وتحدثنا مع عمال ... حدثونا عن آمالهم للمستقبـــل ، عن رغبتهم فى أن يروا فى الميثاق الوطنى ضمانات ضد البطالة ، وضد الاستغلال ، ضمانات من اجل الحريات الديمقراطيـــة وتوسيعا للحقوق النقابيه ، وسبيلا لرفع مستوى معيشتهم .

وأخبرنا وزير العمل ، السيد كمال الدين رفعت ، بصراحة :
أن وضع العمال فى القطاع الخاص ، صعب جدا ، وخاصـــة
فى المشروعات الصغيرة • ان يوم العمل يتراوح مابين ١٢ و ١٤
ساعة • العمال ينالون أجورا ضعيفة ، ويضطهدهم اصحـــاب
العمل • نحن نحاول اتخاذ اجراءات لتحسين وضعهم ولكـــن
ذلك ليس سهـــلا •

اما فى القطاع الاشتراكى ، فالوضع افضل ، اذ بموجـــب
قانون عام صدر العام الماضى ، ينفق ٢٥ ٪ من الارباح علـــى
احتياجات العمال •

ولكن اى نظام تنهجون ؟ سألنا الوزير ••• فأجاب وهـــو
يبتسم " سيخبركم الرئيس نفسه بأفضل مما استطيع "

واستقبلنا الرئيس جمال عبد الناصر فى مقره بهيليوبليـــس
من ضواحى العاصمه ، حيث جرت محادثه استغرقت ساعتيـــن •
وحدثنا جمال عبد الناصر عن خصائص الثورة المصريه ، والاصلاحات
الجاريه فى ج • ع • م • قال الرئيس : " كان لنين يقـــول
أنه بالاساليب الثوريه وحدها يمكن انتزاع السلطة من البورجوازية
••• ونحن ايضا انتزعنا السلطة باساليب ثوريه ••• ولكننـــا
نريد ان نبنى الاشتراكيه بوسائل سلميه •

ان تصورنا للاشتراكيه يختلف عن تصوركم •• والخلافـــات
الاساسيه بين ثورتنا وثورتكم ، أنه وفقا لما كتبه ماركس ولنيـــن

تعتبرون ديكتاتورية البروليتاريا قضية حيويه ، بينما نرى نحن ان

ديكتاتورية البروليتاريا يمكن الاستغناء عنها ... نحن ضد

ديكتاتورية أى جانب على الجانب الاخر .

ان تطور الثورة فى بلادنا قد سلك طريقا خاصا . لم يكن

لدينا تنظيم سياسى . ولا حزب يمكن ان تتجسد فيه اهدافنا .

كانت فى البلاد احزاب ، ولكنها خدمت مصالح الرأسماليين

والاقطاعيين .

ولقد حاولنا خلق تنظيم سياسى يوحد الشعب كله ، ويتعاون

بداخله ممثلوا مختلف قطاعات المجتمع على أسس التعايش السلمى .

ولم يطل بنا الوقت ، حتى تبينا ان الرجعيه ترفض التعاون ،

وأنها تريد الاطاحة بنا . وقررنا ان نبعد الرجعيين من التنظيم

السياسى . ونحن نقر بوجود الصراع الطبقى ونؤيد الصراع

ضد الرأسماليين والاقطاعيين .

ان ما نريده ، هو تحقيق العداله ، ازالة سلطة الاقطاعيين

والرأسماليين . وخلق مجتمع يخدم مصالح الجميع ، ولا يقوم

على الاستغلال .

وبعد أن اكد الرئيس مرة اخرى ، ان الخلاف الاساسى بين

الاشتراكية السوفيتيه ، والاشتراكيه المصريه هى ديكتاتورية

البروليتاريا ، انتقل الرئيس لنقطة خلاف هامة اخرى .. وهى

الموقف من الدين ٠٠ وعلى اساس ان كل الانبياء ، محمـــد والمسيح والاخرين ظهروا فى الشرق الاوسط ٠

أعلن الرئيس ان الاسلام دين اشتراكى ، وفى نفس الوقت اشار الى الدور الرجعى الذى لعبه جانب معين من رجـــال الدين ، وأكد ضرورة نشر التعليم ٠ وعلى أية حال فقد اشـــار الرئيس اكثر من مرة الى انه لا تعارض بين الدين والتعليم ٠

وفى نهاية حديثنا أشار الرئيس الى العلاقات بين ج ٠ ع ٠ م والاتحاد السوفيتى ٠٠٠ قال الرئيس " اننا نحتاج الى فهــم متبادل اكثر ٠٠٠ وليس هذا بالامر الهين ، اذا ماراعينا اختلاف نظرتنا لعدد من القضايا ٠

نحن نحتاج الى تعاون اقتصادى اكبر ، وتبادل تجــارى اكبر مع الاتحاد السوفيتى ٠ اننى احب الشعب السوفيتى ، ولـن انسى الرقة والمشاعر الطيبه التى لمستها فى زيارتى للاتحـــاد السوفيتى ، لقد تحدثت عن ذلك للجميع ٠٠٠ ان الاتحـــاد السوفيتى يقف من اجل السلام وتطوير بلاده ٠ انه لن يبـــدأ الحرب أبدا ، وسيناضل دائما من اجل السعادة ، والرخـــاء والسلم ٠

والميثاق يحتوى على الدعوى المذكورة عن الاساس الدينى " للاشتراكية العربية " ويؤكد الحاجة لتذويب الفـــوارق بين الطبقات " سلميا " ٠٠٠ وحماية الملكية الخاصه ٠

وهكذا فان الميثاق لا يعكس التطورات التى انجزت فى ج ٠ ع ٠ م بعد الثورة فحسب ، بل ويعكس أيضا التناقضات الموجودة فى التطور الاجتماعى لهذه البلاد ٠

وستثبت الحياة ما الذى سيعطيه الميثاق لشعب ج ٠ ع ٠ م فالمرء لا يملك الا الموافقه على ما جاء بالميثاق من أن : " الجهود المتواصله هى وحدها القادرة على الوصول الى الاحلام ،وليس من حق احد فى هذه المرحلة ان يخدع الجماهير بالنفس ان التقدم الوطنى لا تحققه كلمات محفوظه عاليه الرنين ٠

ولسوء الحظ ـ كما يجب ان نلاحظ ـ ان هذه النقطة لم يلتزم بها بعض الصحفيين فى الجمهورية العربيه المتحدة ٠ لقد بدأوا خداع الجماهير " فى هذه المرحلة " كما فعلوا من قبل ٠

وامامى الان سلسلة مقالات للمدعو جلال كشك من مجلة روز اليوسف ٠٠٠ ومن الصعب القول ما الذى يشيع فيها ٠٠٠٠ الجهل ام الحقد ؟

ان الكاتب يهاجم تعاليم الماركسيه ـ اللنينية ٠ ثم يصرخ : " ان اشتراكيتنا تشكل تحديا سياسيا وفلسفيا للماركسية" ويهاجم ديكتاتورية البروليتاريا ٠٠٠ ويدافع عن الملكية الرأسماليه الخاصه ٠٠٠ واهانات طائشه للشعب السوفيتى ٠ وانجازاته العظيمة التى عبدت الطريق لنجاح حركة التحرر الوطنى فى آسيا

وافريقيا ، وأمريكا اللاتينيه • وجلال كشك يدعى الاصالـــه في هجومه على تعاليم الاشتراكية والاتحاد السوفيتي • ولكنــه في الحقيقه يردد الكليشيهات المحفوظه المنحطه للدعايـــه البورجوازية المعاديه للشيوعية •

ان اكثر الصحف والمجلات الرجعيه ••• الامريكه والبريطانيه والفرنسيه ستنشر مسرورة مقالاته •

ان في " الميثاق " فقرة تقول : ــ " يجب الا ننس ان الرجعيه لم تتم تصفيتها بعد " • والمقالات المنشورة فـــي " روز اليوسف " تبين مرة اخرى كيف يعمل الرجعيون الذيـــن يحاولون خداع الشعب المصرى بادعاء دفاعهم عن الميثاق الجديد وفي الحقيقه يدعمون مراكز الاستعمار •

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

اشتراكيتنا اشتراكية علميـــة .. قائمة على العلم وليست قائمة على الفوضى .. ليست أبدا اشتراكية مادية .. لم نقل ان اشتراكيتنا مادية ولا قلنا ان اشتراكيتنا ماركسية ..

جمال عبد الناصر

قد يبدو غريبا أن نسلك الماركسية فى طابور الغزو الفكرى ، وأن نعدها ضمن أسلحة هذا الغزو،مع أن الماركسية ، كما يشاع عنها ، حركة سياسية معادية للغرب ، ودعوة مادية ترفض الأديان .. ومذهب « أممى » لا يعترف بالحدود ولا بالقوميات ..

ونحن نعرف الغزو الفكرى بأنه سلاح الغرب فى الحرب الصليبية الثالثة بين الغرب الصليبى والشرق الاسلامى .. فكيف نقول أن الماركسية ، وهى كما وصفنا ، ضرب من الغزو الفكرى ؟!

تلك هى القضية التى نثيرها .. وعسى أن ننجح فى اقامة الدليل عليها بادئين بتحديد ما نعنيه بالغزو الفكرى :

الغزو الفكرى ، هو معركتنا الحاضرة فى الحرب الأبدية التى يجابهنا بها العداء الصليبى ، منذ أن خرجت الدعوة الاسلامية من جزيرة العرب تطلق صيحة التوحيد فتهز أركان الشرك ، وتنادى بأن للكون سيدا واحدا ، هو الله ، الأحد ، الصمد .. والناس بعد ذلك سواسية لا ميزة لجنس ، ولا لون ، ولا عنصرية ، ولا طبقية ..

وبذلك وضعت حضارتنا القائمة على التوحيد المطلق ، الأساس الحقيقى لتحرير الانسان ، ومساواته .. فعندما يصبح الشرك هو أكبر الكبائر ، وتنتفى شبهة الألوهية أو مرتبة ما فوق

البشرية عن أى انسان .. كائنا من كان .. عندئذ تتحطم أسطورة ظل الله على الأرض ، حتى أن عمر يوصى بقتل الخليفة المنحرف ، فيراجعه « طلحة » :

ــ « وما عليك لو قلت : ان تعوج عزلوه ! » .

فيرد أمير المؤمنين عمر :

ــ « لا .. القتل أنكل لمن بعده ! » .

وبعد عمر بألف سنة يؤلف الفلاسفة الانجليز فى طاعة الملك الظالم ! .

ولأننا قد سلمنا بألوهية الله وحده .. وبشرية الناس كافة فان لغتنا العربية لا تعرف لفظا يعطى معنى الارستوقراطية فنضطر الى استعارة اللفظ الأجنبى .

ونحكم الدنيا ألف عام .. ولا نعرف الألقــاب .. وما سمى الخليفة « أمير المؤمنين » الا استثقالا لقولهم : خليفة خليفة رسول الله .. والامارة عندهم تعنى القيادة فالحديث يطالبهم بأن يؤمروا ولو على ثلاثة ..

والسيادة فى حضــارتنا لا تورث ولا ترتبط بالثراء .. فأم معــاوية حين ولدته ، لم تقل هذا ابن أبى ســفيان ، ومن ثم ، فسيسود العرب .. بل قالت : « ان ابنى هذا كبير الرأس .. وهو خليق بأن يسود قومه » ..

قال أبو سفيان : « ثكلته أمه ان لم يسد العرب قاطبة » ..

وعندما يؤرخ المسلمون لمشاهيرهم : تراهم يقولون : « وكان سيدا فى قومه » فهذه السيادة نتيجة منطقية لثراء الشخص أو مركزه العائلى ..

ونظام الميراث الاسلامى ، الرائع ، قد قضى على أى احتمال لتوارث الثروة واحتكارها .. وهى السبيل الى توارث الامتيازات الطبقية ..

وحضارتنا هى التى قالت : « سلمان منا أهل البيت » ..

وسلمان عبد فارسى ، وقائلها هو رسول الله ، وبيته أشرف بيت فى العرب .. والعرب هم الذين ـ قبل قولته هذه صلى الله عليه وسلم بسنوات معدودة ـ قاتلوا الفرس فى حرب ذى قار .. لأن كسرى كان قد طلب الزواج من ابنة عامله النعمان بن المنذر .. فرفض النعمان أنفة واحتقارا للأعجمى الذى كان يلقب بملك الملوك .. !

واستدعاه كسرى الى العاصمة ، وهناك طرحه تحت أقدام الفيلة ، ولكن القبائل العربية منعت ابنة النعمان أن يتزوجها ملك العجم .. لأنه لا يليق ! .

وكانت الحرب ..

عامل كسرى يرفض أن يزوج ابنته .. لأن كسرى أعجمى وابنة

النعمان عربية .. ويغضب العرب لغضبة النعمان ، ويقرون رفضه مصاهرة بيت ملك العجم ! .

وهم بعينهم .. العرب .. الذين علمهم الرسـول ، أن العبد الأعجمى سـلمان .. باسـلامه .. قد انتمى الى أشرف بيت فى العرب ! .

هذا هو الانقلاب الثورى .. وهذه هى الثورة التى لا تعرف فى المبادىء مداهنة .. ولا مساومة ..

أستغفر الله ..

بل هذا هو التغيير الذى لا يقوى على احداثه الا رسـالة السماء .. فكم من ثورات تحدثت عن المسـاواة ، بل وفرضتها بقوة القانون .. ولكنها لم تستطع أن تتغلغل الى القلوب ، وتنفذ الى الضمائر ..

ولعل أقرب الثورات عهدا ، وأحراها بالمساواة ، هى الثورة الشيوعية ، التى تنفى العصبية الدينية ، وتعلن استبعاد القومية كعامل تفرقة بين الناس .. فما الذى حققته ؟

اعتدنا منذ استقلال أفريقيا أن نرى فى مكاتب الاستعلامات الشيوعية صور تقليدية ، لشقراء كقطعة القشدة ، تحتضن فى أخوة ، زميلا زنجيا .. والبشر والفرحة يعلوان وجههما .. وتحت الصورة ما يليق من التعليقات ، ولعنات مناسبة على دعاة العنصرية والتفرقة بسبب اللون أو الجنس أو العرق .. الخ ..

ولكن ..

تدافع الطلبـة الزنوج الى الدول الشيوعية ، وفتحت لهم الجامعات ، بل وأنشئت لهم جامعات خاصة .. لا عن تفرقة بل من فرط الاهتمام ..

فلما أحب الزنجى الشقراء .. وأحبته .. وجدوا جثته على الجليد ..

ولما تظاهر الطلبة الافريقيون احتجاجا .. صاح فيهم الطلبة الشيوعيون : عودوا الى الغابة أيها القردة ! .

وحكاية أخرى :

« عندما أقمت [1] فى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٥٨ كنت أعيش بالمستشفيات أو أتردد عليها ، وكانت تجرى لى كل ثلاثـة أيام عملية بذل بالجيب الأنفى ولذلك كانت مناديلى ملوثة دوما بالدم ، وكنت آخذها هى وبقية ملابسى الى مغسلة حكومية رخيصة لأن غسلها بالفنادق باهظ التكلفة ومع الزمن نشأت بينى وبين عاملة المغسلة العجوز ـ ولا يضعون سوى العجائز فى مثل هذه الأعمال ـ علاقة فيها اعزاز كبير رغم قبحها غير المعقول الذى كان يغطيه حنانها ..»

وذهلت عندما اكتشفت مع تحسن لغتى التشيكوسلوفاكية بعد أربعة أشـهر ، أنها كانت تظننى ، مـع كل ملامحى الشرقية

---

(١) المرحوم وسيم خالد : الاشتراكية .. الشيوعية .. الاوروبية ص ٦٣.

الأصلية ، طيلة هذه المدة ، رجلا انجليزيا ، لمجـرد انني أتـكلم الانجليزية وأدخن سجائر أمريكية كانت تفرح بأن تأخذ بعضها لابنها ! واندفعت أصحح لها خطأها وأخبرها فى طيبة قلب ، بأننى مصرى ولست انجليزيا !

وسألتنى مستنكرة :

ــ « أنت مصرى ولست انجليزيا ؟! »

وأجبتها « اننى أفتخر بأننى مصرى ولست انجليزيا . »
وفى سكون أعادت وضع الغسيل فى شنطتى وهى تتـأفف عندما تمسك مناديلى من أطرافها كما لو كانت شيئا نجسا وقالت:

ــ هذه مناديل قذرة مليئة بالدماء لا يمكن غسلها !..
وأجبتها فى ضحكة باردة اننى صحفى واننى سـأذهب فى الحال الى وزارة الخارجية لأخبرهم بامتناعها عن تسلم ملابسى بعد أربعة أشهر لمجرد أنها عرفت أننى مصرى ولست انجليزيا !

وفى نفس التقزز أعادت فتح شنطتى وتسلمت الغسيل مرة أخرى وأعطتنى ايصالا دون أن تنطق بكلمة واحدة . »

هذه الحيزبون التى يحكى عنها ، لم تفلح عشر سنوات من الحكم الشيوعى فى استئصال داء التفرقة العنصرية من نخاعها ..

الايمان بالمساواة لا يمكن أن ينبعث من مجرد الايمان بوحدة

المصالح فأنا وكلبى متفقة مصالحنا ضد الذئب •• ولا مجـال لتناقضات بيننا ، وأيضا لا مجال للمساواة ..

والشرطة تستطيع أن تجبر هذه العجوز التشـيكية على أن تسلك فى تصرفاتها ، بما يتفق وقوانين المساواة .. ولـكن أن تنبعث هذه المساواة من القلب .. فذلك يحتاج أولا الى ايمـان بالوحدانية .. بأن الله هو الأحد الصمد .. ثم بأن « كلكم لآدم وآدم من تراب » ..

ولا سبيل للقول بأنها عجوز لم تفلح فيها تربية عشر سنوات من الحكم الشيوعى ، حيث أجهزة الدعاية وأساليبها قد وصلت الى مدى لا تعرفه البشرية من قبل .

دعوة الاسلام جعلت عمر بن الخطاب يتغير من جاهلى يدفن ابنته حية وهى تنفض التراب عن لحيته .. الى عمر بن الخطاب الذى يرتعد ويبكى هلعا عندما يسمع طفلا رضيعا يبكى لأن أمه تجبره على الفطام حتى يسجل فى كشوف المرتبات .. ويبيت عمر يبكى ويعـاتب نفسـه « ويلك يا عمر ! .. كم قتلت من أولاد المسلمين » ..

وعنـد الصباح يأمر بصرف المرتبات لكل من ولد .. حتى لا يحرم رضيع من ثدى أمه ..

تلك هى تعاليم ديننا .. ما زالت حتى القرن العشرين ، تتحدى

الحضارة الغربية الصليبية (١) .. فلا شك أن الصدمة كانت مروعة وذلك الغرب غارق فى جهالات قرونه الوسطى ..

ولم يقتصر الأمر على هذا التفوق الحضارى والفكرى ، بل شاءت ارادة الله أن ينتشر الاسلام ، وأن يتمركز العرب المسلمون بالذات فى تلك الرقعة من الأرض التى يمكن تسميتها ببوابة آسيا وأفريقيا ..

« منذ أن جمع « محمد » أنصاره الأولين فى مطلع القرن السابع وبدأ أول خطوات الانتشار العربى ، أصبح على العالم الغربى أن يحسب حساب الاسلام كقوة دائمة وصلبة تواجهه عبر البحر الأبيض .. ان قوى الغرب المسيحية كانت تواجه العالم العربى على مدى ١٣٠٠ سنة فى نهضته وانهياره (٢) .

شاءت اردة الله أن يجعلنا نحن حراس هذه البوابة .. لابد لمن أراد الوصول الى آسيا وأفريقيا أن يمر بالعرب .. وأن تفتح له الأبواب .. أن يقول كلمة السر لحراسها ليسمحوا له بالمرور ..

وقد تعلمنا من عبرة التاريخ ، أن الغرب الصليبى لا يمر من هذه البوابة الا غازيا .. سارقا .. ناهبا .

---

(١) من حقنا ان نسجل بكل اعزاز ان وثيقة حقوق الانسان المعلنة فى ديسمبر ١٩٤٨ لم تسجل حرفا واحدا يمكن اعتباره متفوقا على تعاليم الاسلام .. بل يستطيع الباحث المنصف ان يرجع كل مفاهيمها الانسانية الى المبادىء الاسلامية.

(٢) من مقدمة كتاب « العرب » لانطونى ناتنج » لندن ١٩٦٤ .

لذا كان علينا أن نصده .. وكان على الغزاة أن يقتحموا البوابة بقتل حراسها أو أسرهم أو استرقاقهم .

ومن هنا ولد العداء الأبدى بين الغرب الصليبى[1] والشرق الاسلامى والعرب بالذات ..

ونحن لا نتجنى .. ولا نتصور أشباحا .. ولن يفزعنا قولهم : سلفيون متعصبون ! ..

لأن الذين يتحدثون عن الحرب الأبدية بين الشرق والغرب.. بين المسيحية والاسلام هم كتاب الغرب .. لا نحن .. للأسف !

وما زال بعض مثقفينا يرى أن مما يشينه أن يتحدث عن الأديان ! أو يتعفف عن الاشارة الى الطابع الصليبى لعداء الغرب للعرب (٢) ..

---

(١) التعبير الشائع فى الكتابات الغربية هو « المسيحية الغربية » .. وهذا ما نعنيه باصطلاح الغرب الصليبى .

(٢) أو ينصح ناقد ، شاعرا ، بتثقيف نفسه ليعرف أن حرب الجزائر لم تكن حربا صليبية .. بل حرب خمارات لاجبار الجزائريين على زراعة العنب لصناعة النبيذ فى فرنسا !.

وماذا عن طابع البريد لمدينة الجزائر فى ظل الاحتلال الفرنسى وهو هلال منكسر .. وصليب منتصر يعلوه كما يروى أوزيجان ؟!

وماذا من اعلان « جى موليه (الاشتراكى) ورئيس وزراء فرنسا .. بأن الحركة الاسلامية التى تتسع - افريقيا هى التى تهدد الامبراطورية الفرنسية فى المغرب ، وكذلك أعلن جورج بيدو « انه يعز عليه أن ينتصر الهلال على الصليب » ويشهد الكاتبان الفرنسيان كوليت وفرانسيس جانسون ، أن الاحتلال الفرنسى للجزائر كان منذ البدء يحمل هذا المعنى من « الحروب الصليبية » (التبشير والاستعمار .

بينما نرى بأعيننا ونسـمع ما يفعله المبشرون فى جنـوب السودان (١) ، ونرى الفاتيكان تبعث بثمانمائة مبشر مرة واحدة، لافريقيا لمواجهة الزحف الاسلامى بعد الاستقلال .. وتكتشف بعد عشرين قرنا من مولد المسيح أنه من الممكن أن يكون الزنجى كاردينالا ! ..

وتغتبط صحيفة عربية لفتح كنيسـة فى مشيخة أبو ظبى ، وتثنى على شيخها شخبوط الذى يرفض فتح مدرسة واحدة .. ومع ثناء هذه الصحيفة التى ترفض أن يتحدث الناس فى بلادها باسم الاسلام لأن هذه طائفية ، ثم لا تخفى فرحتها بافتتاح كنيسة على بعد آلاف الأميال .. وفى أرض ليس فيها مسيحى واحد منذ ١٤ قرنا .. !

أقول مع ثناء الصحيفة تنطلق احدى وعشرون طلقـة مدفع من مدمرة بريطانية تحية للكنيسة .!

وفى نفس الأسبوع تبشرنا صحيفة أخرى ، أن اسبانيا وافقت لأول مرة منذ زوال الحكم العربى ، على فتح مسجد فى أسبانيا، بعد أن عاشت خمسة قرون يحرم فيها بناء مسجد (٢)..وهى التى كانت درة الاسلام ثمانية قرون ! ..

---

(١) ان الحكومة لم تكن غافلة فى يوم من الايام عن النشاط المعـادى لوحدة البلاد ، الذى ظل بعض الاجانب من المبشرين يقومون به فى جنوب السودان « من قرار الحكومة السودانية بابعاد المبشرين » .

(٢) ورفضت بريطانيا فتح مسجد ثان فى لنـدن .

خمسة قرون حكم أسبانيا ملوك وجمهوريون وفوضويون وشيوعيون وفاشست .. كاثوليك .. وديموقراطيون ، وملاحدة وكلهم رفضوا فتح المسجد !.

وللمثقفين الذين يخجلهم الحديث عن الطابع الدينى للصراع بين الحضارات .. أعيد كلمات كاتب مثقف جدا .. هو « الن مورهيد » مؤلف كتابى « النيل الأبيض » و « النيل الأزرق » . ماذا يقول « مورهيد » :

« كان لدى غوردون ما يقوله عن التناقض بين المسيحية والاسلام فى الشرق الأدنى(1) .

« منذ حملة نابليون لم تكن مصر تنتظر على يد المسيحيين الا الهزيمة والاذلال (2) » .

« بعد خلع اسماعيل والاعداد لاحتلال مصر كان السياسيون فى باريس ولندن يتحدثون عن مؤامرة اسلامية خطيرة وتيار محمدى متعصب .. »

ويبرر الاحتلال البريطانى قائلا : « خلال الأسبوع الأول من يونية ١٨٨١ كان المهيجون يجرون فى الشوارع صائحين : « يا مسلمين اذبحوا المسيحيين .. »

---

(1) منها مثلا « حتى فى الاسلام يمكن أن نجد بعض الفضائل ! » النيل الابيض ص ١٩٥.

(2) ص ٢٠٨

« ان العداء للمهدية فى أوربا كان عميقا جدا..كانت أوروبا تحس أن العقيدة المسيحية نفسها تواجه تحديا من هؤلاء القتلة المتعصبين فى السودان » .

« فى نهاية ١٨٨٣ كان يمكن القول بأن الصراع بين الاسلام والمسيحية قد وصل الى نتيجة مشرفة للطرفين ، فقد استولى الانجليز على مصر ولكنهم خسروا السودان » .

« لقد انتهت هذه القلاقل (ثورات عرابى والمهدى) — كما رأينا — بالهزيمة الساحقة للاسلام على ضفاف النيل .. ولكن ثبت أنها هزيمة مؤقته ليس الا .. ومنذ سنة ١٩٠٠ وهناك تقدم منتظم للاسلام فى شرق افريقيا ووسطها ، وفى الوقت الحاضر يكسب المسلمون مؤمنين جددا أكثر من المسيحيين .. لذا فما من رجل عاقل ، يغامر بالقول بأن ذلك هو نهاية الأمر . التناقض بين الدينين .. الشرق ضد الغرب .. يبدو كأنه جزء دائم من الواقع الأفريقى وهذا الصراع يمضى أحيانا تحت الأرض ، وأحيانا فوقها .. ولكنه مستمر ومحتوم كالنيل نفسه »(١)

هاهو كاتب أمريكى « مثقف جدا » يكتب عن الصراع الأبدى والمحتوم ، وقراء مثقفون فى أوروبا وأمريكا يقبلون على قراءة هذا التفسير حتى يروج المؤلف وتطبع كتبه فى جميع اللغات البيضاء فور صدورها !

---

(١) ص ٣٧٦ .

العـدو يرفع الصـليب .. ويؤرخ حروبه كانتصـــارات للصليبية على الاسلام .. ثم يطلب من الضحية أن ترفض التفسير الدينى !

وأيضا ..

مجلة « حوار » ..

نحن نتهمها أنها وهى تصدر عن المنظمة العالمية لحرية الثقافة، تصدر عن منظمة استعمارية ، معادية لحضارتنا ، معادية للاسلام والعروبة .

نقول ذلك فلا يصدقنا «المثقفون» [1]«التقدميون» ويصرون على الكتابة فيها ، ويغمرهم الأسى والأسف لتعصبنا وتخلفنا .. ويحذووننا من التخلف الفكرى لا الغزو الفكرى كما نزعم نحن !

وتأبى المجلة الا أن تفضحهم .. وهى مشكورة على صراحتها .. فى العدد الخامس [2] كتبت تحت عنوان : « بهذه القيم نؤمن » :

«صدرت فى أثينا فى الشهر الماضى مجلة جديدة باللغةاليونانية اسمها « ايبوك » وتربطها أوثق الروابط بالمجلات الأخرى التى تصدر عن المنظمة العالمية لحرية الثقافة [3] .. يحرر هذه المجلة

---

(١) الحمد لله »» أخيرا اعترف بالدور المعادى الذى تمارسه مجلة حوار فى الفكر العــربى . (ب) .

(ملاحظة : هذا الحرف «ب» اشارة الى الزيادات فى الطبعة الثانية .)

(٢) تموز ـ آب « يوليو ـ اغسطس » ١٩٦٣ .

(٣) ومنها مجلة حوار .

الروائى والكاتب المسرحى انجيلوس تيرزاكيس ، ومن أعضاء هيئة تحريرها جورج سفيرس أبرز شعراء اليونان الأحياء .. وقدوردت فى افتتاحية المجلة الراسمة لأهدافها ، المقاطع التالية : ان الحضارة الأوروبية المنبثقة عن التقاليد اليـونانية والرومانية والمسيحية ، ترتبط فى وعينا ببعض القيم وجماع هذه القيم يعطى صورة كاملة عن الانسان الذى كونته هذه الحضارة ..

اننا نصدر هذه المجلة ونحن نطمح الى اثارة هذه المعركة فى الضمائر وتحريك القوى الثقافية والروحية فى سبيل الدفاع عنها، مستمدين حيويتنا من الماضى والحاضر ومن الجيل الصاعد الذى يحمل رسالة فنية صافية »

هكذا قالت المجلة بالحرف الواحد .

اذن .. هذه مجلة تصدر فى بيروت « العـربية » تعلن على رؤوس الاشهاد انها تؤمن بقيم الحضارة الأوروبية ، المنبثقة عن التقاليد اليونانية والرومانية والمسيحية .

ان كان من حق هذه المجلة أن تؤمن بهذه القيم .. ألا يحق لنا نحن أن نغصب لحضـارتنا المنبثقة عن التقـاليد العـربية والاسلامية ؟

لماذا تستبعد حضارتنا نحن ؟.. لماذا لم تكلف هذه المجلة التى تنتمى للمنظمة العالمية لحرية الثقافة (يا للاسماء الكبيرة) لماذا لم

تكلف نفسها عناء الاشارة الى حضارتنا ، ولو بكلمة ؟ الا تستحق أن تضاف ولو كعامل ثانوى لمكونات قيم الانسان المعاصر ؟..

حضارتنا تستبعد .. وحديثنا عن العروبة عنصرية .. واشادتنا بالاسلام تخلف ؟!

ولو تحدثنا عن ماضينا .. فنحن سلفيون ، ننسج من خيوط ماضينا الشرنقة الذهبية .. وتظهر لنا « هوام » تعلن أنها تريد بناء « مستقبل يختلف عن ماضينا » ! .

أما مجلة « ايبوك » فتستمد حيويتها من ماضيها اليونانى والرومانى والمسيحى .. وتأتى « حوار » الصادرة فى بلد عربى .. ويحرر فيها عرب .. فتعلن على رؤوس الأشهاد : « بهذه القيم نؤمن » ..

ترى هل نؤمن نحن أيضا بهذه القيم .. الرومانية والمسيحية .. أم نؤمن بحضارتنا العربية والاسلامية ؟ !

اللهم فاشهد أننا لسنا المستضعفين فى الأرض ..

وتوينبى أيضا .. ماذا يقول :

« بالنسبة للمجال الاقتصادى تعتبر الجرأة الاقتصادية التى يتسم بها العالم الغربى المعـاصر ــ الى أبعد حد ــ أعظم تراث خلفته عقيدة دينية لحضارة انبثقت عنها (١) .. » .. « ان الأداة

---

(١) مختصر دراسة للتاريخ ج ٣ ص ١٥٦ .

العجيبة الجبارة للتكنولوجيا الغربية ما تزال تبدو كنتاج جانبى للرهبنة المسيحية الغربية » .

ويصف نفسه بأنه من « المؤمنين بأن الدين هو أهم ما فى الوجود » (١) « الدين احدى الملكات الضرورية للطبيعة البشرية ، وحسبنا القول بأن افتقار المرء للدين يدفعه الى حالة من اليأس الروحى تضطره الى التماس العزاء الدينى على موائد لا تملك منها شيئا » (٢) .

ويروى جيلاس عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى اليوغوسلافى سابقا :

« كان الجنرال كورنيف رئيس البعثة السوفيتية فى يوغوسلافيا يقص علينا دائما ، كيف أن أناسا كثيرين ، وبينهم مسئولون ، اعتبروا العودة الى الارثوذكسية ، خلال خطر داهم من الألمان عاملا روحيا ضروريا ، وكان الجنرال كورنيف يقول أنه لا مانع من انقاذ روسيا بواسطة الأرثوذكسية » (٣) .

أريد أن أقول أن الحضارة الغربية ما زالت عند صليبيتها ، وأن الدين عامل أساسى فى تكوين هذه الحضارة .. وحكاية نبذ الدين ، وعصر العلم ، والتفسير المادى .. كلها ليست الا خدعة

---

(١) ص ١٧٣ .
(٢) ص ١٧٩ .
(٣) محادثاتى مع ستالين ص ٤٧ .

من طراز الخدعة المنسوبة « لعمرو بن العاص » رضى الله عنه ، عندما دعا « أبا موسى الأشعرى » الى خلع صاحبه ليثبت هـــو صاحبه .. فهم يدعوننا الى خلع الاسلام ليثبتوا صليبيتهم .

أو كما قال شكيب أرسلان : « اذن قصة أن أوروبا أصبحت بلا دين .. وأن حكوماتها قد أنكرت المسيحية ، وأن علينا نحن من أجل الرقى أن نقطع علاقتنا بالاسلام،هذه المعلومات لم تصل الا الى أنقره فقط » (1)

(1) اعلام العرب ص ٢٩٦ عن الشورى ٨ مايو ١٩٢٩ .

هذا الصراع الأبدى بين الغــرب الصــليبى ، والشرق الاسلامى ، والعربى بالذات ، قد اتخذ صورا عديدة .. أولها الحرب الصليبية (١) .. عندما استطاع البابا « أربان الثانى » أن يثير صليبية أوروبا من أجل ابادة المسلمين .. فجاءوا الى الشام ، وخاضوا فى دماء المسلمين ، كما اعترفــوا فى زهو ، فى تقاريرهم .

« وبعد حصار دام تسعة أشهر اقتحموا أنطاكية .. ومن انطاكية انطلقوا الى فلسطين تاركين وراءهم جثث مائة ألف مسلم .. وخلال أسبوع كان يجرى ذبح النساء والأطفال والعجائز عســكريين ومدنيين .. عربا ويهود .. فى مذابح لم تفقها فى وحشيتها مذابح أخرى حتى جاء المغول »(٢)

ولكن الهجوم الصليبى انتهى بالفشل ، فقد أثار مقــاومة المسلمين ، وتدفقت دماء جديدة من شعوب مســلمة ، جــددت الحضارة ، ودافعت عن الاسلام بعد أن رقت الدماء العربية ، ووهن الساعد العربى .. فحمل اللواء الأكراد ثم الشراكسة .. ثم العثمانيون .. وذادوا عن الهلال .. بل طاردوا الغرب حتى أسوار فيينا .

وبمرارة تثير السخرية يلخص « رشتر » هزيمة الحــروب

---

(١) ٤٩١ هجرية ـ ١٠٩٧ ميــلادية .

(٢) كتاب « العرب » لانطونى ناتنج ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

الصليبية قائلا : « جهد الصليبيون طوال قرنين لاستعادة الأرض المقدمة من أيدى المسلمين المتعصبين،فكان عهد الحروب الصليبية من أجل ذلك أروع العهود فى العصور الوسطى كلها .. ولكن ذلك الجهد قد خاب ، وتراجعت الحملة الصليبية أمام سدود عنيدة من المتعصبين الاسلامى » (١)

صدنا للغزو الصليبى كان تعصبا !.. ما أشبه ذلك بالتقدميين المعاصرين الذين يصفون مقاومتنا للغزو الفكرى بالتعصب !.

وبهزيمة الصليبيين ، أيقن الغرب أن المقارعة وجها لوجه لا تجدى . فبدأت سياسة تطويق الاسلام .. وتخريبه من الداخل . انطلقت السفن تطوق العرب .. فطافت حول أفريقيا ، تنهب وتدمر وتقيم أكبر سوق للرقيق فى تاريخ البشرية .

وأغارت على الأطراف القصية من الوطن الاسلامى .. أندونيسيا الفليبين .. الملايو .. أفريقيا الغربية .. الهند .. الى جانب التوسع الروسى فى آسيا المسلمة .

وقد وصف « توينبى » نهاية هذه المرحلة .. أى مرحلة التطويق بقوله :

« وهكذا فى لمحة البصر ، اختطف البرتغاليون من أيدى العرب ، السيادة البحرية على المحيط الهندى .. بينما كان الرواد

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١١٥

البرتغاليون المجتهدون شرقا يحدقون ـ بحركة خاطفة من التوسع البحرى للغرب ـ بالعالم العربى الاسلامى من الجنوب . كان ملاحو الأنهار من القوزاق يتجهون شرقا ويوسعون حدودالعالم الروسى ، بنفس السرعة والاكتساح ، وذلك باحداقهم بالعالم الايرانى الاسلامى من الشمال ، ولقد فتح الطريق أمام القوزاق، القيصر المسكوفى ايفان الرابع حين استولى على قازان عام ١٥٥٣، اذ كانت قازان قلعة العالم الايرانى الاسلامىعندحدوده الشمالية الشرقية » .

« وهكذا ـ يقول توينبى ـ فى غضون فترة تقل عن القرن، لم يقتصر الأمر على الاحداق بالعالم الاسلامى ـ الذى كان شركة بين المجتمعين العربى والايرانى ، ولكن أمكن تطويقه تماما . ففى أواخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر ، وضع الطوق حول رقبة الفريسة » « كما انقضى وقت طويل ، قبل أن ينتبه المسلمون أنفسهم الى ما يجب عليهم عمله لمجابهة الموقف ، وتبلور هذا العمل بالنسبة للجانبين الغربى والروسى ، فى الانقضاض على فريسة عاجزة عجزا واضحا (١) » .

وجنبا الى جنب مع عملية التطويق بالمدافع والجيوش كان التسليل الى داخل القلعة .. عن طريق المبشرين .. قال « أودين بلسن » فى كتابه « مشروع التبشير » : « ان أول من تولى

(١) توينبى مختصر دراسة للتاريخ ج ٣ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

التبشير هو « رامون لل » الأسبانى بعد أن فشلت الحروب الصليبية فى مهمتها ، فتعلم « لول » اللغة العربية بكل مشقة وجال فى بلاد الاسلام وناقش علماء المسلمين فى بلاد كثيرة » .

ومازال المبشرون يحملون الروح الصليبية الى يومنا هذا.. وقد أورد كتاب «التبشير والاستعمار» نصا للأب شاتتور رئيس الكلية اليسوعية فى بيروت زمن الاحتلال الفرنسى ، يوم كان الكلام تحميه المدرعات والدبابات والبوارج فى البحر .. وقبل أن يضطرهم استقلالنا الى تغليف النوايا ، والدوران حول الهدف. واستئجار المتكلمين ..

يقول الأب شاتتور « ويأتى المبشر تحت علم الصليب .. يحلم بالماضى وينظر الى المستقبل ، وهو يصغى الى الريح التى تصفر من بعيد ، ومن شواطىء رومية ، ومن شواطىء فرنسا .. وليس من أحد يستطيع أن يمنع الريح من أن تعيد على آذاننا قولها بالأمس ، وصرخة أسلافنا (الصليبيين) من قبل : ان الله يريدها (١) » .

وهى صيحة الحرب الصليبية !.

كانت عملية التطويق مستمرة ، وكان على المبشرين القيام بمهام التجسس ، استطلاع نقط الضعف وكشفها فى داخل القلعة

---

(١) ص ٣٨ .

العثمانية فى ذلك الوقت ، وشراء العملاء وبث الأعوان ، ونشر الفتن ..

والمبشرون أنفسهم يعترفون بالعجز عن تحويل المسلم عن دينه .. يقول « شاتليه » فى البحث الشهير المعروف باسم «الغارة على الاسلام» :

« من النادر المستغرب أن تقع حوادث التنصير فى بيوت السادة العلوية ، وبين الباتان (الأفغانيين) الخلص الموجودين فى بلاد الهند ، أو مشايخ الهند وجيرانهم الأفغانيين والأتراك والتركمانيين ، والعرب الحقيقيين والبربر » (١) .

أى كل المسلمين .. ولله الحمد !..

ونفس الخيبة يعترف بها المبشر رايد فهو يقول :«ثم ان ذلك الحاجز العظيم الذى يدعى عادة بالتعصب ، هو ذلك الجدار الشاهق من الشك والاعتزاز بالذات ومن الكره ، قد بناه الاسلام حول أتباعه ليحميهم فى داخله ، وليترك المبشر خارجه .انه جدار طالما أثبت ، مع الأسف ، أن تسلقه أو اختراقه مستحيل . ان رجالا (يقصد المبشرين) قد عملوا سنين متوالية ، وفى مدينة واحدة ، ثم لم يستطيعوا أن يكتسبوا صديقا أو صديقين (٢).

هذا السور العظيم من التعصب ، هو التفوق «العقائدى» الساحق الذى يستشعره المسلم ، والذى يجعله ، وان صبر على

(١) ص ١٢ .

(٢) ص ٤٧ .

سخافات المبشرين ، تحميهم الأسلحة الأتوماتيكية ، ويبتــزون سكوته بمتاجرة رخيصة بالعلم الانسانى .. بالدواء والعلاج .. بآلامه مقابل بعض التراتيل .

ان صبر المسلم ، المحتلة بلاده ، على هذا البــلاء ، لا يعنى اقتناعه بسخافات أعمالهم ..

وهذا الاحساس بالتفوق « العقائدى » عند المسلم هو سر بقاء الأمة الاسلامية وعصمتها من الفناء،رغم وقوعها تحت التفوق الساحق لخصمها الشرس ، الذى يملك من وسائل الافناءوالتدمير مالم يتح لمنتصر ، على طول عصور الافناء والتــدمير مالم يتح لمنتصر ، على طول عصور الافناء والتدمير،وعلى كثرة ما انقرض من الأمم وباد من الحضارات ..

يقول الن مورهيد :

« قد يتبادر الى الذهن أن نفوذ المسيحية الغربية كان عظيما جدا فى هذه الرقعة المضطربة ، مادامت تظاهره الأسلحة الغربية، ولكن الأمر لم يكن على هذا النحو .. بل لم يســتطع أحد من المسيحيين الغزاة منذ بونابرت الى يومنا هذا .. أن يثبت عقيدته على ضفاف النيل .. ولا يزال كل من الامام المســلم ، والقس القبطى ، رابضا فى موقعه بثبات كما كان دائما .. ومن هـــذه الناحية على الأقل ، فان سكان وادى النيل لم يقهروا أبدا » (١).

(١) النيل الأزرق ص ٢٧٦ طبعة لندن .

ومع ذلك فلا يمكن القول بأن التبشير قد فشل فى مهمته .. لأننا لا نصدق أن التبشير كان لهدف دينى .. لهداية الضالين .. بل كان رسول الاستعمار المتوحش الظالم .. ولوكان للهداية لما استهدف الوطن العربى .. فنحن لا نحتاج الى مبشرين .. ومن أرضنا خرج المسيح .. وفى بلادنا أقدم الكنائس (١).

والتبشير عملية عدوانية سواءعلى المسلم أوالنصرانى العربى، لأن التبشير فى بلادنا تباشره الكنيسة الكاثوليكية المواليةلفرنسا، أو الكنيسة البروتستانتية التى تخدم المصالح الأمريكية والانجليزية .. وهما يعملان أساسا على تحويل نصارى الشرق الى المذهبين الكاثوليكى والبروتستنتى (٢) .

ولا حاجة لتأكيد الخلاف الحضارى والتاريخى ، بين المسيحية الصليبية الغربية (٣) التى نعنيها بنقدنا ، وبين نصرانية الشرق التى هى جزء من حضارتنا .

---

(١) تعتمد الجمعيات التبشيرية فى تمويلها على جهل مواطنيها . ونحن نذكر قصة الامريكية العجوز التى أفعمت سرورا عندما اكتشفت أن الشاب الفلسطينى مسيحى . فسألته والدموع فى عينيها .. أى جمعية تبشيرية قامت بتنصيره ؟فقال لها أنه هو وأجداده نصارى . لانه من القرية التى ولد فيها السيد المسيح ! .

(٢) من مقال لرشيد سليم الخورى : « أن طوائفنا العديدة .. قد زيدت بفضل تعرفنا على الارسالية الامريكية طائفة جديدة اسمها الطائفة الانجيلية .. وكم أنفق الامريكيون .. لكى يعرفونا بمواطننا السيد المسيح وبدينه .. كأننا أشد افتقارا الى فضائل المسيحية من الأمريكيين أنفسهم !» .

(٣) رأينا كيف يميز كتاب الغرب أنفسهم بين المسيحية الغربية والكنائس الشرقية . وقد شرحنا أسباب تفرقتنا بين نصارى الشرق وبين الصليبية الغربية فى أوربا فى كتابنا الغزو الفكرى (ب) .

التبشير لحساب كنائس الغرب عمل عدائى ، ليس ضد المسلمين وحدهم بل ضد الكنائس الشرقية أيضا .. والتبشير كان يمهد للغزو المسلح ، ثم يدعم النفوذ الاستعمارى .. ويشهد بذلك المبشر السابق،والذىأسلم وتسمى ابراهيمخليلأحمد(١).. اذ يقول بعد خبرة سنوات فى العمل مع المبشرين .

« يعمل المحفل العام على تمكين النفوذ الاستعمارى فىالبلاد الآسيوية والافريقية تمكينا سياسيا واقتصاديا ، يجعل تلك الشعوب تؤمن ايمانا راسخا أن لا حياة لها ، الا بمساندة الدول الاستعمارية (انجلترا أو أمريكا) ٢ » .

« لقد سخر المستعمرون منا ، ونحن نهلل لخروجهم ونطبل لجلائهم . وما كنا نعلم ان جيش المبشرين لا يقل خطرا على استقلالنا،وخطيا على حريتنا عن قوةالمحتلين وجيش الاحتلال»(٣)

« ولكم وددت لو أنه أخذت صور عديدة لكنيسة « واو » وبداخلها عشرات البنادق التى وجدت بداخلها ، فان صورة كهذه لتعد أبلغ دليل وأقوى شاهد على أن الانجيل فى كنائسالجنوب قد تحول على أيدى القسس والمبشرين الأجانب الى بنادق ،ليقتل بها أبناء الوطن الواحد بعضهم بعضا » (٤)

---

(١) قسيس الكنيسة الانجيلية بباقور محافظة أسيوط سابقا .

(٢) المستشرقون والمبشرون ص ٢٩ .

(٣) جريدة « الثورة » السودانية .

(٤) « الرأى العام » السودانية .

« تحت ستار الدين يجمعون التبرعات .. وتحت أقبية الكنائس يدربون برادعهم على أعمال التخريب .. وفى خارج البلاد تنظم شبكاتهم ومن خلفها قوى الاستعمار أقذر الخطط لفصل الجنوب (١) » .

ويكشف المبشر البروتستانتى السابق ، كيف تدير الكنيسة الأمريكية العمل فى تكتم وسرية وترفع ، حتى عن التابعين لملتها من الوطنيين :

« ان المرسلين الأمريكيين هم السدى واللحمة فى نسيج الكنيسة الانجيلية المشيخية ، وهم يستأثرون باجتماع خاص لهم ، لا يسمح لأجنبى بالدخول فيه ، وينعقد هذا المجتمع فى أواخر شهر يناير من كل سنة ، ومقره الدائم كلية أسيوط الأمريكية الثانوية بأسيوط »(٢) .

من غير المعقول أن نقبل هذه الوصاية الدينية علينا .. وكنيستنا تباشر طقوسها قبل أن يتنصر أى أمريكى بخمسة عشر قرنا على الأقل .. (٣)

---

(١) السودان الجديد .

(٢) المستشرقون والمبشرون ص ٤٧ .

(٣) « ان الله لم يقل أنه لا يقبل دعاء السود الا اذا جاء عن طريق البيض » .

« ان المسيحية ليست تكنيكا عصريا استوردناه من اوربا وأمريكا وتحتاج أجهزته الى خبراء أجانب » صحيفة أنباء السودان .

كان هدف التبشير كما رأينا ، هو التمهيد للغزو المسلح ،ثم تدعيم هذا الغزو .. ولكن خبرة المبشرين أثبتت استحالة تنصير المسلمين ، بل اكتشفت أن الهجوم السافر يستفز عناصر المقاومة ولو من باب العصبية . كذلك كان المبشرون يعرفون أن عصر السيطرة الاستعمارية الى زوال ، وأن القوة المسلحة التى ساندت تصرفاتهم الوقحة .. زائلة .. ومن ثم أعدوا سلاح الغزوالفكرى:

أى اعادة ترتيب عقل المسلم ، بحيث يفكر منطلقا من مقدمات سلبية يأخذها على انها هى الحقائق ، فيخرج منها بنتائج صليبية .. دون ان يخلع دينه ، ولا حاجة الى تعميده بالماء المقدس فقد عمد بالفكر غير المقدس ..

واذا تشرب المسلم طقوس الحضارة الغربية ، واطمأن اليها ، بل وأيقن بتفوقها عليه .. لا مجرد التفوق المادى ، بل أيضا الفكرى ، والروحى .. انهارت مقاومته .. وأصبح كالمدينة المفتوحة ، مستباحة لكل ناهب ومقتحم ..

ان سبيل البعث لكل حضارة . هو ايمانها بتفوقها ، اعتزازها بخصائصها ..

وما أسخف أن تتهم بمعاداة التقدم العلمى أو التكنولوجيا الغربية !.

بالعكس ..

ان هذه التكنولوجيا ، هى التى قهرتنا وأذلتنا ومكنت لكل حقود لئيم لكى يبدى شماتته فينا .. ان هذا التفوق الآلى ، هو الذى سمح لقيم أكثر تخلفا وأقل سموا من أن تسود قيما أعلى وأسمى ..

اننا ونحن نؤمن بالحرب الأبدية ضد الحضارة الغربية ، ونؤمن أن هذه الحضارة لا يرضيها فينا الا الافناء أو الاذلال.. نعرف أن علينا استيعاب كل صغيرة وكبيرة فى حضارة العدو .

ان الذين يحسون بانتمائهم لهذه الحضارة الغربية،وانتسابهم لها .. لا يحرصون فى الحقيقة الا على استيراد بعض منتجاتها ، أما الذين يعدون أنفسهم لحرب مصير ضدها ، ويؤمنون أنهم ورثتها. .. فهم يجبرون على الغوص فى أعماقها لتلمس أسرار قوتها ونقط ضعفها .

والقضية بمنتهى البساطة ، تبدأ بالتسليم بانقسام العالم الى مجموعات حضارية قد نسميها أمما ، بشرط ألا نلتزم بأى تعريف للأمة نابع من التجربة الأوروبية .. اذ أن الأمة والقومية لهما خصائص خاصة فى الحضارة الاسلامية ..

وهذه الأمم تتبادل الدورة الحضارية .. فليس فى التاريخ ما يسمى بالحضارة العالمية .. بل هناك حضارة متفوقة ، وهى فى سعيها للسيطرة على العالم ، تزعم أنها حضارة عالمية .. وباسم

العالمية الأممية تدعو الآخرين الى التخلى عن قوميتهم وسيادتهم، تنحية حضارتهم ، والفناء أو الولاء لحضارتها المتفوقة ..

وبقدر ايمان الحضارة المتفوقة ، بالعالمية ،واصرارها على أن يسود الجنس البشرى نظامهاالسعيد،تكون وحشيتهاودمويتها[1]

وانسانية حضارتنا تكمن فى أنها لم تبشر بيوم يصبحالناس فيه أمة واحدة ، بل لعلها الحضارة الوحيدة التى آمنت باستمرار التمايز الأبدى بين المعتقدات ، اذ لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ..

وفى هذه الرقعة من العالم تتقابل الحضارة المسيحية الغربية مع الحضارة الاسلامية العربية .

والغرب يفهم أفضل من بعضنا ـ للأسف ـ الارتباط الوثيق بين العروبة والاسلام ، ويفهم أن أنجع السبل لقتلهمامعا.. هو فصلهما عن بعض ، أو الوقيعة بينهما ليفصلا بأيديهما ما شاء الله له أن يتصل ..

ألا يقول « موروبيرجر » فى كتابه العالم العربى اليوم :

« لقد ثبت تاريخيا أن قوة العرب تعنى قوة الاسلام ،ونفس

---

(١) ليس هناك منال أعلى واحدا ، وانما هناك أنظمة من التفكير لا حصر لها ، فى هذه الارض « جيلاس » .

الشيء يمكن أن يتكرر اليوم حيث يحرز الاسلام انتصارات واسعة فى أفريقيا » .

ويقول المعلق الألمانى « هنريش كاستر » :

« ربما كان من الخطأ أن نخلط بين الاسلام والقومية العربية ولكن لا يقل خطأ عن ذلك أن نحاول التغاضى عن العلاقة الوثيقة بين الاثنين » (1) .

وهذه المواجهة الحضارية ، يفهمها الغرب الصليبى على أنها حرب ابادة يتحتم عليه فيها ، أن يبيد الاسلام من هذه المنطقة .. وقد حاول ذلك بالسيف والصليب فى الحروب الصليبية الأولى .. ثم بالمستشفى والصليب والأساطيل والمدافع والاحتلال العسكرى فى الحرب الصليبية الثانية .. ثم بالغزو الفكرى .. بنسف الاسلام من الداخل .. فى الحرب الصليبية الثالثة التى نخوضها اليوم ..

---

(1) راجع « الغزو الفكرى » للمؤلف .



بيننا وبين الغرب الآن ، يدخل مرحلة حادةوحاسمة لسببين :

السبب الأول : أن الغزو العسكرى قد تراجع ، وهـذا يستدعى من الغرب مضاعفة هجومه الفكرى ، وكذلك سهلت مهمة هذا الغزو الفكرى ، لأن الاستفزاز الصارخ الناجم عن وجود الراية الأجنبية قد زال .. وزال معه ، أو قل خفتت ، حدة الرفض الشامل لكل ما يقوله المستعمر . وبالتالى سهلت مهمة الخونة والعملاء والمدلسين .

كنا فى الماضى يسهل علينا الربط بين أقوالهم وصلاتهم وأسيادهم ، أما اليوم فيستطيع كل عميل أن يتستر بالوطنية والتقدمية والفكر الحر أو المتحرر !.

وهم اليوم يضاعفون تخريبهم على نحو ما كان يجرؤ عليه أسيادهم ..

لقد احتلت فرنسا المغرب العربى أكثر من قرن فلم تجرؤ على المساس بنظام الأحوال الشخصية ، وعندما حاولت أن تشرع قانونا يخرج البربر من دائرة هذا القانون .. جوبهت بمقاومة شاملة من العرب والبربر ..

ولكن .. أيتام فرنسا فعلوا بعد الاستقلال !

والسبب الثانى : الذى يزيد اشتعال العـداوة بيننـا وبين الغرب المسيحى ، ويثير الحرب الصليبية الثالثة .. هو اسـتقلال أفريقيا .

والمعركة الدائرة الآن فى افريقيا هى بوضوح .. معركةاسلام القارة .. أى استقلالها الحقيقى ، وتضامنها مع العـرب « مادة الاسلام » كما سماهم عمر بن الخطاب ..

أو استسلامها للمبشرين ، فترتبط وتصبح اسفينا فى ظهـر العرب .

« ولو أنه من الصعب التنبؤ الآن .. الا أنه يمكن القول بأنه خلال الجيل أو الجيلين القادمين ، سيكون اسلام أفريقيا فيمـا وراء الصحراء ، هو أهم عامل فى تطور هذه البقاع الشاسعة[1] »

والمطابع الغربية تخرج الآن كتابا كل يوم عن أفريقيا .. وما من كتاب يخلو من التحذير من خطر انتشار الاسلام فى افريقيا.

وكل أجهزة الاعلام الاستعمارية مجندة الآن لتشويه المسلمين والعرب .. والحديث السمج عن الرق .. والزعم بأن المسلمين هم الذين تاجروا فى الرقيق .. ناسين أن ملكة بريطانيا كانت تتقاضى حصة من أرباح تجارة الرقيق نظير استخدام أسطولها .. وأن البابا كان يتلقى هدايا .. شحنة من العبيد الأشداء !.. ناسين أن سفن

---

(١) العرب والعالم : تشارلس كريمنز .

أوروبا الكاثوليكية هى التى نقلت الى الدنيا الجديدة .. الى أمريكا البروتستانتية .. أجداد عشرين مليون زنجى .. مازالوا فى الولايات المتحدة وحدها .. شاهدا حيا يخرس لسان كل صليبى .. يتشدق بالرق عند العرب !

« ان مستقبل نفوذ ناصر ، ونفوذ العرب فى أفريقيا .. ما بعد الصحراء .. مازال غامضا .. ولكن الأمر الواضح هو وجود عوامل مضادة لنشاط ناصر والدول العربية الأخرى فى أفريقيا..

اذ أن أى قدر من الدعاية والديبلوماسية لا يكفى لتغيير حقيقة أن العرب غرباء فى وسط افريقيا وجنوبها .. ربما لايمكن اعتبارهم أجانب بنفس الدرجة التى ينظر بها للأوروبى .. ولكنهم أجانب على أية حال ..

وكفاح العرب الحديث ضد الاستعمار وسياسة التضامن الآسيوى ــ الأفريقى ، لم تمح بعد ذكريات أن العرب كانوا تجار العبيد فى أفريقيا (وسنرى أننا عن طريق أستاذ معهد الدراسات الأفريقية ، نساهم فى ترويج هذه الأكذوبة المغرضة)..ومحاولات المصريين اقامة امبراطورية أفريقية من عهد محمد على الى الخديو اسماعيل (١) » .

واسرائيل كعدو قومى تمارس الحرب ضدنا فى أفريقيا بالهجوم على الاسلام والمسلمين .. وتهاجم الدول الاسلامية..

---

(١) العرب والعالم ص ٢٧٢ .. شارلز كريمنز .

لأنها تعرف أن الاسلام هو سبيلنا الوحيد لأفريقيا .. ولا شيء غيره ..

اسرائيل تخـوف الأفريقيين من الحج .. نعم !..اسرائيل تعرف أن موسم الحج كفيل بأن يربط الافريقي الى الأبدبالاسلام والعرب .. هناك يرى المساواة الحقيقية ، والأخوة الصادقة التي يتعطش لها الافريقي .

ولو أنفقنا ما في الأرض جميعا في الدعاية ما أثمرت مثل تأثير حجة واحدة يذهب فيها الافريقي الى مكة ، ويطرف مع الطائفين من كل لون وجنس .. ويلمس مع اللامسين الحجر « الأسود » أشرف حجر في الكعبة .. وان كان لا يضر ولا ينفع .

اسرائيل تعلم ذلك كله .. لذلك أنتجت فيلما اسمه « تجارة العبيد » علقت عليه «الأهرام» قائلة :

« أهداف الفيلم .. التشهير بالعرب والاسلام والمسلمين فضلا عن الأفريقيين ، ويسير الفيلم في نفس الخط الدعائي الصهيوني الذي يستهدف الايقاع بين الدول العربية والافريقية، فالعرب قوم لا يهمهم من الدنيا الا تجارة الجسد وشهواتها ، والعبيد وسيلة من وسائل لهو السادة العرب ، والعرب هم الذين يقومون بالاغارة على الأفريقيين العزل لاتخاذهم عبيدا لأن ثروة العربي تقدر بما يقتنيه من عبيد ، ويتخذ العرب من الحج ذريعة

للاثراء عن طريق بيع من يسافرون معهم الى الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج » (١) .

اسرائيل والغرب كله ، يعون خطورة انتشار الاسلام فى أفريقيا .. ويدركون أن الاسلام هو الرباط الوثيق بين أفريقيا السوداء والعرب ..

يقول تشارلز كريمنز مستشار الحكومة الأمريكية لشئون الشرق الأوسط : « الاسلام . ولو أنه يعنى القليل بالنسبة لعلاقات العرب مع تركيا وايران .. الا أنه يمكن أن يشكل صلة هامة بين العرب والمسلمين فى حزام عريض جنوب الصحراء الافريقية .. ان ظاهرة من أكثر الظواهر اثارة فى افريقيا المعاصرة هى السرعة التى يكسب بها الاسلام مؤمنين جددا بين الشعوب التى تخلت عن معتقداتها القبلية البدائية ، وتنفر من المسيحية لأنها دين الرجل الأبيض . ومصر تبذل جهدا له اعتباره ، لتحويل هذا الانتشار الى ميزة سياسية (٢) .

وهنا أرانى مضطرا الى التوقف لأقدم للقارىء كتابا .. يردد نفس الاقاويل عن العرب والرق !.

اسمعوا .. واشهدوا .. فأنا من المتعصبين :

---

(١) الاهرام ٢٢-٣-١٩٦٥ .

(٢) العرب والعالم ص ٧٣ طبع فى لندن ونيويورك لحساب « مجلس العلاقات الخارجية » .

« فى خلال القرون التى أعقبت نزول المسلمين الى «الدهلك» والموانى القريبة كان النشاط المثمر يظهر فى تجارة الرقيق ، ولم يكن ذلك شيئا جديدا ، فقد كان الساميون يعتبرون بلاد السود البلاد المختارة للغنائم من الرقيق (الساميون فقط .. تأمل !) ..

فقد كانت بغداد حاضرة الخلافة الاسلامية فى ذلك الوقت وغيرها من الحواضر الاسلامية (فقط ؟!) قد ذخرت بقصور الخلفاء والوزراء وكبار الدولة ، وأفرط القوم فى اللذائذ يتفننون فى الاستمتاع بها ، وكان كل خليفة يعلو درجة فى سلم الترف عمن قبله ، وأكثروا من الرقيق ، فألحوا فى طلبه حتى كان البيت الاسلامى وخصوصا بيوت الأغنياء عصبة أمم . فكان للرشيد على ما قيل زهاء ألفى جارية ، وللمتوكل أربعة آلاف من مختلف الأجناس اغلبها من أسواق النخاسة ، وانتشرت تجارة الرقيق فى المملكة الاسلامية (١) » .

انتظر !!

ليس هذا كل شىء .. انه يقول :

« ولا نستطيع أن نغض النظر عن أثر الرق كعامل له قوته فى تحديد الاختلاط الدينى والسياسى ، وما ينتجه هذا الاختلاط من تطور ، فقد ساعد هذا الهجوم الخاطف السريع على انتشار الاسلام انتشارا واسعا فى أفريقيا الوثنية على مدى واسع ، لأن

(١) الاسلام فى أثيوبيا ص ٥٧ .

القبائل الضعيفة التى كانت عرضة للهجوم المتوالى من جيرانها لم يكن لها مهرب أمامها الا الارتماء فى أحضان الاسلام » (١) .

هل أسلمت مصر خوفا من الاسترقاق ؟!

الاسلام يكتسح أفريقيا بلا سيف ولا رق ،. ورغم أنف القنبلة الذرية الأمريكية ..

اسمعوا :

« وكانت الدهلك بطبيعة الحال مركز تجارة الرقيق ، وخاصة بعد أن أنشئت فيها امارة لها أسطول تجارى ، عنى المؤرخون العرب بالتغنى به ، وقد امتد نفوذ حكام اليمن الى الدهلك ، وأصبحوا يأخذون جزية من والى الجزر ألف رقيق ، نصفهم من النساء الاتيوبيات لنحافتهن ورشاقتهن ، وقد لاحظ كونتى روسينى أن هؤلاء النساء كن يثرن اعجاب الشباب » .

آى ذكريات طيبة يثيرها بين الاتيوبيين نحو العرب ؟!

« فخلفهم أخوهم الرابع جمال الدين محمد بن سعد الدين ، فضم اليه « بالى وهديه » اللتين كانتا تخضعان للنجاشي وتدفعان له جزية سنوية ، فازدهرت فى أيامه تجارة الرقيق مما كان يغنمه فى غزواته على البلاد المسيحية ، فامتلأت أسواق الهند واليمن والحجاز ومصر والشام والروم والعراق وفارس برقيق أتيوبيا الذين سباهم » .

---

(١) الاسلام فى اثيوبيا ص ٥٨ .

وأيضا ..

« وتجارة الرقيق ، وما تدره من أرباح تفوق حد التصور ، تغرى كثيرين على احترافها ، ولذا اشتغل بها عدد كبير من العرب، فيمكننا اذن أن تتصور العدد الكبير من العرب الذى اشتغل بهذه التجارة وكون المراكز التجارية الكبيرة والصغيرة،واستقر فى هذه المراكز المنتشرة بين قرى شرق أفريقيا صغيرها وكبيرها » .

هل أكتفى ؟ .. لا .

« ولكن الاسلام وحد بين العرب وحد من خصوماتهم ، وأوقف غزواتهم التى كانوا يشنونها على بعضهم ، كما حرم أن يسترق مسلم مسلما ، وبذلك نقص مورد من موارد الرقيق الذين كان يعتمد عليهم العرب فى حراسة قوافلهم وزراعة أرضهم وخدمتهم ، فلابد اذن من تعويض هذا المورد الذى قطعه عنهم اسلامهم ، وليس هناك من مكان يستطيع أن يسد هذا النقص سوى الساحل الأفريقى للبحر الأحمروما يسكنه من موردلاينقطع من شعوب سوداء ، فلابد اذن من أن تنشط تجارة الرقيق بعد الاسلام عما كانت قبله ، وأن يشتغل بها عدد كبير ، وأن يحتاج الى عدد ضخم من الأعوان والمعاونين (١) » .

أرأيت ؟! هذه هى علاقة العرب بافريقيا والشعوب السوداء

---

(١) ص ١٠٠ .

.. قبل الاسلام تاجروا فيهم .. فلما جاء الاسلام نشطت التجارة أكثر ..

فهل أشتفى ؟! لا .. ليس بعد.وفى تملق للحكومة الاتيوبية، يقول :

أكثر .. فهل اشتفى ؟! لا .. ليس بعد ، وفى تملق للحكومة الاثيوبية ، يقول :

« ولكن نوعا من هذه التجارة لا يمكن أن ينشط برضاء الحكومة السليمانية القوية . ذلك هو تجارة الرقيق ، فلا يمكن لحكومة تحترم نفسها ، وتحافظ على رعاياها ــ أن تسمح أن يكون أهلها تحت رحمة هؤلاء النخاسين ، وخصوصا وأننا نعرف أن ليس هناك من شىء يعرضهم لهؤلاء التجار الا كونهم مسيحيين (!!) فلو كانوا مسلمين لما تعرض لهم التجار بشر .. فلابد أن هذه التجارة قد تعرضت لتضييق الحكومة السليمانية » (١) .

للاسلام رب يحميه ..

فلن نتحدث عن هذا الطعن فى الاسلام والدس عليه ..

دعنا من ذلك ..

ولو اقتصر الأمر على هذه الشنشنة ، لما توقفنا عند هذا الكتاب .. ولاعتبرناه مجرد نشرة دعائية سمجة لسفارة اثيوبيا.. وحسبك بكتاب يقول أن الحبشة لم تعرف النظام الاقطاعى

---

(١) ص ١٣٧ .

قط (١) .. فهذا المعجب بالحضارة الحبشية ، لايستحق أن يؤخذ على محمل الجد ..

ولكن ..

الكتاب طبع فى القاهرة .. والمؤلف دكتور مصرى ..ويدرس فى معهد الدراسات الافريقية •

المسألة اذن أكبر من عصبية دينية .. أكبر من تزييف التاريخ أكبر من نشرات سفارات .. المسألة تمس سياستنا القومية فى افريقيا •

---

(١) فى صفحة ١٣ من الكتاب المذكور .. واذا كانت الحبشة لم تعرف حتى الآن أن ذلك الذى تعيش فيه اسمه الاقطاع .. أما كان واجبه أن يعرفها ؟! ولكن لنسمع ماذا يقول أونالد لوتشيم فى صحيفة سكوتسمان البريطانية « ابريل ١٩٦٥ » :

« طوال العام الماضى أخذت تدور فى أثيوبيا عملية شد وجذب عنيفة حول مسألة تضرب فى جذور النظام الاجتماعى والسياسى والاقتصادى التقليدى لهذه البلاد .. والمسألة هى الاصلاح الزراعى الذى يعتبر مفتاح تحويل هذه المملكة التى يبلغ عمرها ثلاثة آلاف عام الى دولة زراعية حديثة .. ان المشكلة تتعلق أساسا بالسرعة التى يجب الأخذ بها .. ولا يشك أحد فى أن اصلاحا زراعيا رئيسيا سوف يحدث يوما ما .. ذلك أن نظام تمليك الاراضى يكاد يكون نموذجا للمجتمع الاقطاعى فى أوربا للعصور الوسطى ... ان ٣٠٪ فقط من سكان البلاد البالغ مقدارهم ٢٣ مليون نسمة يملكون أرضا زراعية ، وأكثر من نصف مساحة الأراضى المنزرعة يسيطر عليها « ١٠٠ » مائة من كبار ملاك الأراضى .. وفى ظل القانون الحالى يسمح لمالك الارض بان يحصل على ٧٥٪ من انتاج المستأجر » انتهى كلام سكو تسمان .. البريطانية .. وصدق مؤلف الاسلام فى أثيوبيا .. أثيوبيا لم تعرف الاقطاع !! نعم ذلك شىء سابق على الاقطاع بملايين السنين .. ان الاقطاع نظام ثورى بالنسبة لهذا الشىء ولان سكوتسمان تحترم الكتابة والقراءة فهى تنقل لقراءها لحقائق .. اما نحن ؟!.

هل نفتح معهد للدراسات الافريقية لنعلم الطلبة الافريقيين فيه أن العرب هم تجار الرقيق ، وأن هذه التجارة تضاعفت بظهور الاسلام !..

أليس هذا تشهيرا بالعرب والاسلام .. ودسا عندالافريقيين ضد العرب والاسلام ؟!•

أرونى مصلحة قومية واحدة ، أو شبهة مصلحة قومية فى كتابة هذا الكلام .. ونحن نصمت فلا ننطق أبدا ..

لنقرأ مرة أخرى تعليق الأهرام على الفيلم الاسرائيلى « تجارة العبيد » .. ثم نقرأ الترجمة العربية على نفس الفيلم لندرك أن الغزو الفكرى أخطر بكثير من حملات الأعداء فى الخارج ..

ان فيلما ينتج فى اسرائيل سيقابل بالرفض من أصدقائنا فى افريقيا ، وبالشك من جانب المحايدين ، وبالفرحة ولكن على استحياء من أعدائنا .. ثم هو على أية حال .. مجرد فيلم ، يحاول منتجه الصهيونى أن يدلس على الافريقيين بالزعم أنه قصة حقيقية ..

ولكن كتابا يصدر فى القاهرة ، ويزعم أنه يستند الىالتاريخ ويتلاعب بالاستشهادات .. كأن يضع المصدر حول لفظةواحدة بطريقة توحى أن الفقرة كلها مقتبسة من مرجع اسلامى ..

مثل هذا الكتاب يثير الألم عند أصـــــدقائنا .. والحـــرج والدهشة عند المحايدين .. والفرحة الخبيثة عند الخصوم [1].
اذن ..

الحرب سجال .. بيننا وبين الحضارة الغربية..وأرض المعركة الآن هى الفكر .. محاولة اقتحام القلعة الاســـلامية بالأفكار والمبادىء والقيم .. حتى يتم خلع القيم الاســلامية .. وتدمير المثل العربية لكى يتحول المواطن العربى الى قرد يحاكى الحضارة الغربية ، ويقضى العمر فى اقتفاء أثرها بلا أمل فى التفوق .. قد رضى بدور الظل .. وأنى للظل أن يسبق سيده ؟

فأين الماركسية من ذلك .؟!

---

(١) ســـنتناول هذا الكتاب بالتفصيل فى الطبعة الثانية من « الغــزو الفـــكرى .
للأسف أرانى مضطر الى التأجيل للطبعة الثالثة (ب) .



ان تتحدث عن الماركسية كطابور فى جيش الغزو الفكرى ، لابد أن ننتهى من نقطتين ، يثيرهما الماركسيون ، ويتعمدون دائما أن يتستروا خلفهما .. وأعنى بهما :

* العلاقات الدولية مع البلدان الشيوعية أو ما يسميه الماركسيون العرب ، بالمعسكر الاشتراكى .

* والاشتراكية ..

بل وقبل هاتين النقطتين .. لابد من تصفية قضية جزئية :هى الموقف من النظرية الماركسية ، أو الفكر الماركسى المعاصر ..فقد يحسب البعض أن رفضنا للماركسية ، يعنى عدم دراستها أو اهمالها .

بالعكس ..

اننا من دين : « اطلبوا العلم ولو فى الصين .. » والصين لم تكن الأبعد مكانا فقط بل والأبعد عقيدة ..

والماركسية كنظرية ، تعتبر مفتاحا لفهم طبيعة الفكر الغربى وتطوره .. والفكر الماركسى يلعب دورا أساسيا فى تنظيم سلوك ١٢ دولة شيوعية ، أو ثلث البشرية كما يفخر الشيوعيون . ومهما تكن درجة اخلاص قادة هذه الدول للماركسية ، والتزامهم

الواقعي بها .. فهم على الأقل ، يحاولون الاستناد الى الماركسية فى حيثيات سلوكهم .. ولابد لنا من الالمام بالفكر الماركسى المعاصر وتطوراته ، لنفهم مجريات الأمور فى هذا الجانب من العالم .

كذلك فان الصراع المصيرى بين روسيا والصين ، عملاقى الشيوعية ، يحتم علينا فهم المسالك المذهبية التى تحفرها التيارات القومية للبلدين المتصارعين ، بعد أن أصبحنا نواجه صور هذا الصراع فى أفريقيا وآسيا .

كل هذا يحتم علينا دراسة الماركسية .. بل نعتقد أننا نحن غير الماركسيين ، فرصتنا أكبر فى فهم موضوعى للماركسية وتطوراتها .. بعد ما ثبت أن الالتزام العقائدى يفسد الرؤية ..

وقد عجز الماركسيون العرب بالذات ، عن فهم التناقض الصينى ــ الروسى ــ بل كانوا يعتبرونه من تقولات الاستعماريين للشوشرة على الاخوة الشيوعية .. وبينما كان المراقبون غير الماركسيين يتوقعون هذا الخلاف ، ويلاحظون تطوره (١) .

---

(١) وفى غير تواضع ــ ولو لمرة واحدة ــ اقرر أن كاتب هذه السطور كان أول من تناول الابعاد الحقيقية لهذا التناقض واكد انه لاسبيل الى ازالته وان الصراع الايدلوجى هو قشرته الخارجية واشار الى احتمال غزو سوفيتى ــ امريكى مشترك للصين ومازال عند رايه .

« روزاليوسف . مقال حقيقة الخلاف حول جثة ستالين ومقالات أخرى » وكل الذين يفتون اليوم فى الصراع الصينى الروسى .. كانوا يتهموننا فى بلاهة بتضخيم الخلاف الايدلوجى وتشويهه للنيل من الاخوة البلشفية !.

وحتى بعدما شاع وذاع ، وأصبح انكاره يشكك فى سلامة القوى العقلية لمنكره .. نرى المعلقين الماركسيين ــ والعــــرب بالذات ــ يلهثون خلف تفسيرات « الصراع الايدلوجى » .. رغم احتشاد الجيوش !! ورغم النظرية الماركسية التى كان حجر الزاوية فيها ارجاعها كل تناقض أيدلوجى ، الى تناقضات مادية ،وتعارض فى المصالح الطبقية (١) !.

لذلك فدراسة الماركسية لن تجعلنا ماركسيين .. ويجب أن يقوم بها غير الماركسيين ، لأن هؤلاء يشل التحيز تفكيرهم ..

---

(١) وفى كلمات مؤثرة تذكرنى بمخاطبة التلميـذ الفـرعونى للآلهة معبـرا عن حيرته لاضطراب الفصول ومجىء الشـتاء فى الصيف ، والصيف فى موعد الشتاء نتيجة عجز الفلكيين الفراعنة عن حساب ربع اليـوم فى السنة الشمسية ... أقول فى عبارات مؤثرة كتب احدهم فى المصور :

« فماذا يقولون للرجعيين والشامتين ؟ هل يقولون لهم كما يقول الاستعماريون انه حتى الاشتراكية ، وسلطة الشعب العامل ، لاتقضى على الخلافات بين السيد والمسود والمتخلف والمتقدم ، والابيض والملون ؟. أى هل يقولون لهم كما تقول الصين .. ان الاتحاد السوفيتى قد خان الاشتراكية وتحول الى دولة تقوم بثورة سلمية لاعادة الرأسمالية ؟ أم هل يقولون لهم ــ كما يقول الاتحاد السوفيتى ــ ان الصين تتبع سياسة مغامرة قصيرة النظر لا يهمها أن يموت ثلث سكان العالم أو نصفه فى سبيل « انتصار الاشتراكية ».

والواقع ان أى رد من هذه الردود الثلاثة أو من غيرها ، يمثل هزيمة للفكر الاشتراكى المعاصر ، ويعطى سلاحا للرجعية والاستعمار ، ويضعف الثورة الاشتراكية الفتية الناهضة « المصور ٢٩ ابريل ١٩٦٥ » .

ياالهى يا آمون ! هاهو البطيخ يظهر فى اوان البلح .. والمطر ينزل فى موسم الفيضان .. يا الهى يا آمون .. ماذا نقول عندما يسألنا .. الخ الخ !.

« راجع أوراق البردى ! »

على أننا نعنى بدراسة الماركسية، دراسة الفكر السياسى المعاصر للماركسيين .. اذ أن النظرية الماركسية كمرحلة فى تاريخ الفكر الاشتراكى الغربى .. مكان دراستها هو الجامعات ولمن أراد أن يستزيد ويؤرخ .. اذ لم يعد هناك مايسمى بالنظرية الماركسية ، أو النظرية العامة للاشتراكية ، التى تنتظم فيها قوانين الحركة للاحزاب الاشتراكية ، والدولة الاشتراكية .. تلك النظرية أصبحت فى ذمة التاريخ .

واذا كان الحزب الشيوعى الروسى ، يرى أن يوغوسلافيا ، دولة ماركسية ـ لينية ، اشتراكية ، بينما يعلن جيفارا.. « أن الشيوعيين الكوبيين يعارضون اليوغسلاف تماما ، وأن هناك خطر الاتجاه نحو الرأسمالية فى يوغوسلافيا » [1] ، ويرى الصينيون أن يوغوسلافيا تحولت فعلا « سلميا من الاشتراكية الى الرأسمالية .. والى عميلة للامبريالية الأمريكية » [2] .

اذا كان أساقفة الماركسية لايستطيعون أن يجدوا فى كتبهم من الهداية والتفاسير ، مايكفى للحكم على دولة بأنها اشتراكية أو رأسمالية بعد عشرين عاما من فحصها !.. فلا شك أن الشمامسة يذهبون بعيدا فى غرورهم وحماسهم ، عندما يزعمون أن باستطاعتهم على ضوء التراتيل الماركسية أن يفسروا لنا واقعنا .. بل وأن يغيروه !.

---

(١) حوار مع جيفارا مجلة الطليعة ابريل ١٩٦٥ .

(٢) الثورة البروليتارية وتحريفية خروشوف ص ٦٨ .

إذا انتقلنا الى مناقشة الاعتراض الأول الذى يثيره الشيوعيون .. وهو الزعم بأن رفض الماركسية يفسد علاقتنا بالدول الاشتراكية .. وجدنا أنه زعم باطل وقد أثبتت التجربة العربية أن أكبر عقبة كانت تفسد علاقتنا بالدول الشيوعية ، هى نشاط الشيوعيين المحليين .

ومن استقراء تاريخ السنوات الأخيرة نجد أن التقارب الكبير بين الدول الشيوعية وبلادنا قد تم والشيوعيون يتمتعون بأكبر فرصة عمل فى تاريخ نشاطهم فى الوطن العربى ..

وفى العراق بالذات حيث أتيحت لهم فرصة العمر ، انتهى كفاحهم لا بكراهية شعب العراق للشيوعية كراهية التحريم فحسب بل بمظاهرات فى الموصل تهتف بسقوط الصاروخ الروسى (١) .

---

(١) فى مدينة الموصل ، ومنذ أسبوع فقط رفعت قطعة كبيرة من القماش الابيض ، وقد كتب عليها بخط رقعة بارز الشعار التالى « يسقط الصاروخ » ، ورغم مرور هذه المدة على رفع هذا الشعار الغريب فان الصاروخ المقصود لم يسقط فهو مايزال باقيا وسيبقى الى الابد فوق سطح القمر !.. ولن تستطيع قطعة القماش الابيض بشعارها الاسود هذا أن تنال شيئا من عظمة ذلك الصاروخ . وقد يعجب البعض من امر هذا الشعار ومن أمر الذين رفعوه فى سماء بلد جمهورى متحرر « بلد قاسم !» .

من مقال الصاروخ الروسى يسقط فى الموصل
لداود سليمان كرومى .. صحيفة الاستقلال العراقية
٢٥ تشرين ثان ١٩٥٩!

ويبدو أن الربط بين النشاط الشيوعى المحلى ، والدول الشيوعية ، ينبع من الايمان بخرافة مايسمى بالمعسكر الاشتراكى. ونحن نرى أن « المعسكر الاشتراكى » مصطلح تاريخى لا وجود له اليوم ..

فى العالم دول عديدة تأخذ بالنظام الاشتراكى ، ولا تربطها وحدة مذهبية ، ولا وحدة مصالح ، ولا علاقات خاصة تنبع من انتمائها لموقف واحد (١) .

ان العدو الألد لروسيا اليوم .. هو : الصين الشعبية ،وبالمثل يمكن القول أن روسيا هى العدو رقم واحد مكرر للصين الشعبية باعتبار أن الولايات المتحدة تنازعها هذا المركز .. الذى تنفرد به روسيا بالنسبة لألبانيا مثلا .

ونظرة واحدة على أرصفة القاهرة تكشف أن أجهزة الاعلام السوفيتية والصينية لم يعد يشغلها الا العداوة فيما بينها .. والمرء يقلب كتابا سوفيتيا فيجد أن الصين اختصت بقاموس الشتائم الشيوعى كله .. حتى لاتجد روسيا كلمة نابية تهديها لأمريكا ! والصين بدورها لاتألو جهدا فى اختراع الصفات والنعوت ،تقذف

---

(١) الاتحاد السوفيتى الذى وضع الصواريخ فى كوبا بقصد طمأنتها الى أنه ينوى الدفاع عنها باعتبارها جزءا من المعسكر اللنينى ــ الماركسى ، اتخذ قرار سحب الصواريخ وأعلنه قبل التشاور مع الحكومة الكوبية ، لأن احتمالات المخاطرة أثبتت أنها أقوى من أى تضامن « عقائدى » فى الماركسية ــ اللينينية » هيكل : الاهرام ٣٠ـ٤ـ١٩٦٥ .

بها فى وجه الحكومة السوفيتية ، وقيادة الحزب الشيوعى الروسى ..

وعندما نشب القتال بين الصين والهند ، لم تكن روسيا الى جانب الصين (1) .

بل عندما ذهب المسئول الصينى يعاتب الروس على تسليحهم للهند قائلا : ان الشعب الصينى سيشعر بمرارة شديدة ، وهو يعلم أن أبناءه يقتلون بأسلحة روسية ! كان الرد الروسى : ان الشعب الهندى جدير بأن تكون مرارته أشد .. لأن السلاح الروسى أكثر فى الجانب الصينى !.

وعلقت الصحف الصينية على هذه المحاورة بقولها : « خبرونا من أنتم ؟ أتجار أسلحة ؟! » .

« فى ٨ أكتوبر ١٩٦٢ أبلغ أحد القادة الصينيين السفير السوفيتى بأن الصين قد بلغها أن الهند كانت تستعد لشن هجوم شامل على الحدود الصينية ـ الهندية ، وأنه اذا بدأت الهند هذا الهجوم ، سوف ندافع عن أنفسنا بحزم . كما أبلغه أيضا بأن حقيقة أن طائرات الهلكوبتر السوفياتية وطائرات النقل السوفياتية كانت تستخدم من قبل الهند بغرض القاء الامدادات الحربية من الجو ونقلها فى مناطق الحدود الصينية ، قد تركت انطباعا سيئا لدى

---

(1) « لقد تحالف القادة السوفيت منذ زمن بعيد مع الرجعيين الهنود لمعارضة الصين الاشتراكية » .

جنودنا فى الحدود ، ونرى أنه من واجبنا الأممى (كذا) أن نخبر الجانب السوفيتى بهذا الوضع » (١) .

ولم يقتصر الأمر على قتل الصينيين الشيوعيين بالســــلاح الروسى ، الذى يحمله الهنود ، بل قتل بنفس الســلاح الروسى الذى يحمله الصينيون ، الهنود الشيوعيون ، من أنصار «دانجى» سكرتير الحزب الشيوعى الهندى الذى دعا الى القتال ضد الغزو الصينى للتراب الهندى !.

« وأيد خروشوف الرجعية الهندية فى هجماتها المسلحة على الصين الاشتراكية ، مشاركا الولايات المتحدة فى تقديم المساعدات العسكرية الى الرجعية الهندية ليشجعها ويعينها على القيــــام بالاستفزازات العسكرية ضد الصين (٢) .

ترى هل نذهب بعيدا اذا قلنا ان روسيا تحارب الصين فى الهند على نحو شبيه بمحاربة ألمانيا لروسيا فى أسبانيا قبيل الحــرب الصريحة بينهما ؟!

على أية حال .. هذه مجرد خاطرة .. وتعـــالوا نقلب بعض المطبوعات الشيوعية لنسمع كيف تتخاطب دول « المعســكر » الاشتراكى .. وكيف يجرى «الحوار» الخلاق بينهم !.

---

(١) ص ٧ من كتاب « حقيقة تحالف قادة الحزب الشيوعى السوفياتى مع الهند ضد الصين » طبع فى بكين .

(٢) افتتاحية مجلة « العلم الاحمر » الصينية عدد مزدوج ٢١ — ٢٢ سنة ١٩٦٤ .

أحصت الصين « والشيوعيون عادة يولعون بالاحصائيـات » أنه فى خلال المدة من ١٥ يوليو الى ٣١ أكتوبر نشر فى الاتحـاد السوفيتى فى « ٢٦ صحيفة ومجلة مركزية ١١١٩ مقالا كتبتـه هيئات التحرير ، وافتتاحية ، وتعليقا ، ومقالا موقعا ، ورسالة من القراء ، ورسما كاريكاتوريا ، هوجم فيها الحزب الشيوعى الصينى وقادته : ماوتسي تونغ ، وليوشاوتشي ، وشوان لاى ورفاق آخرون بالاسم . وتدل الأرقام غير النهائية (!!) على أساس دراسة الخمس عشرة صحيفة ناطقة باسم اتحاد الجمهوريات ، على أن مالا يقـل عن ٧٢٨ مقالا مشابها لهذا معاديا للصين قد ظهر فى الصـحافة السوفيتية المحلية فى نفس تلك الفترة » [١] .

وروسيا أحصيت بدورها أنه « فى الفترة التى تلت ٢٥ أكتوبر ١٩٦٣ [٢] فقط نشرت صحيفة « جينمين جيهباو » لسان حـال اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى أكثر من ٢٠٠ مقال من هذا النوع .. وعن طريق المنظمات الصينية والاذاعة بالراديو بلغات مختلفة انتشرت فى كل أنحاء العالم مقالات وقحة ، بل والأكثر من ذلك أنه حدث أن أذيعت المقالات الكثيرة المعادية للسـوفيت عشرات المرات بلا انقطاع . وذلك شيء غريب كما يبدو ، الا أن

(١) قادة الحزب الشيوعى السوفيتى أكبر الانقساميين فى عصرنا الحاضر . ص ٦٢ . دار النشر باللغات الاجنبية . بكين .

(٢) تقرير الاجتماع الشامل للحزب الشيوعى السوفيتى المنعقد يوم ١٥ نوفمبر ١٩٦٤ الناشر بالعربية وكالة نوفوستى للانباء ص ١١ .

تعليم الشعب الصينى بروح العداء نحو الاتحاد السوفيتى ،وحزبه الشيوعى ، قد أصبح الآن أهم جانب من جوانب جهد اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى ، وهناك الآن جهاز ضخم للدعاية يعد بشدة مادة تسىء الى الحزب الشيوعى بالاتحاد السوفيتى أيضا .. »

« تضع الدعاية الصينية نفسها باستمرار فى صف الدوائر المعادية للسوفيت والعناصر المعادية للشيوعية فى الدوائر الامبريالية الرجعية .. » .

وقد وصف هذا التقرير الكتاب الصينى المشار اليه .. (قادة الاتحاد السوفيتى .. الخ) بأنه يحتوى على طعنات قذرة معادية للسوفيت ، واهانة لكل حزبنا ، وكل الشعب السوفيتى (١) .

« مازال قادة الحزب الشيوعى السوفياتى يلجأون الى الخداع والمماحكة محاولين بجميع السبل ترويج سقط متاعهم » ..

« يشوه قادة الحزب الشيوعى السوفياتى مؤلفات ماركس ولنين علنا ،كما يشوهون التاريخ علنا أيضا ، لكى يستروا خيانتهم للماركسية اللنينية .. » (٢) .

« ان قادة الحزب الشيوعى السوفيتى يعزفون اليوم نغمة

---

(١) ص ١٢ .

(٢) الثورة البروليتارية وتحريفية خروشوف ص ٢٠ .

كاوتسكي القديمة ، وما طبيعة هذا ان لم يكن انحطاطا الى مستوى فصيلة عميل سافل للبورجوازية ؟! » (١) .

« ان قول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بأن الثورة الهنغارية كانت مثلا على الانتقال السلمي ، ماهو الا كذب صريح لا يعرف الخجل » (٢) .

«أليس من الواضح أنكم تحاولون شل يقظة الشعوب ، وتطييب خاطر الجماهير الحانقة الغاضبة وتهدئتها بالوعود الجوفاء بمستقبل ناصع البياض ، وتعارضون ثورتها . وهكذا تتصرفون كشركاء للاستعمار ، ورجعي مختلف البلدان » (٣).

(الصين تسأل روسيا !!)

« كشفوا أن قسماتهم الحقيقية « أى الروس » ولونهم الحقيقى بصفتهم خلانا للمستعمرين فى معارضتهم للثورة » (٤)

« وخروشوف انطلاقا من أنانيته القومية يخشى أن تخلق ثورات الطبقات والأمم المضطهدة ، له المتاعب وتورطه . ولهذا يحاول معارضة كل ثورة بجميع السبل ، وكما فعل فى الكونغو ، لايتردد فى المساهمة مع الاستعمار الأمريكى فى القضاء على ثورة شعبية.

---

(١) ص ٣١ .
(٢) ص ٣٥ .
(٣) نفس المصدر ص ٣٧ .
(٤) ص ٣٨ .

ويعتقد أنه بتصرفه هذا يمكنه أن يتفادى الأخطار ويتآمر فى نفس الوقت مع الاستعمار الأمريكى على تقسيم العالم الى مناطق نفوذ » (١)

ولا تنسى الصين يوغوسلافيا : « لقد باعت طغمة تيتو نفسها جسما وروحا للاستعمار الأمريكى ، وهى لم تعد الرأسمالية وحسب الى يوغوسلافيا بل أصبحت أداة استعمارية لتحطيم المعسكر الاشتراكى والحركة الشيوعية العالمية ، وهى تلعب دور فصيلة خاصة للاستعمار الأمريكى لنسف الثورة العالمية »(٢).

وترد روسيا ..

فيرى الاجتماع الشامل للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى أن قيادة الحزب الشيوعى الصينى تهدف الى : « فرض آرائها ووسائلها الخطيرة على شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية.. ومحالفة الشعوب حول الأسس العنصرية ، وافساد الوفاق بين حركة التحرر القومية ، وحركة الطبقة العاملة ، والتى لا يمكن الا أن تحطم وتضعف حركة التحرر القومية .

ولهذا تشوه وتحرف تعاليم الماركسية ـ اللنينية ، وتستغل

---

(١) الصين تتكلم والترجمة لدار النشر باللغات الاجنبية . بكين . والكتاب يباع فى الاكشاك لمن أراد أن يفقه . ولكن على قلوب اقفالها !.

(٢) ص ٦٣ .

أسوأ تقاليد القـــومية البورجوازية الصـــغيرة وأكثر أنواع الديماجوجية السافلة والتوبيخ» (١) .

« لايتردد القادة الصينيون في استخدام أكاذيب وقحة بليت في الدعاية الامبريالية » (٢) .

« ان هذه التزويرات والتشويهات الفجة » (٣) .

« وهنا وجد الزعماء الصينيون أنفسهم متحالفين مع أكثردوائر الامبريالية عدوانية » (٤) .

« ولا تستطيع الوقاحة أو الاختلافات القذرة أن تلوث شعار البروليتارية العالمية » (٥).

« من أجل أغراضهم الخسيسة » (٦).

« ألم يأن للزعماء الصينيين أن يتوقفوا عن تضليل حـــزبهم وشعبهم والرأى العام العالمي (روسيا تسأل) وأن يقولوا الحقيقة عن الأسباب الحقيقية لمشاكل كل الشعب الصينى . » .

---

(١) تقرير الاجتماع الشامل ص ١٥. « ويبدو أن المترجمين الروس والصينيين قد تعلموا العربية فى مدرسة واحدة لان تعبير « سافل » هذا والذى يتكرر كثيرا فى حوارهم الايدلوجى ، غير مستعمل فى كتاباتنا المعاصرة !»

(٢) ص ١٢٣

(٣) ص ٣٤

(٤) ص ٤١

(٥) ص ٤٩

(٦) ص ٧٠

« ان التعاون الاقتصادى السوفيتى الصينى ، والعـــلاقات الثقافية ، والتبادل بين المنظمات العامة ، تتدهور من عام لآخر ، بينما تتزايد الافتراءات والادعاءات على الشعب السوفياتى » (١)

« ستنفجر فى وجوههم الوصمة الدنيئة » .

« ولقد ظل خرق الحدود السوفيتية مستمرا فى عامى ٦٢ــ٦٣ متخذا شكل الاستفزاز (من جانب الصين !) ولقد تقـــدمت الحكومة السوفياتية بمبادرة الدعوة لعقد مشاورات حتى يمكن تحديد خط الحدود بين الاتحاد السوفياتى وجمهورية الصين الشعبية عند نقاط معينة » (٢) .

« واتخذ خروشوف الوسائل الدنيئة الخبيثة يحاول بذلك عبثا أن يقوض الصين الاشتراكية ، ولقد مزق غدرا بضع مئات من الاتفاقيات والعقود ، وسحب عنوة أكثر من ألف خبير سوفيتى كانوا يعملون فى الصين ، وخلق النزعات على الحدود بين الصين والاتحاد السوفيتى .. بل قام بنشاطات هدامة واسعة النطـاق فى منطقة سينكيانغ » (٣) .

---

(١) ص ٧١ .

(٢) ص ٧١ .

(٣) لماذا سقط خروشوف . ص ٣٧ افتتاحية مجلة العلم الاحمر «الصينية» .

ونشرت البرافدا فى ١٣ سبتمبر ١٩٦٤ مقالا اتهمت فيه الصين بأنها أصبحت المنتج الأول للافيون فى العالم ، وانها تنفق ايرادات هذا الأفيون فى «الدعاية المعادية للسوفيت ، أو لدفع ثمن خدمات عملاء الانقساميين الصينيين » !!

وقد ردت عليها مجلة بكين ريفيو تحت عنوان : « ألا تعرف البرافدا معنى الخجل ؟! » جاء فيه : « هذا يوضح الى أى مستوى هوت الصحيفة السوفيتية » (١) .

---

(١) بكين ريفيو العدد ٣٩ ص ١٣–١٤ .. ٢٥–٩–١٩٦٤ .



يقال هذه شنشنة نعرفها من أخزم .. وهذه هي اللهجة الشيوعية المعتادة .. وهذا صحيح !.. الا أن استخدام هذه اللغة داخل الأحزاب الشيوعية كان دائما أبدا ينتهي اما بالانقسام ، ان كان الحزب في المعارضة ، أو بشنق الطرف المنهزم ، ان كان الحزب في الحكم .. أما الآن ، والصينيون لايستطيعون شنق الروس (١) ، ولا يستطيع الروس اعادة ماوتسي تونج وليوتشاوتشي الى وظائفهم الأصلية .. فلا مفر من الاعتراف بانتهاء مايسمى بوحدة المعسكر الاشتراكى (٢) .

وذلك ما يحس به الشيوعيون أنفسهم ويتحدثون عنه ولو في لهجة التحذير .

الصين تقول : « لم يحدث أبدا من قبل أن أصبحت وحدة الحركة الشيوعية العالمية مهددة بهذه الصورة الخطيرة كما هى الآن .. ان الحركة الشيوعية العالمية مواجهة بخطر الانقسام بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل » (٣) .

---

(١) وان كان شنق أنصار كل منهما يجرى على قدم وساق ، شنقت البانيا عددا من كبار العسكريين لانهم عملاء لروسيا ، وانتحر وسيشنق عدد من القادة البلغاريين لانهم كانوا يعدون انقلابا مواليا للصين .. وقد شنق فى شرق أوروبا عدد لاباس به بتهمة العمل لحساب تيتو .. أو ستالين !.

(٢) قد يبدو اننا نبالغ فى اثبات مالا يحتاج لكل هذه الادلة ولكن ليتذكر القارىء الفاضل اننا عندما كتبنا هذا الكتاب كان البعض مازال سادرا فى أوهام المعسكر الشيوعى .. وكان ينظر الى اكتشافاتنا كأنها خرافات (ب) .

(٣) السطور الثلاثة الاولى من كتاب « قادة الحزب الشيوعى السوفياتى أكبر الانقساميين فى عهدنا الحاضر » نشر في بكين.

وروسيا ترى أنه : « لا يوجد هناك أدنى شك في أن بكين تقود طريقا يهدف الى انشقاق الأحزاب الشيوعية ، وتكوين مجموعة معادية تعمل ضد الماركسية ـ اللينية » .

« ان الهدف الحقيقي لقيادة الحزب الشيوعي الصيني هو تفكيك الجبهة الشيوعية المتحدة ، ومعارضة الحركة الشيوعية بكتلة من مجموعات المؤيدين للأعمال الصينية ، واخضاع الأحزاب الشيوعية لتأثيرها » (١) .

والصين أيضا ترى أن « قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، بجعلهم التعايش السلمي الخط العام للسياسة الخارجية ، قد صفوا علاقات الأممية البروليتارية في المساعدة المتبادلة والتعاون بين الأقطار الاشتراكية ، ووضعوا الأقطار الاشتراكية الشقيقة على نفس الصعيد مع الأقطار الرأسمالية . وهذا يعني تصفية المعسكر الاشتراكي » (٢) .

« ان قادة الحزب الشيوعي السوفيتي يسعون جاهدين لتحطيم المعسكر الاشتراكي . ويستخدمون كل نوع من الأكاذيب والافتراءات ضد الحزب الشيوعي الصيني . ويقومون بالضغط السياسي والاقتصادي على الصين ، أما بالنسبة لألبانيا الاشتراكية فلن يرضيهم شيء أقل من القضاء عليها ، وقد قاموا بالضغط ،

(١) ص ١٣ ـ ١٤ من قرار الاجتماع الشامل .

(٢) ص ٣٢ من « سياستان للتعايش السلمي » طبعة بكين بالعربية .

يداً بيد مع الاستعمار الأمريكى ، على كوبا الثورية (لاحظ ألبانيا «الاشتراكية» وكوبا «الثورية») طالبين منها ، التضحية بسيادتها وكرامتها » (١) .

وتنقل الصين عن الصحافة الأمريكية : « حطم خرشوف بصورة قاطعة الكتلة الموحدة التى كانت فى أيام ستالين .. وقد تكون هذه أعظم خدمة أداها خرشوف » (٢) .

وترى الصين أن « قادة الحزب الشيوعى السوفيتى مصرون على السعى الى التعاون السوفيتى ــ الأمريكى للسيطرة على العالم ، وهم يعتبرون الاستعمار الأمريكى ــ ألد أعداء شعوب العالم ــ أعظم صديق يعتمدون عليه ، بينما يعاملون الأحزاب والأقطار الشقيقة التى تلتزم بالماركسية ــ اللينية معاملة الأعداء » (٣) .

« ان موقف القادة السوفيت ازاء مسألة الحدود الصينية الهندية ، هو خيانة للأممية البروليتارية ، وهكذا خانوا المعسكر الاشتراكى والشعب الهندى أيضا » (٤) .

---

(١) ص ٥٢ .

(٢) قادة الحزب الشيوعى .. الخ ص ٢٧

(٣) قادة الحزب .. ص ٢٣

(٤) حقيقة تحالف قادة الحزب الشيوعى السوفيتى مع الهند ضد الصين ص ٣٧ .

ولما أعفي خرشوف من منصبه ، لم تبخل عليه الصين بكلمة تأبين مناسبة !

تحت عنوان : « لماذا سقط خرشوف » قالت افتتاحية مجلة (العلم الأحمر) : «كان يستسلم أمام الاستعمار ، يلغى ويعارض النضالات الثورية لشعوب العالم ، ويمارس الانقسامية فى الحركة الشيوعية العالمية ، مستبدلا بالأممية البروليتارية ، شوفينية الدولة الكبرى » (١) .

« واستجابة لحاجات الاستعمار الامريكى فى بسط سياسة الابتزاز النووى ومنعا للصين الاشتراكية من بناء قوتها النووية للدفاع عن النفس » .. « خان بجنون وبلا ضمير مصالح الشعب السوفيتي ومصالح شعوب البلدان الاشتراكية ومصالح الشعوب المحبة للسلام فى كل العالم » .

وحتى لا تترك الصين مجالا لتفسير اتهاماتها هذه بانحرافه شخصي لخرشوف ، تعلن فى نهاية الكتاب أن كل الدلائل تشهد الى الرغبة فى ممارسة الخروشوفية بدون خرشوف (٢) ! .

---

(١) ص ٢

(٢) وقد صدقت توقعات الصين ومضى خلفاء خرشوف خطوات ابعد فى العداء السوفيتى الصينى . ذلك انه عداء لايمت للافكار بصلة بل عداء القوميات الاولى . منذ القيصر والامبراطور وستالين وماوتس تونج وخرشوف وبرزينيف وليوتشاوشى . وخلف ذلك كله الروس فى مواجهة الصين (ب) .

وترد روسيا :

« أبدى القادة الصينيون فى السنوات الحالية أنهم لا يهتمون بتقوية وحدة النظام الاشتراكى العالمى ، ولم ترفض جمهورية الصين الشعبية تنسيق أعمالها مع الدول الاشتراكية الأخرى فحسب ، بل انها بصراحة تعارض أيضا الاتجاه المتفق عليه بين الدول الاشتراكية فى الصعيد الدولى .. وخرجت الصين علانية لتهز دعائم المجتمع الاشتراكى ، وتقطع العلاقات الاقتصادية مع الدول الاشتراكية وخاصة مع دول الكوميسون ، والاتحاد السوفيتى علاوة على ذلك » (١) .

« ابتداء من عام ١٩٦٠ غير قادة حزب العمل الألبانى فجأة اتجاههم السياسى . رغم اننا لم نعطهم أى سبب لعمل هذا . وقاموا بأعمال معادية للحزب الشيوعى بالاتحاد السوفيتى وغيره من الأحزاب الشقيقة . وقد قطعت حكومة جمهورية ألبانيا الشعبية التعاون السياسى والاقتصادى والعسكرى مع الاتحاد السوفيتى، وكثير من الدول الاشتراكية الأخرى . وكان من الصعب فى البداية أن نرى ماذا شجع تحركات هوكسها وشيهو (صحة أسمائهم الاسلامية .. خوجه وشيحو أو شيخو) ولكن بمرور الوقت أصبح من الواضح جدا أن الزعماء الألبانيين قد أخذوا تعليماتهم

---

(١) قرار الاجتماع الشامل ص ٢٢ .

من شـــخص آخر .. لأنهم ذكروا كل كلمـــة قيلت أو كتبت في بكين » (1) .

واتهمت روســـيا الصـــين بأنها انتهزت فرصـــة أزمة كوبا والصواريخ لخدمة أهدافها على الحدود الهندية(2) .

وتسخر كوريا الشمالية من زعامة روسيا فتقول صحيفـــة (رودنج شينمون) لسان حال اللجنـــة المركزية لحزب العمـــال الكورى بتاريخ ٧ سبتمبر ١٩٦٤ وترجمت لها ونشرت (بكين ريفيو) الصينية : « ان كلمات البرافدا لا يستخدمها الا شوفينيو الدول الكبرى ، الذين اعتادوا اعتبار أنفسهم مخولين حق تقرير كل شيء ، والأمر بكل شيء ، وأن الآخرين جهلة ، وهم وحدهم الذين يعرفون » .. « هذه طريقة (أى البرافدا) الرجل الذى يعترف بنفسه فقط وأنه كل شيء فى العالم ، كلماته فى حد ذاتها قانون ونظرية ! » (3) .

وتعلق على انتقادات البرافدا للندوة الاقتصادية الآسيوية التى انعقدت فى بيونج يانج فى يونيه من العام الماضى . فتقول : « لمـــاذا هذا التشهير العدوانى بنجاح ندوة بيونج يانج .. ؟ ! ثم تفسر هذا العداء بأنه « والحق يقال .. هذه الندوة تعـــكس

---

(1) قرار الاجتماع الشامل ص ١٦ .

(2) ص ٣٨ .

(3) بكين ريفيو عدد ٣٨ ـ ١٩٦٥/٩/١٨ ص ٢٣ .

اندفاع شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ضد الاستعمار وتطلعهم الى الاعتمـاد على أنفسـهم ، وبناء اقتصـاد وطنى مستقل » [1] .

لهذا تعادي روسيا الندوة .. فى اعتقاد كوريا الشمالية ؟ ! . أما زال البعض يتحدث عن « معسكر » اشتراكى ؟ !

وتنقل الصحيفة الكورية[2] تعليق صوت أمريكا على الندوة ثم تعليق البرافدا وتصيح فى شماتة : « أى تشابه ملحوظ بين صوت البرافدا وصوت أمريكا » .

ويجب أن نقف عند رفض الاتحاد السوفيتى اعطاء الصين ، الشقيقة الكبرى ، القنبـلة الذرية ، ولو أن البعض يحاول أن يسلك هذا الموقف فى أسباب الخلاف بين الصين وروسيا .. الا أننا نرى أن هذا الموقف هو نتيجة حتمية لاختفاء وحدة المعسكر الشيوعى ، السابق على الرفض السوفيتى .. وأيضا هو موقف طبيعى جدا تحتمه السياسة القومية لروسـيا .. وحرصـا على سلامتها من جاراتها الخطرة ..

وقد رفضت الصين نظرية الدفاع المشترك التى دعت اليهـا روسيا ، وأصرت على أن تملك قنبلتها الذرية .. «ولو كلفها ذلك جهد مائة عام » .

---

(١) ص ٢٣ .

(٢) لسان حال الحزب الحاكم فى كوريا الشمالية الشيوعية .

قالت روسيا : « السلاح الذرى للاتحاد السوفيتى ضمان يمكن الاعتماد عليه للدفاع لا عن بلدنا فحسب ، بل عن كل المعسكر الاشتراكى بما فيه الصين ، وقادة جمهورية الصين الشعبية متنبهون لهذا جيدا . وبالرغم من ذلك .. قالوا أن الصين ستخلق سلاحها الثورى الخاص بها مهما كان الثمن » (١) .

ومنطق روسيا ، هو نفس المنطق الذى كانت تعلل به أمريكا حلفاءها الصغار .. والذى رفضته بريطانيا وفرنسا .. وقد تكون وجهة النظر هذه منطقية جدا ، اذا ما سقطنا مرة أخرى فى التفسيرات الصبيانية عن الأخوة الشيوعية ، والأممية البروليتارية والتى تعرف الصين جيدا مدى جديتها .. ومن الممكن حقا أن تحمى القنبلة الروسية الدول الشيوعية بما فيها الصين ضد عدوان الدول الرأسمالية ..

ربما ..

ولكن من يحمى الصين من خطر الأشقاء (٢) ؟!.

مرة أخرى لا أريد أن أفرض نفسى على الحديث .. انما أترك كلماتهم هم ترسم صورة الموقف .. حتى لا يعود أحد يتحدث عن «معسكر» .

---

(١) قرار الاجتماع ص ٤٢ .

(٢) بل ربما كانت الضمانة الاولى ضد وقوع الحرب بين روسيا وامريكا هى حاجة كل منهما الى الأخرى لصد الخطر الصينى (ب) .

أعلن ليوتشاوتشي رئيس جمهورية الصين الشعبية فى خطابه بجونجيانج فى ١٨ سبتمبر ١٩٦٣ « ان الاتحاد السوفيتي فى اتفاقه مع الامبرياليين ، قد احتكر السلاح النووى ، ويقيم تهديداً نوويا فيما يتعلق بشعوب الدول الاشتراكية ، والشعوب الثورية فى كل أنحاء العالم » (١) .

ويعلن الحزب الشيوعى اليابانى مخاطبا الاتحاد السوفيتي : « ان سياستكم تهدف الى منع الدول الاشتراكية الأخرى من تقوية دفاعها ، وتخدم أطماع الولايات المتحدة فى احتكار السلاح الذرى الى الأبد ، وتسهل بلطجتها الذرية » (٢) .

وللتفكه — ليس الا — نختم هذا الحديث باقتراح تقدم به حزب « شغيلة » فيتنام فى يناير ١٩٦٢ .

« وجوب ايقاف الهجوم المتبادل فى الاذاعة والصحف بين الأحزاب الشيوعية » (٣) .

ألا يذكرنا ذلك باجتماعات الجامعة العربية !

---

(١) من قرار الاجتماع .. الخ .. ص ٤٣ .

(٢) رد اللجنة المركزية للحزب الشيوعى اليابانى فى صحيفة أكاهاتا .. بتاريخ ٢ سبتمبر ، وأعادت نشره بكين ريفيو عدد ٣٨ .

(٣) ص ٦١ من قاعدة الحزب الشيوعى .. الخ .



فلم يعد هناك ما يسمى بالمعسكر الاشتراكى ، ولا مجال اذن للحديث عن رد فعل موحد من جانب الدول الشيوعية ، ازاء موقف البلد المعين من الشيوعيين المحليين فيها ..

لأن الشيوعية المحلية بعد انتهاء النظام البابوى ، وانشقاق الكنيسة وتفرق مجمع الكرادلة ، أصبحت اما تتبع هذه المجموعة أو تلك فى الصراع الرهيب الدائر بين روسيا والصين ، حول تزعم الأحزاب الشيوعية ، والدول الشيوعية ..

وبالتالى فان الموقف المعين من الشيوعية المحلية قد يغضب هذه المجموعة بقدر ما يسعد المجموعة المضادة .. بل قد يلقى تأييدا من فريق شيوعى ضد فريق آخر فى نفس البلد .. كما تؤيد قيادة الحزب الشيوعى الهندى اعتقال الشيوعيين المؤيدين للصين (١) .

وكذلك فان انفراط عقد المعسكر الشيوعى ، قد جعل دوله أكثر صراحة فى الذود عن مصالحها والاهتمام بهذه المصالح ، دون مراعاة لواجبات الأخوة الرفاقية .

وان تكن هذه السياسة متبعة من البداية ، الا أنها اليوم أكثر صراحة ووضوحا .. ليس فقط فى تعاملها مع الدول غير الشيوعية بل حتى فى تعاملها مع بعضها البعض .

---

(١) وكما كان ذبح ثمانين الف شيوعى فى اندونسيا بداية تحسن العلاقات بين اندونسيا والاتحاد السوفييتى (ب) .

ويبدو ان الاتجاه السوفيتي في هذه المرحلة هو الاعتماد على الصلات الدولية ، والمنافسة الاقتصادية للغرب .. وأن ثقة القيادة السوفيتية بقدرتها على مقاومة النفوذ الصينى فى الأحزاب الشيوعية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتنية موضع شك عند الروس أنفسهم . ولذا تؤيد القيادة السوفيتية التخلص نهائيا من صداع الأحزاب الشيوعية فى هذه البلدان .. وقهر الرأسمالية بالتنافس السلمى والتفوق فى العلاقات الاقتصادية ..

وبقدر ما نرفض نحن الماركسية ، نعتز بكل مساعدة تقدمها لنا دولة شيوعية .. نعتز بالمساعدة المادية الفعالة التى يقدمها لنا الاتحاد السوفيتى فى بناء السد العالى وتنفيذ مشاريعنا الصناعية والتأييد الأدبى الكبير الذى تقدمه الصين لقضية فلسطين ..

ولاشك أن امكانيات غير الماركسيين أوسع فى مجال الصداقة والتعاون مع الدول الشيوعية .. وذلك لأن انطلاقنا من وجهة النظر القومية وحدها .. لا يجعلنا طرفا فى النزاع بينهم . بل يجعلهم يتسابقون على خطب ودنا (١) . بينما يحتم على الشيوعى أن ينحاز الى أحد الجانبين . فان انحاز كان عليه أن يحمل تبعات الولاء لقائد هذا الجانب وعداوة الجانب الآخر ..

(١) كما يجرى الآن فعلا التسابق بين الصين وروسيا على كسب تأييدنا لوجهة نظرهم فى المؤتمرات الاسيوية والافريقية .

أما نحن ــ فكما قلنا ــ لايعنينا من هذا الصراع الا اتصاله بمصالحنا القومية .. ولا نقف طويلا عند الحديث عن دكتاتورية البروليتاريا والطرق المتعددة للاشتراكية . لأننا لانبحث عن اعتراف باشتراكيتنا الا من الشعب .. ولا نعتذر عن طريقنا الخــــاص فى الاشتراكية بتلمس « غرائب الحديث » فان ذلك يوقع فى الكذب كما جاء فى الأثر .



الشيوعيون أن مهاجمة الشيوعية أو الماركسية انما تهدف الى النيل من الاشتراكية .. وأنها ستار تختفى الرجعية خلفه للطعن فى الاجراءات الاشتراكية !.

وهو قول يبلغ من السخف حدا يغرى بتجاهله ، لولا أن من تقاليد حضارتنا العربية ، هذه « الفنقلة » أى فان قال كذا ..قلنا كذا والولع بتقصى الفروض ـ مهما بلغ من استحالتها وسخافتها ـ وتفنيدها والرد عليها .

ولا نريد أن نقف طويلا عند المحاولات المبكية والمضحكة التى يبذلها الشيوعيون ، فى التفتيش عن نص نظرى عقب كل تصرف مدهش تفاجئهم به السلطات الاشتراكية !.

وأحسب ان أول السخف فى ادعاءات الشيوعيين ، هو ادعاء قرابة مزعومة بين الشيوعيين والاشتراكية !.. والحق يقال أن أكبر قوة معادية للاشتراكية فى المجتمع العربى كانت التنظيمات الشيوعية ..

ليس للشيوعيين فضل فى الاشتراكية ولاسبق اجتهاد .. بل هم الذين كانوا يعارضون قيامها ، ويفلسفون استمرار السيطرة الرأسمالية بحجة أن ساعة زوالها لم تحن بعد .. فقاموا بدور محامى الرأسمالية الذى يبذل كل براعته لتأجيل التنفيذ والاشكال فى الحكم !.

والماركسية كما انتقلت للشيوعيين العرب ، كانت تقـول بأن الاشتراكية هى قضية الطبقة العاملة ، وحتى عندما توسعوا فى التفسير وقالوا ان الاشتراكية هى قضية كل الشـــعب .. كان مفهوما ان هذه القضية لاتحل الا تحت قيادة الطبقة العاملة ممثلة فى حزبها الشيوعى .. ومن ثم فلا طريق للاشتراكية الا الطـريق الماركسى ، والحزب الشيوعى هو وحده الذى يملك كلمة السر لعبور الطريق المسدود على غير الماركسيين .

ولمـا كانت البلدان العربيــة ، تمتاز بوجود الاســتعمار والاقطاع وأيضا بضعف الحركة الشيوعية .. كما تفضلت عليها النظرية الماركسية فجعلتها « احتياطى » (!!) للثورة العالمية التى تدور فى بلاد « الكبار » ويقودها عمالهم « الشطار » .. وليس علينا نحن الا أن نكون الوقود الثورى لكفاحهم !

ومن ثم فواجباتنا التاريخية هى اتمام الثورة الوطنية بالتحرر من الاستعمار وتصفية الاقطاع ، ثم تشجيع رأس المــال العربى الكبير ، حتى يتم نضج الظروف الموضوعية والذاتية لاعــلان الثورة الاشتراكية !

وبالتالى فان أى دعوة للاشتراكية من خارج الحزب الشيوعى هى دعوة مزيفة تستهدف التضليل والتشويه وتزييف الشعارات لحمــاية المصالح الحقيقية للرأســمالية .. لذلك لم تنطـل على الشيوعيين العرب ، الأذكياء بنور الماركسية ، خدعة «الاشتراكية

الناصرية» . وعقب كل حركة تأميم ، كان لابد من تفسير يثبت ان كل هذا الذى يجرى ، ليس اشتراكية ، ولكنه مكر ماكرين لزيادة أرباح الرأسمالية . وحمايتها من الخطر الشيوعى .

وقد أتيحت للشيوعيين العرب فرصة العمل العلنى فى الوطن العربى خلال الفترة من صيف عام ١٩٥٦ الى أن تم انحيازهم لعبد الكريم قاسم فى أواخر عام ١٩٥٨ .. ثم استمروا فى العراق الى مطلع عام ١٩٦٢ .. وقد وصلت بهم الأحلام فى العراق الى حد رفع شعار : « اشتراك الحزب الشيوعى فى الحكم مطلب عظيمى » .

وفى ظل اعلان الاشتراكية ، ومناداة معظم الأحزاب الثورية العربية بها .. كانت الفرصة مواتية جدا لمن يزيد حقا اقامة الاشتراكية .. أن ينادى بها ، أو أن يعلنها فى برنامجه ، موضحا الطريق السليم اليها ان كان يرى الزيف فى طريق الآخرين ..

ولكن .. العكس هو ما حدث .. لقد بذل الشيوعيون العرب جهدا فائقا فى اثبات ان الاشتراكية هى الهدف البعيد ؟ وانها ليست مطلبا «عظيما ولا ضئيلا» .. ودافعوا بحرارة عن حق الرأسمالية فى البقاء ..

قال الشيوعيون(١) :

---

(١) من كتاب القومية والديمقراطية : محاضرة القيت فى قاعة الشعب بدعوة من جمعية الخريجين .. ويتضمن أيضا مفاهيم خاطئة حول القومية والأممية بقلم ابن خلدون . « وملاحظات حول الأممية والقومية ايضا » للاستاذ محمود امين العالم مطبعة النجوم ــ بغداد ــ تليفون ٨٨٦٥٩ (فى العهد القاسمى) .

« فبالنسبة للمرحلة الراهنة من كفاح العرب الثورى نرى أن المطامح الديموقراطية لهذا الـكفاح تتحدد فى :

(أ) اقتصاديا واجتماعيا :

١ ــ تصفية الاقطاع ، وتحقيق اصلاحات زراعية جذرية لصلحة جمهرة الفلاحين وخاصة الفقراء منهم ، وهو المحور الاجتماعى للثورة .

٢ ــ تصنيع البلاد وتشجيع الرأسمال الوطنى الحكومى والفردى فى الصناعة والتجارة .

٣ ــ تحقيق المطالب اليومية للعمال .

٤ ــ تطمين مطالب الحرفيين والكسبة وصغار التجار والمثقفين .

٥ ــ نشر الثقافة والتعليم ..

٦ ــ مساواة الرجل والمرأة .

٧ ــ ازالة القوانين الرجعية .

هذه هى أهم جوانب المحتوى الديمقراطى اقتصاديا واجتماعيا . أما مسألة تحقيق الاشتراكية فغير واردة اطلاقا (هذا ليس تعليقى بل نص الكتاب بالحرف الواحد) .. ان الاشتراكية تعنى تصفية الرأسمال الوطنى الفردى وتأميم المشاريع الفردية تدريجيا وتحويل الزراعة والحرف تحويلا اشتراكيا ..

وهذا لا ينطبق وحاجيات المجتمعات العربية اليوم (! !) أما الدعوات التى تنادى بالاشتراكية كهدف آنى ، فليست علمية وهى خطرة من ناحيتين :

أولا : لأنها تحرف المعنى الحقيقى للاشتراكية وتموه الجماهير (كذا) .

وثانيا : لأنها قد تدفع الرأسماليين الوطنيين بعيدا عن معسكر الحركة فى حين ان لهم دورا هاما سواء فى الثورة أو فى بناء بلد عربى متحرر .. والبلاد العربية المتحررة بحاجة الى دور الرأسمال الوطنى الفردى الى أمد طويل » .. (!! التعجب من عندنا) .

أمن مثل هـذا التفكير كان يمكن أن ينطلق أى كفاح اشتراكى .. أليست هذه « العلمية » هى التى قادتهم الى معاداة الثورات الاشتراكية ومحالفة الرجعية ؟ !

نعود الى الكتاب الشيوعى :

« ومن الواضح أن حملة هذه الشعارات المبهمة المشوشة لا يدعون الى تأميم المشاريع الفردية كهدف نهائى . ومع ذلك يسمون مرحلتنا المعادية للاستعمار والاقطاع والرأسمال الخائن بمرحلة التحرر والاشتراكية . والاشتراكية كما قال مناضل عربى كبير (خالد بكداش) لا يمكن تحقيقها بمجرد قرار من الحكم القائم ، ولا بمجرد رغبات حزب من الأحزاب أو هيئة من الهيئات فلتحقيق الاشتراكية ينبغى أن تكون القوى المنتجة فى البلاد

على مستوى معين ، أى انه ينبغى أن يكون الانتاج قد بلغ درجة معينة من تطوره » (١) .

ويقول كتاب الشيوعيين « ان الاشتراكية فى الحقيقة ، هدف بعيد .. ولا يمكن وضع أهداف اشتراكية أمامنا قبل اتمام المهام الأساسية لمرحلة الكفاح الوطنى الديمقراطى ..

ومن الغريب أن يدعى للاشتراكية فى بلاد عربية متحررة لم تستطيع حتى الآن تحقيق اصلاح زراعى جذرى ، وحيث ازدهرت مرتبة أغنياء الفلاحين المستغلة ، وحيث أخذ عدد متزايد من الفلاحين يبيعون أراضيهم بسبب الحاجة الى المساعدة المادية لهم ! هذا فضلا عن أن الانتقال للاشتراكية يتطلب مستوى معينا من التنظيم الجماهيرى ، ونوعا خاصا من الوعى الجماهيرى غير متوفرين الآن » (٢) .

وفى افتتاحية (اتحاد الشعب) صحيفة الحزب الشيوعى العراقى الصادر فى ١٥ كانون ١٩٦٠ (٣) :

---

(١) لذلك أبرق بكداش من منفاه يهنىء النحلاوى بالغاء الاشتراكية ، وسارع يستقل الطائرة عائدا الى دمشق مطمئنا على نفسه وكفاحه ، مادامت الاشتراكية قد الغيت !

(٢) ص ٢٠ ــ ٢٢

(٣) هذه قصاصات احتفظ بها من أيام الفتنة القاسمية وقد فاتنى أن أكتب عليها عند القص كانون أول أو ثان .

« ولكن كثيرا من الأحزاب ، تلجأ فى الغالب الى الاعلان عن أهداف أوسع مما تحتملها طبيعة المصالح التى تمثلها ، وغالبا ما تصاغ مثل هذه الأهداف بشكل يتوخى مجاراة الطموح الواسع لجماهير الشعب ، دون أن يكون هناك أساس واقعى لهذه الأهداف .

وقدا استند (حزبنا) فى تحديد هذه المهام على طبيعة الثورة وظروف بلادنا وخصائص مجتمعنا ، مسترشدا فى ذلك بمبادىء الاشتراكية العلمية » ..

« وان هذه المبادىء التى نهتدى بها أبدا فى نضالنا هى التى أرشدتنا فى تعيين أهدافنا ، كما جاءت فى الميثاق الوطنى لحزبنا ، وهى التى جعلتنا ــ رغم كوننا أنصار الاشتراكية ــ لا نضمن ميثاقنا الوطنى الذى نناضل من أجل تحقيقه ، أهدافا « اشتراكية » ، خلافا لأولئك الذين يضطرون ــ بدافع تعاظم شعبية الأفكار التقدمية والشعارات الاشتراكية ــ الى تبنى أو التظاهر بالعمل من أجل الاشتراكية .. حتى ولو كانوا أبعد الناس عنها ، كما يحاول عبد الناصر أن يصف حركته « بالاشتراكية التعاونية » (!!)

« ان الماركسية اللينينية التى نسترشد بها فى نضالنا هى خير عاصم لنا من الانسياق وراء شعارات وأهداف بعيدة عن الظروف الواقعية لحياة مجتمعنا المادية .. لقد حاول أعداء جمهوريتنا أن

يوحوا بأننا نحن الشيوعيين أصبحنا نعتبر مرحلة التحرر الوطنى والديمقراطية قد انتهت ، وأننا تبعا لذلك نسعى فى الحال لتحقيق الاشتراكية (حاشا لله) ..

ولا يخفى أن تلك الدسـائس . . الخ (لعن الله الدس والدساسين وبرأكم من الاشتراكية)

« ان المهمات التحررية الديمقراطية التى يناضل حزبنا من أجلها ليست موجهة ضد العلاقات الانتاجية البورجوازية ــ الرأسمالية ــ » .

ويقول خالد بكداش : « كل كلام حول القفز فوق هذه المرحلة التاريخية .. مرحلة التحرر الوطنى الديمقراطى ، والدخول رأسا فى مرحلة الاشتراكية ، هو كلام يؤدى عن قصد أو غير قصد الى تضليل الشعب ، والى محاولة تشويه المفهوم الصحيح للاشتراكية » (١) .

وكون المرء شيوعيا .. لا يبيح له أن يكون كاذبا أيضا .. ولا يعنى أن نلغى نحن عقولنا فنصدق أن الشيوعيين قد دعوا للاشتراكية ، فضلا عن الادعاء الفارغ بأنهم أول من دعا لها !

الشيوعيون لم يدعوا الى الاشتراكية فى الوطن العربى ، لا قبل عبد الناصر ولا فى ظله ، بل عارضوا كل دعوة لها ، باعتبار

(١) جريدة الصرخة أغسطس ١٩٥٤ (حقيقة الشيوعيين) .

أن مثل هذه الدعوة السابقة لأوانها تضليل ، لأن الاشتراكية لها ميقات معلوم ، بعد اتمام الثورة البورجوازية الديمقراطية ، ولها رجال مسومون .. هم الحزب الشيوعى ..

لقد حاربوا الاشتراكية ، ونشروا اليـأس بين الجماهير .. وحاربوا تطلعها الى الاشتراكية ، ونالوا الجزاء وأصدروا بأيديهم حكم اعدامهم سياسيا ، ورأينا على أرضنا العربية لأول مرة فى التاريخ أحزابا شيوعية تعلن تصفية نفسها (١) ، جزاء وفاقا ، عندما قام النظام الاشتراكى بعيدا عنها ، بل وبرغم جهودها .

اللهم لا شماتة . .

وهكذا يسقط ادعاء احتكار الشيوعيين للاشتراكية أو سبق الدعوة لها ، كما يسقط حق المطالبة به ، بتصفية التركة وتفرق الورثة .

فماذا عن الاشتراكية ذاتها ؟ .

الاشتراكية بمعنى رفض الاستغلال ، رفض استئثار الأقلية بثروات المجتمع حتى لا تكون دولة بينهم .

الاشتراكية بمعنى أن تكون الثروة من حق المجموع كله ،

---

(١) لم اكن دقيقا فى هـذا التحديد فقد سبقهم الى هـذا الموقف الحزب الشيوعى الصينى عندما قرر الاندماج فى الكومنتانج . والحزب الشيوعى الامريكى عندما طلبت أمريكا من روسيا حله ثمنا لمساعداتها فى الحرب الماضية (ب) .

له الولاية عليها وله خيراتها .. بروح التعـاطف والتآخى ، .
الاشتراكية بهذا المفهوم ، هى مظاهر طبيعية جداً ، ومتواضعة جدا فى حضارتنا الاسلامية . أما محاولة ادخال كل حضارتنا فى الاشتراكية فنوع من خداع البصر ، كمن يضع القرش أمام عينه فلا يرى الشمس ، ويزعم أن القرش أكبر من الشمس !

لم يكن ماركس يحمل رسالة ، ولا يدعو لحضارة جديدة ، بل هو ابن بار للحضارة الغربية ، صنع نظريته من الفلسفة الألمانية والاشتراكية الفرنسية ، والاقتصاد السياسى الانجليزى(١) ، أى عصارة الحضارة الغربية فى قمة نموها(٢) .

وماركس يؤمن بالحضارة الغربية بكل قيمها وتاريخها ، ويعتز بهذا التاريخ ، ويعتبره تقدما للبشرية فى طريقها نحو النصر الأكبر ويسمى جرائم هذه الحضارة ، حتمية تاريخية ، ولا يرجعها الى فلسفتها بقدر ما يرجعها الى الضرورات الاقتصادية .

وكل ما يتقدم به ماركس هو حل لانقاذ هـذه الحضارة ،

---

(١) لنين .. تعاليم كارل ماركس (كتبه لدائرة المعارف البريطانية)

(٢) فالشيوعية اذن ، سلاح ، وهو سلاح من أصل غربى مثل القنابل والطائرات والمدافع ، فلو لم يخترعه غربيان عاشا فى القرن التاسع عشر هما كارل ماركس وفردريك انجلز ، اللذان تربيا فى اقليم نهر الراين ، وقضيا أحسن جزء من حياتهما العاملة فى مدينة لندن ، ثم بعد ذلك فى مانشستر — لما أصبحت الشيوعية مذهب روسيا السياسى ، ذلك انه لم يكن فى التقاليد الروسية .. ما كان يمكن أن يؤدى بالروس الى اختراع الشيوعية بأنفسهم . ومن المؤكد انهم ما كانوا قط يحلمون بهذا السلاح لو لم يكن موجودا فى الغرب (توينبى)

واخراجها من ورطتها ، أى التناقض بين العمل الجماعى والملكية الفردية .. التناقض الذى أوقعت فيه نفسها فجاء مخلصها ماركس يحل لها هذا التناقض بالدعوة الى الملكية العامة لوسائل الانتاج.

كل ما كان يعنى ماركس ، هو اطلاق سراح قوى التقدم لهذه الحضارة كما تنطلق من جديد .

أما نحن فنعادى الحضارة الغربية ، وندعو لحضارتنا نحن .. وبالتالى فليست كل القضية عندنا هى حل هذا التناقض بين العمل الجماعى والملكية الفردية(1) . وليست اشتراكيتنا هى الماركسية .

اسلامنا أكبر من الماركسية ، ومن الحضارة الغربية التى أنجبت ماركس .

اشتراكيتنا هى الوضع الطبيعى فى الحضارة الاسلامية ، وقضية تنبع من أخلاقنا العربية وتعاليمنا الاسلامية .

والماركسية قد بهرت الحضارة الغربية ، واعتبرت ثورة فى الفكر الغربى لأن هذه الحضارة ترفض فكرة المساواة .. منذ أن وضع افلاطون فى جبلة الخلق الأولى معادن يتمايز بها الناس وفقا لأسعارها ! فمن وضع فى طينته ذهب ، ساد من كان حظه فضة . والثانى يسود من وضعت الآلهة فى عجينته النحاس ! .

---

(1) بل اننا لم نصل أبدا لهذا التناقض .. والاشتراكية قد قامت فى أبعد البلاد عنه .

وجاءت الكنيسة ، تتدرج فيها المناصب فى نظام طبقى أعنف من طبقات الهندوس .. الى خرافة الدم الأزرق .. الى ماركس نفسه !

هل آمن ماركس ، أو دعا للاشتراكية ، ايمانا بمساواة البشر أو « ليس منا من بات شبعان .. وجاره جائع » (1) .

أبدا .. آمن بالاشتراكية باعتبارها قضاء لا مرد له .

والاشتراكية فى الحضارة الاسلامية سلوك طبيعى ، الماركسية مازالت تجادل منذ أكثر من قرن ، فى فكرة تملك المجتمع لمصادر الثروة .. بينما هذه القضية بديهية فى المجتمع الاسلامى ، حتى أن الدول البترولية العربية لم تثر فيها مشكلة على الاطلاق حول شكل ملكية الحصة العربية فى البترول .. بل كانت منذ اليوم الأول للدولة ، مهما تكن الاعتراضات على شكل دولة من الدول أو على طريقة استخدام هذه الحصة .

ان اقناعنا بالملكية الفردية كان المهمة الأصعب منذ القرن التاسع عشر ، بينما كان تملك المجتمع هو السلوك الطبيعى المقبول عندنا .

ولقد وضعت الدواوين فى صدر الاسلام فى عهد عمر لا لتقدير الضرائب والاتاوات على المواطنين ، بل لتسهيل صرف

---

(1) حديث شريف

العطاءات .. المرتبات التى التزمت بها الدولة ازاء جميع رعاياها منذ لحظة مولدهم ، وقبل أن يولد ماركس بثلاثة عشر قرنا ! . ودون حركة سياسية ولا نقابات ولا أحزاب ! بينما لا يزال يدور نقاش حاد حول اعانات العاطلين ومعاشات التقاعـــد فى أوروبا وأمريكا .. وهل يتفق ذلك مع روح المجتمع الأمريكى «العظيم» والحضارة الغربية .. الخ .

وعمر بن الخطاب يرى شيخا يهوديا يسأل الناس ، فيعلن أن الدولة لم تنصف اليهودى .. أكلت شبيبته وضيعت شيخوخته ، ويأمر له بمعاش !

والى الآن لم نر نظاما اجتماعيا يفرض للناس مرتبات . وعمر رضى الله عنه ، عندما قرر للذين بلغوا الفطام ، وسمع طفلا يبكى لأن أمه تريد أن تفطمه ليسجل فى كشوف المرتبات ، بكى وأنب نفسه قائلا : « ويحك يا عمر .. كم قتلت من أبناء المســلمين » وأمر أن يقرر المرتب لــكل طفل يولد .

أقصى ما وصلت اليه الحضارة الغربية وباسم الاشتراكية هو « من كل قدر طاقته ولــكل حسب عمله .. »

انه شعار صيارفة ! .

أو « من لا يعمل لا يأكل » . تأمل هذا الشعار ، انه حقــا شعار وحشى .. شعار الغابة .. الضباع أيضا من لا يعمل فيهــا لا يأكل !

أما حضارتنا ، فيقول عمر : « كنا نعد المقرض بخيلا .. انما كانت المواساة » . « والله لئن بقيت ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المـــال وهو مكانه » .

أريد أن أقول : ان الاستغلال والاحتكار والطبقية ليست لها جذور فى المجتمع العربى .. لأن الطبقية والاستغلال، لايقومان على مجرد رغبة المستغل فى الاستغلال ، أو شهوة الطبقات المالكة للاحتكار والاستئثار بالسلطة .. بل تقوم أساســـا على تقبل المحكومين لهذا الوضع ، تقبل الفقراء أن يستغلهم ويجيعهم فريق منهم .. باسم الامتيازات الطبقية !

الرأسمالية لا تعيش فى أوربا وأمريكا بمجـــرد تمســـك الرأسماليين بها .. اذ أن الرأسماليين طبقا للنظرية الماركسية، أقلية ضئيلة ، ولو اعتمدوا على قوتهم وحدها لمـــا اســـتمر حكمهم ساعة واحدة .. انما يبقى النظام الاستغلالى هناك لايمان الجماهير المستغلة نفسها به ، واستعدادها للموت دفاعا عنها !

ان الحضارة الغربية ــ كما قلنـــا ــ تؤمن حتى النخاع ، بانعدام المساواة بين الناس ، وبأزلية النظام الطبقى .. بعـــكس حضارتنا ، فنحن أمة من تراثها « عجبت لمن بات لا يجـــد قوت يومه ، وأصبح لا يجد قوته ، ثم لا يخرج على الناس بسيفه » .

وقد أصاب المسلمون يوما قماشا ، فقسمه الخليفة « عمر » على الناس فكان نصيب كل مسلم قميصـــا .. وكان عمر طويل

القامة « يمشى كأنه راكب » .. فخرج على الناس للصلاة وقـد لبس قميصا يغطى ركبتيه .. ونادى فى المسلمين : « يا أيها الناس اسمعوا وأطيعوا .. »

صاح مواطن :

ــ لا سمع .. ولا طاعة .

وفزع عمر يسأله : لمـاذا ؟ .

وأجاب الرجل : لأن كل منا أصابه قميص ، فمن أين جئت أنت بما يكفى لستر عورتك وأنت أطول منا ؟ !

ويبادر عمر فينادى ابنه الذى يفسر ذلك بأنه أعطى أباه أمير المؤمنين نصيبه من القماش !

ويقتنع الرجل ، فيعلن : « الآن .. نسمع ونطيع ! » .

نعـــم !

أنا أعرف أنها قصة قديمة ، ولـكن ما أريد أن ألقى عليـه الضوء هنا .. هو عبرتها ، لا من ناحية سلوك عمر ، بل سلوك الرعية .

ان الاستدلال بها على زهـد عمر ليس أروع جوانبها بأية حال .

ان ظهور حاكم زاهد أو نزيه ممكن فى كل العصور ، وكل النظم ، ولا تبنى الحضارات ، ولا تبعث الأمم بظهور حاكم نزيه.

انما تقاس عظمة الحضارة بالتكوين النفسي للمواطن فيها .. الفرد العادي .

وهذا المواطن منذ ١٤ قرنا ، يقلقه عدم المساواة ، ويرى فى استئثار الحاكم بمتر من القماش ، أكبر مما نال المواطن من رعيته مبررا كافيا لخلع الطاعة واعلان الثورة !

مثل هذا الايمان هو الذى يخلق أمة لا تقهر[1] .

---

(١) هـذه هى الأمة التى يتقول عليها « لويس عوض » ويزعم انها تعلمت الحرية من أوروبا ، وان كلمة حرية لا توجـد فى اللغة العربية ! .. بينما يعترف خروشوف أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى كانت تعرف جرائم ستالين ولكنها اقتنعت أن أى معارضة ، هى عملية انتحارية وغير مجدية !! ويقول السفير الروسى فى لندن فى مذكراته ، من باب مدح نفسه ، انه بدأ « يشك فى امكانية أن يخطىء ستالين » ، .. وهو طبعا لم يشك فى ذلك الا بعد حرق جثة ستالين وذر رمادها .. اننى أعتقد أن الديكتاتورية تنبع من الشرك فى صميم الضمير الغربى .. لأن المسلم لايسلم بقدسية عقل بشرى .. وعندما علم الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، المسلمين التوحيد ، علمهم حرية الرأى ، واحترام الفكر .. فلما انزلهم فى غزوة بدر موقعا معينا .. جاء الحباب بن المنذر يرسى قواعد الديمقراطية للآيين السنين .. سأل رسول الله : أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا انزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال الصادق الأمين : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال يارسول الله ، فان هذا ليس بمنزل .. فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء .. الخ . فيقول رسول الله : لقد أشرت بالرأى ... ونهض رسول الله ومن معه من الناس الى حيث أشار الحباب بن المنذر .. الجندى فى جيش المسلمين ..

هذا هو الاسلام .. ارادة الله وحدها هى التى لاتناقش .. أما اذا كان الرأى لرسول الله ، فلا قدسية لتفكير بشرى ، حق لكل صاحب رأى أن ينتقد وأن يقترح .. وحق على رسول الله أن ينزل على الرأى الصواب . وبعد ١٤ قرنا يفتخر سفير روسيا المادى الجدلى بأنه شك فى امكانية خطأ ستالين !

الا يحق لنا أن نتيه على الدنيا باسلامنا ؟!

« راجع سيرة ابن هشام . ومذكرات السفير الروسى بآخر ساعة ابريل ١٩٦٥ »

وتأمل كيف تقبل الحاكم هذه المساءلة بكل بساطة ، والتزم بأن يشرح موقفه !

نحن أمة لا تحتاج لمن يعلمها الاشتراكية ، حسبنا أن نعلم الناس الاسلام ، ثم أرونى مستغلا يقدر على استغلالهم ! .

ان الدولة الحارسة لم تعرف فى تاريخنا الاسلامى — دولة : دعه يعمل ، دعه يمر — غريبة علينا . الدولة الحارسة التى ظهرت فى أوروبا الحديثة باعتبارها أكمل نظام للحكم ، يطلق ملكات الأفراد ، وينمى طاقات المجتمع .. وهى الدولة التى تقتصر مهمتها على الدفاع والأمن والقضاء ، هذه الدولة لم يعرفها تاريخنا ، بل التزمت الدولة من اليوم الأول — كما رأينا — بجميع الواجبات[1] فالتزمت بصرف المرتبات لكل من يولد .. وبتحديد الأسعار .. بل كان الفقهاء يلزمون الدولة بتزويج من لا يقدر على الزواج . وسأل عمر السيدات عن أقصى مدة تتحملها الزوجة المفارقة لزوجها ، حتى يضع على أساسها نظام أجازات الجنود !.

الدولة التزمت عندنا بكل المسئوليات ، والرعية حملت الدولة هذه المسئولية فيما كبر وصغر ، مع الحماية الكاملة للحرية الفردية .

---

(١) كان كتاب الرأسمالية عملاء الغزو الفكرى فى القرن الماضى والنصف الأول من هذا القرن ينتقدون حضارتنا التى يعتمد فيها الفرد على الحكومة . ويطالبها بكل شيء .. وهاهى قد أصبحت فلسفة العصر .

كان عمر رضى الله جالسا ، فجاء اعرابى وناقته تعرج وقال :

انك مسترعى وانا رعية   وانك مدعو بسيماك يا عمر

فيحوقل عمر ، مستعيذا من عظم المسئولية ، ويسأل الرجل عن شكواه ، فيحدثه عن ناقته العرجاء ، فيأمر له بجمل أحمر .

أم كلثوم بنت على بن أبى طالب ، وزوجة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، بعثت الى ملكة الروم بطيب وأحفاش من أحفاش النساء ، ودسته الى البريد فأبلغه لها ، وأخذ منه ، وجاءت امرأة هرقل وجمعت نساءها وقالت هذه هدية امرأة ملك العرب ، وبنت نبيهم وكاتبتها وكافأتها ، وأهدت لها ، وفيما أهدت عقد فاخر ، فلما انتهى به البريد اليه ، أمره بامساكه ، ودعا : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، وصلى بهم ركعتين . وقال : انه لا خير فى أمر أبرم عن غير شورى من أمورى ، قولوا فى هدية أهـدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم ، فأهدت لها امرأة ملك الروم .

فقال قائلون : هو لها بالذى لها .. وليست امرأة الملك بذمة فتصانع به ، ولا تحت يدك فتتقيك . وقال آخرون : قد كنا نهدى الثياب لنستثيب ، ونبعث بها لتباع ولنصيب ثمنا ..

فقال : ولكن الرسول رسول المسلمين .. والبريد بريدهم .. والمسلمون عظموها فى صدرها .. فأمر بردها الى بيت المال ، ورد عليها بقدر نفقتها (١) .

---

(١) الطبـرى .

هكذا يفهم عمر بن الخطاب القطاع العام كما نسميه ، أو الأموال الأميرية ..

المهدى اليها استخدمت بريد الدولة .. وموظف عمومى ، هو الذى حمل هديتها ، واهتمام ملكة الروم بهدية أم كلثوم ، يعود الى مركزها كزوجة أمير المؤمنين .. هذه المكانة التى صنعها المسلمين لدولتهم . وبالتالى فعظمة أم كلثوم انما ترجع لجهد الأمة الاسلامية ، فليس من حقها أن تستغل جهد الأمة وتدعى انها تعظم لنفسها !

لكل هذه الاعتبارات ، ليس من حق أم كلثوم أن تأخذ الهدية التى بعثتها ملكة الروم .

وتأمل ردود المسلمين ، ليست بذمة فتصانع ، ولا تحت يدك فتتقيك ، أى أنه فى مثل هذه الحالات يجب رفض الهدية بلا مناقشة لأن الرشوة واضحة .

واستعمل رسول الله رجلا من الأزد على صدقات بنى سليم فجاء بزكاتهم فسلم الرسول أموال الدولة وبقى معه بعض المال وقال : هذه هدية أهديت لى . فظهر الغضب فى وجه النبى ، وقام وخطب الناس ، فقال : « انى أستعمل رجالا منكم فيقول هذا لكم وهذه هدايا أهديت لى ، فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى اليه أم لا ؟ » .

لا أريد أن أطيل الحديث ، فليس هذا هو موضوع كتابنا هذا .. أريد أن أقول اننا قد أذلنا البعد عن دينا ، ولا يحررنا الا العودة اليه ..

فليست الماركسية هى التى تحررنا .. بل الاسلام .

أما جعجعة الشيوعيين حول الرجعيــة والرجعيين ، وأن الذين ينتقدون الشيوعية ويقاومونها ، هم الرجعيون فهو مجرد هـــراء ، فمتى كانت الرجعيـــة تخشى الشيوعية فى الوطن العربى ؟

وما الذى بقى للرجعية فى مصر لتخشى عليه الشيوعية ؟ بعد أن قصمت الاشتراكية ظهرها ، وجردتهـا من كل ما جمعته من استغلال الجماهير ، والرضوخ للاستعمار ، بل أستطيع أن أقول : ان الرجعية ــ برغم ما تشـــيعه وتروجه فى خبث ــ هى آخر من يصدق أن بلادنا شيوعية ، أو تسير نحو الشيوعية .

نحن نؤمن أن بلادنا لن تصبح شيوعية ، لأننا نثق بأنفسنا وبصلابة شعبنا .. ولو كانت القضية ، هى استيلاء الشــيوعية على البلاد ، لمــا شغلنا بالنا لحظة واحدة .. ولأبشر مائة مليون « مربع » بطول سلامة .. ولكن الخطر يكمن فى التخريب الذى يحدثه الفكر الشيوعى ، مما يمهد للقوى المتربصة بنا ، ويفتح لها الطريق لتضرب ضربتها .. خاصة وأن الشـــيوعين العرب بالذات ، لا أصالة لهم ولا جذور قومية .. غرباء المنبت والمذهب شواذ السلوك ، انهم يكتبون فى مجلة حوار ، ويمدحون اليوت. ويصدرون النشرات للدعوة لانتخاب جونسون ، ويعدون من مساوىء جولد ووتر أنه يدعو لابادة اليهود[1] !.

---

(١) « جولد ووتر اله الحرب الجديد » عن دار الملايين .

أما الرجعية فلا يعنيها الدين ولا يقلقها مصير القومية ، وهى تتمنى أن تصبح العمالة منطق الجميع ، وفرصتها الوحيدة الآن هى التخريب المزدوج عن طريق بث القلق فى الجماهـــير بنشر الأفكار الشيوعية التى تتحدث عن نزع ملكية الفلاحين وصغار المنتجين والملاك فى المدن . وباعطاء صورة مشوهة لاشتراكيتنا فى الخارج باصطناع قسمات شيوعية ، تدعم حجة الرجعية ، التى مافتئت تراهن على أن طريق الاشتراكية نهايته الشيوعية ، وطريق العداء للغرب نهايته الانحياز للشرق .

ولا شك أن مما يفسد هذا المخطط ، هو التصفية الشاملة للفكر الشيوعى عن طريق تعريته وفضحه وتفنيده .

كذلك لا يخفى خطر تحالف الشيوعيين والرجعيين ، ولقــد رأينا هذا التحالف أكثر من مرة ، منذ دفاعهم عن سجناء الثانوية العسكرية (١) . والجبهـــة التى كونوها مع « رجالات مصر » (هكذا) .. الى فضيحة التحالف مع الانجليز فى تخريب الثورة العراقية وتحطيم الوحدة (٢) .

---

(١) راية الشعب : صحيفة الحزب الشيوعى المصرى . فى حملتها على ثورة يوليـــو .

(٢) قال الاستاذ احمد بهاء الدين فى مقال قصة الشيوعية فى مصر « المصور ٤ مارس ١٩٦٥ » : ولما كان الاستعمار الاجنبى واليمين الرجعى فى المنطقة العربية كلاهما حريصا فى ذلك الوقت على تحطيم الوحدة ، فقد وقف الكل فى صف واحد مع الشيوعيين .

اذن فقد تحالف الشيوعيون مع اليمين الرجعى ، والاستعمار الأجنبى .. واذن فبديهية أن الرجعية هى التى تعادى الشيوعية بديهية فاسدة .. وقد حاربنا الشيوعية والشيوعيين فى معركة العروبة منذ نهاية ١٩٥٨ ، ولم نسقط فى أحضان الرجعية ، بل هم الذين سـقطوا ، وذلك بالرغم من عزفهم نغمـة الرجعيـة والرجعيين(١) .

ان اتهامات الشيوعيين ، لا تسـاوى ما يعلق بالحذاء ، اذا ما اضطر المرء الى أن يخوض فى الوحل .

أليسوا هم الذين اتهموا الجمهورية العربية المتحدة ، بما لم تجرؤ ألد الدعايات المعادية على ترديده ؟ !

قالوا :

« هل ان (! !) من التضامن العربى ، خضوع حكام القاهرة لمشيئة الدول الاستعمارية فى الآونة الأخيرة ، وامتثال أوامرها ، ومضايقة أعضاء الحكومة الجزائرية الحرة ، والحيلولة دون تنامى نشاطها » (٢) .

---

(١) « وحدة الصف الوطنى أو الجبهة الوطنية الموحدة لدى جريدة « اتحاد الشعب » (الشيوعية) يعني أن تكون الاطراف الوطنية اتباعا لها ، واذا تجـرأوا فشكوا أو عارضوا فهم « خونة » و « عملاء » و « رجعيون » ..
من افتتاحية صحيفة الأهالى ١٠ آذار ١٩٦٠ .

(٢) صحيفة المبدأ لسان حال الحزب الشيوعى العراقى « المرخص » ١٣ كانون ثان ١٩٦٠ .

أرأيت .. نحن كنا نعمل ضد حكومة الجزائر الحرة ، امتثالا لمشيئة الاستعمار ؟ !

وأيضـــا :

« بل هل ان من التضامن أن يسعى حكام العربية المتحدة فى الآونة الأخيرة الى ايجاد منافــذ تربطهم بالدول الأعضـاء فى « السنتو » أو حلف بغداد المقبور بحجة مكافحة الشيوعية ، فى حين ان كلمة الأمة العربية لم تجمع على شىء مثل اجماعها على شجب هذا الحلف الاستعمارى ودك قواعده » .

حتى حلف بغداد عملنا لحسابه ؟ ! .

أمثل هؤلاء يؤبه لـــكلامهم ؟ !

وأيضا : « الا أن المتآمر الطبقجلى (الشهيد ناظم الطبقجلى بطل العروبة والاسلام ، أعدم فى الفتنة القاسـمية ٢٠ سبتمبر ١٩٥٩) ومن لف لفه يتحاشـــون ذكر كل الحقائق ، ويصورون مؤامراتهم كما لو كانت (ثورة محلية) على الالحاد الشيوعى والتبعيــة والعزلة القومية . وقد برأ الطبقجلى حكام المتحدة ، واعتبر المؤامرة بأنها حركة جماهير الموصل المنتفضـــة لصيانة معتقداتها القومية والدينية ، وغـير ذلك من المزاعم النـاصرية المعروفة ، التى توجت باختراع أساطير حرق القرآن ، وتجنيد بعض رجال الأزهــر لاصــدار (فتاوى الجهاد) ضـد العراق « الشيوعى الملحد » وضد أبنائه « التتــار » . ان كل خونة

العراق سابقا ولاحقا كانوا ولا يزالون يتمشدقون باسم «القومية» و « الدين » وهما براء منهم . ألم يفعل ذلك نورى السعيد والجمالى وعبد الاله وكنه وبهجت العطية ؟ ! ألم يفعل ذلك عبد السلام ورشيد على والشواف ؟ » .

« فبعد أيام قلائل لاغير على انتصار الثورة ، بادر عبدالسلام عارف الى ابرام (العقد القومى) مع حكام المتحدة لالحاق العراق بالعربية المتحدة . وطبيعى ان مثل هذا العمل لا صلة له بالعقيدة والمبدأ .. بل هو خروج على القانون (تأمل) ومعاداة للجمهورية وخيانة وطنية » (١) .

حقا ان الشعب العربى لن يسمح لقالة هذا اللغو بالعودة مرة ثانية الى مسرح السياسة .

« اننا سننتصر — حتما — مازلنا واقفين ضد الرجعية والاستعمار .. مازلنا ملتفين حول زعيمنا البار « عبد الكريم قاسم» العالم ببواطن الأمور (سبحانه !) والمعاند العنيد للرجعية والقابض بيديه على مستمسكات ثبوتية تدين الطامعين»(٢) .

الى سقر ، وبئس المستقر ، هم وزعيمهم ومستمسكاتهم .

---

(١) صحيفة اتحاد الشعب .. لسان حال الحزب الشيوعى العراقى « غير المرخص » بتاريخ ١٩٥٩/٨/٢٤

(٢) « صوت الاحرار » الشيوعية ٢٨ أيلول ١٩٥٩.

وأفظع من هذا . .

« هتف (أحدهم) عاش الجيش العـــراقى نصيرا للعروبة والاســـلام ! وهو الهتـــاف الذى يردده المتآمرون الهـــاربون والطامعون من اذاعات عبد الناصر ، لما فيه من تحريض مكشوف لجيشنا الباسل باسم حماية الدين والعروبة فى العراق » (١) .

اذن فلن تروعنا اتهاماتهم وادعاءاتهم وتشنجاتهم ، فقد اتهموا من هو أعز منا وأكرم .. فبقى .. وفنوا هم تحت أسوار وزارة الدفاع ، ومازال قتلاهم وزعيمهم يهوون فى نار جهنم .. سبعين خريفا باذن الله .

---

(١) صوت الاحرار » الشيوعية ١٩٦٠/٢/٢٤

اننا قد خضنا بعيدا فى الحديث ، وآن أن نحدد وأن نجمع الخيوط لنقول ماهى أسلحة الماركسية فى الغزو الفكرى .. وما هى نقط الاصطدام بحضارتنا ووجودنا القومى ، ومن أين ينبعث الخطر علينا ؟ .

الماركسية دعوة لا دينية ..

والماركسى الذى يزعم انه لا يعارض الدين .. كاذب .. والشيوعى الذى يثنى على الدين .. منافق .

الماركسية نظرية مادية ، والمادية تنكر الأديان ، المادية تؤمن بأسبقية المادة على الفكر ، والدين عندها فكرة ، صنعتها المادة .

الدين فى الماركسية افراز ثقافى أو فكرى لوضع مادى ، هو الوضع الطبقى . جاءت به الطبقات المالكة لتحكم به الطبقات الكادحة ، اما عن طريق اقناعها بأن النظام الطبقى هو ارادة الله الذى قسم الناس الى طبقات ، أو بتلهيتهم عن الكفاح بتعليلهم بأمل التعويض فى العالم الآخر حيث يأخذ المحرومون ويحرم الذين أخذوا ، حيث دخول الغنى ملكوت الله أصعب من دخول الجمل سم الخياط .. ويكوى الأغنياء بما جمعوا من أموال ! .

ولذلك تنبأت الماركسية بأن الأديان التى ظهرت مع النظام الطبقى ستزول بزواله ، أو فى أعقاب هذا الزوال(١) .

---

(١) لأن الافكار تكتسب القدرة على الانفصال والبقاء حتى بعد زوال أسبابها المادية .

الشيوعى يؤمن بأن الدين هو أحد أسلحة الحرب الطبقية ، واذا زالت هذه الحرب فسيوضع الدين فى المتحف ، كما سبق أن وضع السيف والدرع !

وعندما يتحدث الشيوعى عن حرية الأديان ، فانما كمظهر من مظاهر تسامح الدولة اللادينية ، التى لا تتعصب لدين بعينه . وكوسيلة ذكية للقضاء على الدين ، الذى هو ـ كما يقول لينين ـ لو ترك وشأنه فسيذوى ، لأنه يعيش ويقوى بالاستشهاد ، ولكن الحزب الشيوعى يجب أن يكافح الدين بين صفوف أعضائه على الأقل .

ولا أظننى بحاجة الى نقل عـــدد من النصوص التى تهاجم الدين ، ولا المؤلفات التى كتبت ضد الدين بأقلام الشيوعيين ، فلا أظن أن شيوعيا يحترم نفسه ينكر تعارض الماركسية مع الدين وأنه لا يمكن أن يكون المرء مسلما أو مسيحيا وماديا جدليـــا فى نفس الوقت (١) .

وصحيح أنه من الممكن أن يعطى المتدين صوته فى الانتخابات للشيوعيين ، ولكن ليس هذا ما نعنيه ، كما أن نظرة الماركسية للدين تتنافى مع نظرتنا ..

---

(١) ودعنا من هذر هذا الصبى الذى يجرى خصما لترويج الماركسية . وقد حذف منها حتى الآن المادية وديكتاتورية البروليتاريا .. وفى انتظـــار التصفية الكبـــرى .

وفى هذه الأيام نسمع ثنـــاء مستفيضا على الدين ، وعلى الاسلام بالذات ، من بعض الشيوعيين ، ونحن نشكرهم بالطبع ، ونعرف أنها كلمات تقال للمجاملة ، أو حتى عن صدق ، ولـــكننا نختلف معهم كما يقول عمار اوزيجان الجزائرى المسلم: «تستعجل العقلية العصرية كثيرا فى توديع الأديان كلها توديعا مأتميا ، دون أن تدرك أن الايدلوجية الاسلامية ليست محتضرة ، بل فى كامل اندفاعها وحركتها .. » (١) .

فنحن نرفض كلمات التأبين التى يقولها الشـــيوعى ؛ وهو يودع الاسلام ! نرفض التحليل الذى يقول بأن الاســـلام كان عظيما فى حينه ، ومن واجبات العظيم أن يفسح السبيل للعظيم الجديد الذى بشر به ماركس ! نحن لا نسلك ماركس فى عداد أصغر تلاميذ فقيه من فقهاء الاسلام، ونعتقد بكل فخر أن الاسلام ــ حقا ــ صالح لكل زمان ومكان .. وأننا بعد أربعة عشر قرنا لا نجد فى الاسلام جزئية واحدة يحس ازاءها المرء بالحرج أو الحيرة على ضوء التطور العلمى والتقدم الحضارى .. ولا نجد قيدا واحدا يحول بيننا وبين بناء حضارة عصرية قادرة على أن تحل مشاكلنا بل وأن تقدم الحل الأكمل للبشرية كلها (٢) .

---

(١) الجهاد الأفضل : عمار اوزيجان .

(١) القرآن لاتقوم مقامه عقيدة أخرى ، فلسفية ، نستخرج لها من احكامه الملاءمة لكل دهر وجيل ، ومن المستحيل أن ننهض وهو ملقى وراء ظهـورنا ... نعم الاسلام دين الانسانية الخالد وهو الذى وطد دعائم الامة العربية فيما سبق =

الاسلام لم يكن مرحلة من مراحل تطور البشرية ، ومع ايماننا بالوحى ، فاننا نقبل الاحتكام للقيم البشرية التى جاء بها الاسلام ان كان قد عفى عليها الزمن .

لو قام الدليل على أن المساواة الحديثة ، قد تخطت مساواة الاسلام ، أو أن العدل الحديث قد فاق عدل الاسلام ، أو أن الحرية فى القرن العشرين تزرى بحرية القرن الأول الهجرى .. عندئذ سنصدق ان الاسلام كان مرحلة على الطريق ! .

ولـــكن .. العكس هو ما نراه .. مازالت الحضارة الغربية تسعى خلف القيم الاسلامية ، فلا تكاد تدركها .

الانقلاب الكنسى الكبير ، باعلان البروتستنتية ، والانشقاق على الكاثوليكية ، هو ثمرة الاتصال بالمسلمين ، محاولة الغـــاء الكهنوت ايجاد دين بلا كهانة .

أى اســـلام ..!

ولـــكنهم لم ينجحوا ..

= وهو الذى ينهض بها فى الجديد ، به تتوحد كلمة الشعوب وتزدهر حضارتهم . فلنصطف من جديد تحت رايته الظافرة لنعيش كراما سعداء كما عاش أجدادنا .. كي ننشر مجدنا من جديد وننشىء دولة شديدة الأواصر رائدها القرآن وشعارها الاســـلام .

محمدى السعيد نائب رئيس جمهورية الجزائر
فى كتيب الاشتراكية والاسلام

كل المذاهب ، حتى الكاثوليك ، اضطروا لاباحة الطلاق ، ولم يعد متزوج المطلقة أو الأرملة يزنى بها ، تماما كما قال الاسلام منذ ١٤ قرنا .

الثورة الفرنسية جاءت تنادى بالاخاء والحرية والمساواة .. ولكن أخوة الاسلام ، وتعايشه السلمى مع غير المسلمين ، لم تصل اليها أوروبا حتى اليوم .

أوروبا ، الى القرن العشرين ، كان القانون الدولى عندها يقتصر على ما يسمونه « الأسرة الدولية » أى مجموعة الدول البيضاء ، أما باقى البشر فسائمة لا يلتزم البشر البيض أمامهم بقانون ! .

والاسلام كان يدعوهم فى القرن الأول للهجرة الى الاسلام أى المساواة المطلقة ، وفرنسا فى القرن الرابع عشر للهجرة كانت تشرع وتستثنى المسلمين ، رغم اصرارها على اعتبارهم مواطنين فرنسيين ! .

الحضارة الغربية لم تفهم المساواة الا على أساس قصرها على الجنس الأبيض وحده .. وحتى الشيوعية كما رأينا لم تستطع أن تقتلع الايمان بتفوق الجنس الأبيض .

والثورة الفرنسية التى يتغنون بها ، هى التى قتلت وأحرقت وأعدمت على الخازوق فى مصر فى سنواتها الأولى ، وليس بعد تحولها الى الاستعمار كما يحلل الماركسيون .

ثوار باريس الذين خرجوا من خلف المتاريس بعد اسقاط شارل العاشر ، هم الذين ذهبوا بعد ذلك الى الجزائر ففتكوا بأهلها .

الحضارة الغربية لا تعترف بأن الأجناس الأخرى بشر مثلهم.

فى أمريكا مازال الصراع قائما حول حق الاقتراع للزنجى ، رغم مرور مائة عام على تحرره ! ودعنا من المساواة الحقيقية .. أى اندماج الأسود فى حياتهم اليومية .

والعرب اليوم فى أشد مناطقهم تخلفا لايميزون بسبب اللون! وعمر منذ ١٤ قرنا يقول . أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا .. أى بلال ويولى عمار بن ياسر الامارة .. رغم معرفته بأنه لايصلح للولاية. اقرارا لمبدأ المساواة المطلقة .، وتحقيقا لقوله تعالى ، « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين » .

وعمر يقول : « لو كان سالم مولى حذيفة حيا لاستخلفته »أى جعلته أميرا للمؤمنين ، وفيهم عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس والزبير وطلحة وسعد بن أبىوقاص ومعاوية .. رضى الله عنهم ، وسالم هو العبد الذى أعتقته امرأة من الأنصار ! .

ورسول الله صلوات الله عليه يسمع أبا ذر يقول لبلال : يا بن السوداء ، فيتملكه الغضب حتى يكرر « طف الصاع .. طف

الصاع (١) ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى أوعمل صالح ..! » ويعلن أن آبا ذر امرؤ فيه جاهلية ، ويبلغ الألم بأبى ذر حدا يجعله يضع رأسه على الأرض ويطلب من بلال أن يطأ وجهه بنعله !..

وأبو ذر قاطع طريق قديم ، وله سبق فى الاسلام حتى على بلال .. نافر معاوية أمير الشام ، فلم يقدر عليه معاوية الا أن يشكوه لعثمان .. ولكنه بالاسلام وحده يضع وجهه تحت نعل العبد الزنجى الذى رفعه الاسلام الى أعلى المراتب !.

اذا لم يكن ذلك وحيا من السماء فكيف يتفوق رجال الصحراء منذ ١٤ قرنا على أبناء القرن العشرين ، صناع وثيقة حقوق الانسان قادة الثقافة الغربية .. رجال الديمقراطية الأمريكية فى ولايات الآباما واركنساس .. وتكساس الخ !

ثم كانت الثورة الشيوعية ! تحقق المساواة باسم السوفيتية ، فتلغى الفروق بين الشعوب والقوميات .. وهكذا قالت ..

ورغم مرور نصف قرن .. فماذا لدينا من أدلة ؟.. مازلنا نرى أن العناصر البارزة فى كل الميادين هى من الجنس الأبيض ، ومن القومية الكبرى غالبا ، بينما لم يكد يكتمل القرن الأول حتى كان معظم الفقهاء فى الدولة الاسلامية من غير العرب !.

أننا ــ كما قلت ــ نرفض الثناء الشيوعى على الاسلام ، اذا

---

(١) أى أن الأمر خطير وتجاوز كل حد ..

كان من قبيل ابراء الذمة ، فنحن نؤمن أن للاسلام رسالة سيحققها (1) وأنه الدواء لمشاكل الجنس البشرى فى هذا العصر بأخوته وتسامحه ، بايمانه المطلق بالمساواة ، بحيويته ، باقباله الواعى على الحياة ..

وهو سبيلنا الى بناء حضارة .. وهو رسالتنا الى افريقيا ، ليس لدينا ما نقدمه لأفريقيا السوداء .. سوى دين بلال ، دين : أيها الناس ان ربكم واحد ، وان آباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر ، فضل الا بالتقوى ، ألا هل بلغت اللهم فاشهد .. فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

صلوات الله عليك يارسول الله . ذلك ماحرصت على أن تبلغه البشرية جمعاء فى حجة الوداع .

ألا هل بلغت ؟ ..

اللهم نعم ! .

اللهم نعم ! .

اللهم نعم ! .

---

(1) لايترعرع شعب الا فى ظل المبادىء الطاهرة التى خلفها له سلفه المجيد، ومن ماضيه يستمد العظمة والمنهاج الحافزين له للوصول الى أوج التقدم والحضارة وهذا مالاحظناه فى اثناء كفاحنا .. وفى الختام لايتحقق لنا نظام سياسى واجتماعى واقتصادى الا اذا كان مستمداً من ديننا الحنيف وملائما لاخلاقنا الكريمة وشخصيتنا الممتازة .

محمدى السعيد

نائب رئيس الجمهورية الجزائرية

إذن فالنقطة الأولى التى تجعل الماركسية ضربا من الغـزو الفكرى ، هى معاداتها للدين ، وهى هنا أخطر من عصابات المبشرين لأنها لاتدعو لدين فتستفز العصبية بل تدعو الى الخدعة المنسوبة لعمرو . تدعو الى الالحاد .. وتكون النتيجة تخريب الاسلام .

ولاشك أن الكتابة فى هذا الموضـوع شائكة ، من كثرة مازيف الاستعماريون الغربيون ضـد الشيـوعية ، وما تهتك المتحمسون الشيوعية فى دفاعهم وحماسهم .

ولكنى آثرت أن أنقل من كتاب (اسرار ما وراء الستار) [1] لأن مؤلفه يصلح كشاهد محايد .. فهو مسلم .. وأيضا عاطفى ومعجب (بالاتحاد السوفيتى) .

« والنظام السوفيتى يسرى على الجمهورية (أذربيجان) الآن دون شريك ، وبمقتضاه شملت المساواة الطبقات والأفراد ، كما شملت الذكور والاناث ، وكانت نتيجة ذلك أن تساوى الجنسان فى الارث والشهادة والوصاية والتضامن فى النفقات [2] ، هذا

---

(١) محمد جميل بيهم .

(٢) اكبر اكذوبة جاهلة ، هى الزعم بأن الاسـلام يفضل الذكر على الانثى عامة .. وعلى أساس التقسيم الجنسى .. أى لمجرد ان هذا ذكر وهذه انثى . اذ الواقع أن هذا التفضيل فى بعض الحالات ، وفى حالات اخرى ترث الانثى أضعاف ما يرثه الذكر وفقا لعلاقتها بالموروث . فالتقسيم هنا لا علاقة له بالجنس من حيث كونه رجلا وهى امراة أو لان المراة أقل من الرجل . وليس هنا مكان التفصيل .

فضلا عن المساواة فى الأعمال والأجور والضمان الاجتماعى .. وبالتالى منع تعدد الزوجات ، وانحصرت مهمة عقـــود الزواج بالموظفين المدنيين دون سواهم ، أما الطلاق فهو موجود أســوة بسائر الجمهوريات : ولكنه لايقع الا فى حالات محدودة وبحكم من المحكمة المدنية » .. « وأما الذى ظل سليما من هذا النظام فهو الأسماء العــربية التى لاتزال منتشرة بين الرجال والنساء »(١)

اذربيجان .. دخلها الاسلام سنة ٢٤ هجرية أى قبل شـــمال أفريقيا ، قبل الجزائر .. وفى تاريخ مقارب لمصر .

واتناجها من النفط سبعون ألف طن أكثر من انتاج ايران ،(!!) وبها الحــديد والمانغنيز ، والقطن والــكروم والحمضــيات والفواكه (٢) .

واذربيجان بها « ثلاثون ألف مخطوط منها ١٢ ألف مخطوطة عربية » ولا يوجد بها معهد لدراسة العلوم الاسلامية والشــؤون الدينية ، وأما تعليم الشريعة الاسلامية فى مــدارس خاصة أو مدارس حكومية فلا وجود له البتة فى أذربيجان » .

« وقد شكرنا عمدة المجمــع على مازودنا به من معلومات ، وودعناهم ونحن معجبون بتلك النهضة العلمية الجبارة ،ومشفقون

---

(١) ص ١٥٤

(٢) ص ١٥٥

فى نفس الوقت على مصير الاسلام فى تلك الجمهورية المسلمة أو بكلمة أصح التى كانت مسلمة » (١) .

« هذا وقد فهمنا من بعد أن فى باكو خمسة مساجد ، أقفل أحدها لنقص عدد المصلين . وانى لأخشى اذا انقرض الجيل الحاضر وانقرض معه المحافظون ، أن تغلق أبواب المساجد الباقية ،خصوصا وأن التعليم الاسلامى لم يبق له مدرسة واحدة فى أذربيجان »(٢)

ولا يقتصر الأمر على الثقافةالاسلامية ، بل يروى نفس السائح: « دعينا فى اليوم التالى لزيارة رئيس جمهورية أذربيجان .. ولما وصلنا الى دار الرئاسة ، لم نجد أحدا من رجال الشرطة والأمن والدرك عند الباب ، ولا حرسا آخر شاكى السلاح مما كنا نشاهده فى بلادنا فى عهدى السلطنة والانتداب ، ومما لانزال نلقاه فى عهد الاستقلال .

وكان مثار اعجابنا نحن الذين ألفنا رؤية الحرس ، وهى لاتقتصر على قصور رؤساء الجمهوريات ، ودور الرؤساء الآخرين بل تشمل بعض الذين أقيلوا من مناصبهم أو قضوا نحبهم .

---

(١) ص ١٧٣

(٢) ص ١٦٨ .. وبالنسبة للاسلام فالقضية جد خطيرة بل اكثر خطورة من وضع الاديان الاخرى .. لان الاسلام لا يستند الى اكليروس او نظام كنسى او طقوس تبقى الدين . بل اعتماده على التربية الاسلامية والثقافة الاسلامية . فاذا انقرضت انقرض المسلمون واختفى الاسلام . ولا حول ولا قوة الا بالله .

وعلى حسب العادةاستقبلنا رئيس الجمهوريةحول مائدة حافلة بشتى أنواع الفواكه الفاخرة ، ودار بيننا وبينه حديث طريف انتقل من المجاملات الى بعض الشئون العامة ، ولكننا لاحظنا خـــلال الحديث أنه غير ملم بشئون لبنان ، اذ بدر منه سؤال يشير الى أنه لايعرف شيئا عن موطن الجمال والاشعاع . فقد سألنا الرئيس « اذا كانت لغة لبنان هى نفس لغة سوريا » .

وقد أخذنا العجب من هذا السؤال خصـــوصا وأن الرئيس الشاب الذى يدعى ميرزا ابراهيموف ، أديب كبير ومؤلف رفعته شهرته فى الأدب الى مقام رياسة الجمهورية ، وقد تلطف فأهدانا كتابا من تأليفه فى موضوع قصصى » [1] .

ولا أرانى بحاجة الى تعليق ..

---

(1) ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .



هى النقطة الثانية .. بعد الدين .. التى تجعل الماركسية غزوا فكريا .

فالماركسية نظرية (أممية) ، تدعو الى وحدة الجنس البشرى، عن طريق وحدة الطبقة ..

والقومية عندها ظاهرة مرحلية ، صاحبت نشوء الرأسمالية، وتزول بزوالها .. و «ستالين » « خبير القوميات » عند الشيوعيين، عرفها بأنها ظاهرة من ظواهر البورجوازية فى دور تطورها ،وأنها انعكاس لنهوض الرأسمالية ، وأن مآلها الى الزوال عندما تسود الاشتراكية .

« لم تكن هناك أمم فى العهد السابق للرأسمالية » . . « البورجوازية لكى تحرز نصرا كاملا فى ميدان الانتاج الصناعى. وجب أن تكون لها أقاليم متحدة اتحادا سياسيا ، ويتكلم أهلها بلغة واحدة » .. « ان الدولة النموذجية للعصر الرأسمالى هى الدولة القومية » .

اذن وبموجب هذه النظرية ، فان القومية نشأت مع الرأسمالية [1] ، والوطن = السوق .. والحروب القومية هى ف

---

(١) فقبل نشوء الأمم ، أى قبل نشوء الرأسمالية واندثار الاقطاعية لم يكن هناك اضطهاد قومى ، اذ لم يكن هناك امم وقوميات .

« خالد بكداش : طريق الاستقلال »

حقيقتها صراع بين الرأسماليات حول اقتسام العالم ، والاستعمار لا يمثل فى الحقيقة استغلال بلد لبلد ، ولا قومية لقومية ، بل استغلال الطبقة الرأسمالية لعمال البلد المستعمر (بالكسر) وللأمة المستعمرة (بالفتح) ، والصراع الوطنى الذى تقوده الرأسمالية فى المستعمرات هو صراع الرأسمالية الاستعمارية والرأسمالية الوطنية . حول الاستئثار بسوق المستعمرة .

فاذا زالت الرأسمالية زال بالتالى صراع القوميات [1] فلا تناقض بين العمال .. بل هم دوليون يسعون الى قيام عالم لاتمزقه القوميات .. بل عالم تتآخى فيه البروليتاريات فلا تناقض بين البروليتارى الصينى والروسى أو الأمريكى .. ويمكن طبعا القول ولا بين العامل العربى والاسرائيلى !.

ذلك أن التناقضات هى من افراز الرأسمالية وسمومها وتزول بزوالها .

كذلك لايعقل ولا يتصور قيام علاقات استغلالية كتلك التى قامت بين الأمم فى ظل الاستعمار ، يوم كانت الرأسمالية تنهب شعوب المستعمرات عن طريق خاماتها وشرائها بثمن بخس يقل

---

(١) حقا ان الماركسية ترى أن القوميات ظاهرة مؤقتة فى تاريخ البشرية .. ستزول تدريجيا بزوال النظام الرأسمالى العالمى وتلاشى الطبقات وأجهزة الدولة . على ان هذه مرحلة تاريخية بعيدة (محمود أمين العالم . مقال : هل الماركسية تناهض القومية . مجلة الاداب ، بيروت)

عن سعرها الحقيقى أو حتى العالمى نتيجة المركز الممتاز الذى تتمتع به داخل هذه المستعمرة ، وشل حريتها فى التعامل مع دول العالم.

ولأن الاستعمار كان يعنى سيطرة الدول الصناعية على الدول غير الصناعية . فقد كان من صالح الدول الاستعمارية منع تصنيع الدول المتخلفة لأن ذلك يضمن تفوقها عليها ، وأيضا ابقاءها سوقا لسلعها .. بل كان ذلك هو الهدف الرئيسى من الاستعمار ..احتكار الأسواق لبيع منتجات البلد الاستعمارى فيها وسلب خامات هذه المستعمرات .

كل ذلك سيزول بمجرد ارتفاع راية الشيوعية ، فلا طبقة مستغلة ، ولا نعرة قومية .. بل أخوة يساعد فيها الغنى الفقير ، وتأخذ الدول الصناعية المتقدمة بيد الدول الفقيرة المتخلفة وتساعدها على بناء صناعتها على أساس المساواة المطلقة ، وتحت ظلال الشيوعية لاسبيل لشبهة من تمييز أو عدم مساواة .. ولامعنى للحديث عن تفضيل مصلحة قومية على أخرى .. وهل هناك قوميات ؟!

أما نحن فننطلق من مفهوم مخالف تماما .. اذ أننا نؤمن بأن الأمم هى الحقيقة الأزلية الباقية .. فنحن عرب [1] سواء قبل الرأسمالية أو فى ظلها ، أو فى الاشتراكية ، وما بعدها .

---

(١) عربى ومسلم تؤديان نفس المعنى عندنا . ودون الوقوع فى تفصيليات وتعريفات .

ونعتقد أن النظم الاجتماعية والسياسية والآراء والنظـريات، ليست الا أسلحة الأمم فى صراعها ..

وذلك ينطبق تماما على النظرية الماركسية ، فان هذه النظـرية بمجرد اعتناق الثورة الروسية لها ، واتخاذها فلسفة رسميةللدولة الروسية ، تحولت الى خدمة الأهداف الأزلية لهذه الدولة (١) .. ونفس الشيء حدث للصين .

والصراع « الايدلوجى جدا » بين الصين وروسيا الآن .. هو فى حقيقته صراع القوميتين العملاقتين ، الصينية والروسية ..

المؤرخ البريطانى توينبى يفسر هذا الصراع بكل بساطة قائلا « انني لو كنت روسيا لشعرت بالقلق ، ليس بالنسبة للمستقبل القريب بالطبع ، ولكن بالنسبة للمستقبل البعيد فيما يتعلق بالعلاقات بالصين .. ويجب أن أشير الى أنه فى حوالى عام ٢٠٠٠ سيكون الصينيون نصف سكان العالم تقريبا ، والصينيون شعب قادر شأنه شأن كل الشعوب ، وهو شعب مجد ككل الشعوب .

وخلال القرن من الضعف الذى مرت به الصين ، أخذت منها أقاليم ، وأخذت روسيا من الصين أكثر مما أخذ أى بلد آخر .

---

(١) بفضل النظرية الشيوعية ، فان الامبراطورية الروسية فى ظل القيصرية تحولت بحجمها تقريبا الى الاتحاد السوفيتى .. بينما زالت امبراطوريات العالم كله تقريبا .. ولم تبدأ الحركات الاستقلالية والقومية فى آسيا السوفيتية الا بعد الخلاف الروسى ـ الصينى وبفعل الجذب الصينى .

وما زالت تضع يدها على كثير مما أخذته ، واكثر مما تضع البلدان الأخرى يدها عليه حتى الآن . ان بريطانيا مازالت تسـيطر على « هونج كونج » والبرتغال تسيطر على « ماكاو » وتستطيع الصين أن تسترد هذه الأراضى فى لحظة لو اختارت أن تفعل ذلك . انهما منطقتان صغيرتان . وأمريكا مازالت تمنع « تايوان » من الاتحاد مع الصين القارية . ولكن حتى تايوان لا تشكل الا جزءا صغيرا نوعا من الميراث الصينى . ولكن اذا نظرت الى خريطة الامبراطورية الصينية فى عام ١٨٥٠ مثلا ، فستجد أن جزءا كبيرا جدا من سيبيريا الشرقية بما فى ذلك فلاديفوستك . ليس ذلك فحسب بل ومناطق كبيرة الى الشمال من نهر آرمور ، وكل منغوليا الخارجية التى تشكل نوعا من التابع لروسيا اليوم . كل ذلك كان جزءا من الامبراطورية الصينية فى ذلك الوقت ، كما ستلاحظ الحدود بين الصين وروسيا هى أطول حدود برية فى العالم .

ولقد لاحظت عام ١٩٢٩ ، أثناء سفرى من بكين الى آسيتين بالقطار ، أننا خرجنا من الصين ذات الكثافة السكانية الكبيرة ، بل ان منشوريا نفسها ، التى لم يكن بها الكثير من الصينيين ، كانت كثافة السكان فيها كبيرة ، اذا ماقورنت بسيبيريا التى كانت بلدا خاويا ..

انك تسافر فى سيبيريا اميالا وأميالا دون أن ترى قرية ، حينما يكون لديك مستويان من المياه ، المستوى فوق السد العالى ، والمستوى تحت السد ، فانك تستطيع توليد طاقة كبيرة جدا ..

تفريغ كهربائى .. والآن فلو كنت أنا مكان الروس لانزعجت انزعاجا شديدا لذلك الموقف .. ولكل هذه الأسباب ، أعتقد أن الروس على الأرجح سيتجهون بقدر كبير ناحية الولايات المتحدة والشعوب الأوروبية ، والشعوب الغربية عموما » (١) .

« ولوفيجارو » الفرنسية تقول فى افتتاحيتها : « ان الصين التى لن يمكن اغفال شأنها فى المستقبل القريب ، والتى سيصل عدد سكانها الى نحو مليار نسمة .. تسودها الآن نعرة قومية شديدة لم يشهد لها مثيل فى أى مكان على الاطلاق .. انها قضية الغرب كله » (٢) .

« توينبى استعمارى !!» مؤرخ بورجوازى !.. رغم معرفته الأكاديمية الواسعة ، فهى معرفة قاصرة وعاجزة ، لأنها تستند للفهم البورجوازى .. ولو فهم الديالكتيك ، لما سقط فى التفسير البورجوازى ، وظن أن الكثافة السكانية ، أو الخلافات القومية القديمة تبقى فى ظل الاشتراكية .. ولعرف أن الخلاف الحقيقى الذى يجعل روسيا تقترب من الولايات المتحدة ! هو خلاف حول ديكتاتورية البروليتاريا !.. وهل هى ضرورية عند تحويل الولايات المتحدة الأمريكية الى الاشتراكية .. أو يمكن التجاوز عنها ؟!

---

(١) ندوة مع توينبى : مجلة الكاتب ابريل ١٩٦٥

(٢) ١٩٦٥/١/١٣

هكذا سيقول الماركسيون .. وسيضيف بعضهم .. لم يبق الا أن نستشهد من الفيجارو ؟!

معكم حق !

لنسمع أصحاب الشأن أنفسهم .. لنرى كيف تتلوى شعارات الدولية والقومية بين أيدى الروس والصينيين الى مايخدم المصالح القومية لكل منهم (١) .

فهم دوليون بقدر مايعنى ذلك اخضاع مصالح الآخرين القومية لمصلحتهم ، قوميون متعصبون (٢) ، بقدر ما يخدم ذلك المصالح الروسية أو الصينية .

ولنبدأ بنزاع الأرض :

التقى ماوتسى تونج بصحفيين يابانيين ، ودار الحديث حول الأراضى المنتزعة ، وسرعان ما اتفق الصينيون الشيوعيون

---

(١) لست أقر الذين انتقدوا كثرة الاستشهادات فى هذا الفصل .. والحق انى قد طرحت فيه أول تفسير **مادى** للخلاف بين روسيا والصين .. وبالتالى كنت مضطرا لتعزيز هذا الرأى ولو بالاسهاب فى الاستشهادات (ب)

(٢) وكم أدهشنا تعميم الروسية فى الحياة العامة فى أوكرانيا فقد كانت الروسية لغة المسرح ، بل كانت هناك صحف يومية باللغة الروسية « جيلاس » .
« التقطت اذاعات من راديو بكين تخاطب الجنود الاوكرانيين : لماذا نقلوكم الى المحيط الباسفيكى وعزلوكم بصورة خاصة فى جزيرة سخالين ؟ أنهم يرسلونكم بعيدا عن مساقط رؤوسكم بينما يعسكر الجنود الروس فى بلادكم انتبهوا .. انتبهوا ان موسكو تريد أن تحطم كل ما هو أوكرانى . انها تريد أن تذيب الجميع فى البوتقة الروسية حتى ما لم يكن روسيا من قبل . » صوت العروبة ١٩٦٥/٤/٢٢ .

والاشتراكيون اليابانيون حول الأرض التى انتزعتها روسيا من كل من الصين واليابان ..

وتحدث ماو باسم الدولية ، فأشار الى انعدام العدل فى توزيع السكان !.

« ونظريته الحالية تهبط الى القول بان سكان الكرة الأرضية موزعون توزيعا غير مناسب واذن فالعدالة تطالب باعادة تقسيم العالم » [1] .

والكلام منطقى جدا ..

الشيوعية قد ألغت الحدود بين الدول الاشتراكية ، ووحدة المعسكر الاشتراكى وتضامنه تتنافى مع الصراع على الأرض .. أليس من عوامل ازدهار المعسكر الاشتراكى ورفاهيته أن ينتقل الصينيون بملايينهم التى لانهاية لها ، الى المساحات الشاسعة فى سيبيريا التى لايسكنها أحد . فتزداد ثروة البلدين ، ويزدهر اقتصادهما ويتضاعف انتاجهما ، الا يكفى مزج سيبيريا بالطاقة البشرية الصينية الى انتاج قمح يكفى العالم كله لا المعسكر الاشتراكى وحده ؟!

وما الفرق بين حرق البن ، والقاء القمح فى البحر واعادة

---

(1) حديث مع الصحفيين اليابانيين « نشرة سوفيتية » .

الأراضي الزراعية الى غابات في أمريكا ، وبين بقاء سيبيريا قاحلة والرفاق الصينيون يتضورون جوعا على خط الحدود ؟.

بالمنطق « الأممي » .. نعم .

ولكن ، من قال ان هذا المنطق هو الذى يضبط سلوك الدول ؟!

افتتاحية البرافدا (1) ترد : « والطبيعة التضليلية لهذه النظرية واضحة للجميع فتوزيع السكان في العالم نتيجة لتطور طويل متشابك يرجع الى أن الشعوب المختلفة تعيش في ظروف مختلفة ، والشيوعيون يكافحون بالذات لكي يحققوا حياة أحسن لجميع الشعوب ، وعندما تنتصر الاشتراكية في العالم أجمع (يعني في المشمش) وتصل القوى الانتاجية الى مستوى عال في كل مكان . ستنتج عملية التقريب بين الأمم في اختفاء تدريجي بين ظروف معيشة شعوب البلاد المختلفة وعندئذ ستفقد الحدود بين الدول أهميتها . وفي هذه الظروف سيصبح من الممكن حل مسألة زيادة أو نقص السكان في العالم ، الا أن هذا أمر من أمور المستقبل ، واثارة هذا الموضوع في الوقت الحاضر ، في الوقت الذى توجد فيه نظم اجتماعية متعارضة ، والذى تجرى فيه عملية تدعيم سيادة الدولة ـ أمر خطير للغاية .. ولكن لا يجب

(1) نشرت بالقاهرة تحت اسم « ملحق المجلة السوفيتية : حول حديث ماوتسي تونج مع مجموعة من الاشتراكيين اليابانيين »

أن ننسى أن التاريخ يعرف حالات كثيرة قامت فيها حروب أكثر رجعية بهدف توسيع « المجال الحيوى » ولهذا لاتعتبر أفكار ماوتسى تونج عن « التوزيع غير العادل للاقليم العالمى » ليست جديدة ، فله سلف يمكنه أن يفتخر بهم » (١) .

اذن فالحدود قائمة لابقاء الرفاهية فى الجانب الروسى والفاقة فى الجانب الصينى .. ولا تزول الا بزوال الفارق فى مستوى المعيشة (٢) .. خوفا من أن تلتهم يأجوج وماجوج خيرات الاشتراكية على الجانب الآخر من السور !.

الأشعريون اذن أفضل : « كانوا اذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ماعندهم فى ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم .. فهم منى وأنا منهم » .

صلوات الله عليك وسلامه !.

تقول البرافدا : اننا نواجه برنامجا توسعيا صريحا ذا أهداف بعيدة (ليس خلافا أيدلوجيا اذن !) وهذا البرنامج لم يظهر اليوم أو بالأمس (البرافدا تتكلم) ففى عام ١٩٥٤ « أى قبل المؤتمر العشرين » صدر فى جمهورية الصين الشعبية ، كتاب يتضمن خريطة للصين تبينها كما كانت ، فى رأى مؤلفيه ، قبل

---

(١) ص ٢١ ــ ٢٢ من النشرة المذكورة

(٢) وما أهمية زوالها عندئذ ؟!

حرب الأفيون الأولى .. وفى الحدود الشمالية تسير بحذاء سلسلة جبال ستانو فواى ، التى تفصل أراضى الشرق الأقصى عن الاتحاد السوفيتى .. وفى الغرب ادخلت فى حدود الصين جزءا من قرغيزيا وتاجيكستان وكازاخستان (حتى بحيرة بالخاس) . كذلك ادعت أن سخالين جزء من الأراضى الصينية . وفى ذلك الوقت بدا أن نشر مثل هذه الكتب نتيجة للتهور أو النشاط الاستفزازى من جانب العناصر القومية . لكن الأحداث المتلاحقة دحضت هذا الافتراض (!!) فقد استمرت خرائط فى الصين الشعبية تبين أجزاء مختلفة من الاتحاد السوفيتى وغيره من البلدان المجاورة للصين ضمن الأراضى الصينية .

وبدأ الممثلون الصينيون أخيرا يكررون الحديث عن مئات وآلاف من الكيلو مترات المربعة التى زعموا أنها تنتمى الى الصين (١) » .

وتنقل البرافدا عن المجلة الصينية « اليشى يانشو » (العدد الرابع ١٩٦٤) أن روسيا قد « استولت قسرا على أراض واسعة .. »

« والآن أعلن ماوتسى تونج فى حديثه : منذ مايقرب من مائة عام مضت (أى قرن الضعف الذى يتحدث عنه توينبى)أصبحت

---

(١) ص ١٢.

المنطقة الواقعة شرق بيكال من أراضي روسيا ، ومنذ ذلك الحين أصبحت فلاديفوسك وخاباروفسك وكامشاتكا وغيرها من المناطق من أراضى الاتحاد السوفيتى ، ونحن لم نطالب بعد بتصفية حساب هذا الأمر ! » [1] .

وتحذر البرافدا : « هل فكر أولئك الذين يتساءلون عن ملكية الاتحاد السوفيتى لأراضى تبلغ مساحتها مليون ونصف مليون كيلو مترا مربعا ، فى كيفية رد فعل هذه المزاعم على الشعب السوفيتى الذى يعيش ويعمل على هذه الأرض منذ أجيال عديدة ويعتبرها وطنه ، ووطن أجداده » .

اذن فليس الوطن هو السوق !.. والأجداد هنا يذكرون !.. « ان وجود دولة منغولية مستقلة تحتفظ بعلاقات ودية مع الاتحاد السوفيتى وغيره من الدول الاشتراكية لا يسر الزعماء الصينيين. انهم يريدون انتزاع استقلال منغوليا وجعلها اقليما صينيا .وقد عرض زعماء الصين الشعبية على ن.س. خروشوف مناقشة هذه المسألة ، وأبلغ الزعماء الصينيين أن مصير الشعب المنغولى لا يتقرر فى بكين أو فى موسكو بل فى اولان باتور » [2] .

اذن فمن الممكن أن ينتزع بلد اشتراكى (روسيا مازالت تعترف بأن الصين اشتراكية) سيادة بلد اشتراكى آخر ويجعله

(١) ص ١٤
(٢) ص ١٧

اقليما ضمن أراضيه ؟! واذن فمن الممكن أن يطلب بلد اشتراكى مناقشة مصير شعب في غير عاصمته !؟

ويقول ماوتسى تونج : « هناك عدة أماكن يحتلها الاتحـــاد السوفيتى تحت ستار اتفاقية بالتا (أى بعد تحولها الى الاشتراكية وقبل تضخم البورجوازية كما تزعم الصـين الآن ، بل فى ظل ستالين الذى لاترفضه الصين ، بل تعتبره بانى الاشتراكية فى روسيا واستاذها فى العالم كله بعد لنين) وبحجة حماية استقلال منغوليا يضع الاتحاد السوفيتى حاليا هذا البلد تحت سيطرته ، ومنغوليا تشمل مساحة تفوق بكثير مساحة جزر كوريل ، وفى عام ١٩٥٤ عندما حضر خروشوف وبولجانين الى الصين أثرناهذه المسألة (يوم لم يكن ثمة خلاف حـول ديكتاتورية البروليتاريا ولا عبادة الفرد ، ولا دور البورجوازية فى التحول الاشتراكى ولا اتفاقية حظر التجارب النووية .. الخ ..) ، ولكنهما رفضا الحديث معنا فيها ، كما ضموا الى أملاكهم جزءا من ألمانياالشرقية وفصلوا جزءا من بولندا ضموه الى روسيا ، وأعطوا لبولندا عوضا عنه جزءا من ألمانيا الشرقية (كلهادول شيوعية) وحـدث نفس الشىء فى فنلندا ، لقد فصلوا كل مايمكن فصله ، كما ادعى بعضهم بان سينكيانج والأقاليم الواقعة غرب نهر آمور يجب أن تضم الى الاتحاد السوفيتى ، كما يحشد الاتحاد السوفيتى الجيوش على حدوده . والاتحاد السوفيتى يحتل مساحة تبـلغ

٢٢ مليون كيلو متر مربع بينما لايزيد عدد سكانه عن ٢٠٠مليون نسمة ، وحان الوقت لوقف هذا التناقض » (١) .

اذن فماوتسى تونج يرى أنه من الممكن لدولة شيوعية أن « تضم وتفصل وتضع تحت سيطرتها » بلدانا أخرى ، بل وأجزاء من بلدان شيوعية !

ويمكن أن نرى كيف تخدم الماركسية المصالح الروسية ، من ذلك الاستشهاد الغريب من لينين :

ذلك ان الصين فى حربها ضد روسيا ترفع أعلام الماركسية اللينينية ، وبالتالى تلزم نفسها بالسمع والطاعة لكل ما قاله ماركس وانجلز ولنين .. وهى ، للنيل من زعماء الاتحاد السوفيتى المعاصرين ، تغالى فى تقديس لنين .. ولذا فقد عثر لهم الروس على نص لينينى يثبت ملكية روسيا لفيلادفوستك !

قالت البرافدا : « لنين هو الذى قال : ان فلاديفوستك بعيدة . ولكنها مدينتنا » (١) .

---

(١) ص ٢٩.

(١) البعيد يقرب للبنين طبعا .. ولست أتمنى أكثر من أن أعرف رد الصين على هذا النص . وهل لديها عمرو بن العاص يخلصها منه بمثل : (قتله الذين أخرجوه) ! وهل يا ترى تفتي النظرية فى الحدود ؟

ويروى جيلاس (١) تفاصيل الصراع الروسى ـ اليوغوسلافى حول ألبانيا .. فى هذه المحادثة :

« وبعد التحيات الاعتيادية ، دخل ستالين فجأة فى صلب الموضوع فقال : (ان أعضاء اللجنة المركزية فى ألبانيا يقتتلون من أجلكم ، وهذا غير لائق ..) .. »

وبدأت أشرح له : فقلت : كان « ناكوسبيرو » ضد ربط ألبانيا بيوغوسلافيا . وهكذا عزل نفسه داخل اللجنة المركزية . وهنا قاطعنى ستالين بقوله : « ليس لنا أية مصالح هامة فى ألبانيا . اننا نوافق على أن تبتلع يوغوسلافيا ألبانيا » ثم جمع أصابع يده اليمنى وأدناها من فمه ، كأنما يريد ابتلاعها .

وكم كانت دهشتى عظيمة لهذا الأسلوب الذى أعرب به ستالين عن أفكاره ، ولاشارة الابتلاع هذه ، ولست أدرى اذا كانت دهشتى قد ظهرت على وجهى . وقد حاولت أن أجعل من

---

(١) ميلوفان جيلاس أحد أربعة قادوا انفصال يوغوسلافيا عن الكومنفورم . كان وزيرا فرئيسا للبرلمان فنائبا للرئيس تيتو ، انضم للحزب الشيوعى عام ١٩٣٢ وسجن ثلاث سنوات . أصبح عضوا فى اللجنة المركزية وهو فى السابعة والعشرين وعضوا بالمكتب السياسى للحزب بعد عامين . قاد حركة المقاومة ضد الاحتلال الالمانى . وفى عام ١٩٤٤ رأس وفدا عسكريا الى موسكو ، ثم اشترك فى أعمال الكومنفورم ١٩٤٧ ثم تفاوض مع روسيا ١٩٤٨ حول الخلافات الروسية ـ اليوغوسلافية . ألف كتاب « الطبقة الجديدة » أخطر كتاب فى تاريخ الشيوعية . هاجم البيروقراطية اليوغوسلافية الجديدة فى ظل الشيوعية .. أقيل من اللجنة المركزية للحزب وسجن مرتين .. ثلاث سنوات ثم أربع سنوات .. بعد كتابه محادثاتى مع ستالين سجن ٩ سنوات ابتداء من ابريل ٦٢ .

تصرفه هذا نكتة ، وان اعتبره تصرفا اعتاد عليه ، فتابعت كلامى قائلا : « ليست القضية قضية ابتلاع ، بل توحيد ! » (!!)

وهنا قال مولوتوف : « لكن هذا ابتلاع ! » .

وأضاف ستالين قائلا : وهو يستعمل الاشارة نفسها : نعم ! انه ابتلاع ، ولكننا على وفاق معكم ، يجب أن تبتلعوا ألبانيا ، عاجلا لا آجلا ..

لقد عالجت موضوع التقارب من ألبانيا ، أو الاتحاد معها مدفوعا بدوافع ثورية . فقد كنت أعتبر ، مع معظم الآخرين ، أن الاتحاد ، بموافقة الزعماء الألبان التامة ، ليس فى صالح ألبانيا ويوغوسلافيا فحسب بل فى صالح النزاع القائم بين الصرب والألبان ، كانت أهمية الموضوع ، فى نظرى ، فى انه سيتيح دمج الأقلية الألبانية فى يوغوسلافيا بالألبان فى جمهورية مستقلة داخل الاتحاد اليوغوسلافى ــ الألبانى . كان كل حل آخر لمشكلة الأقلية الألبانية فى يوغوسلافيا ، حلا غير عملى ، لا سيما أن سلخ جزء من الأراضى اليوغوسلافية التى تسكنها الأقلية الألبانية ، يؤدى الى مقاومة شديدة داخل الحزب الشيوعى اليوغوسلافى نفسه (١) .

---

(١) تأمل !.. لحل مشكلة الأقلية الالبانية يقترح ضم البانيا كلها ليوغوسلافيا لا ضم هذه الأقلية لألبانيا ! .. وقارن هذا بسخاء الشيوعيين العرب فى فصل الاقليات !

وأخبرني « كارديلج » نفسه أن السبب الحقيقي للخلاف مع موسكو هو الاتفاق الذي أبرم بين الحكومتين اليوغوسلافية والألبانية والذي يسمح بدخول فرقتين يوغوسلافيتين الى ألبانيا . وكان قد تم تشكيل الفرقتين ، بينما كان سرب من الطائرات اليوغوسلافية المقاتلة في طريقه الى ألبانيا ، حين احتج الاتحاد السوفيتي بشدة (١) .

وروسيا تعترف أن العلاقة مع الصين لم تبدأ على أساس المساواة وتفسر ذلك بأنه من انحرافات ستالين .

« وقد وصل التعاون السوفيتي الصيني ذروته فيما بعد عام ١٩٥٣ عندما أزيلت عناصر عدم المساواة في العلاقات بين بلدينا ، والتي فرضت عبادة الشخصية الستالينية ، وقد أزيلت بدافع من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي والرفيق ن . س . خرشوف ، وقد قال ماوتسي تونج في عام ١٩٥٧ : (ان الفضل يرجع الى ن . س . خرشوف في ازالة الأشياء غير اللائقة والخارجة في المسألة الصينية) .. » (٢) .

اذن فقد سادت العلاقات غير المتساوية بين البلدين ، سنوات ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ . ! لماذا ولمصلحة من ؟ . اذا كانت

---

(١) محادثاتي مع ستالين .

(٢) قرار الاجتماع الشامل للحزب الشيوعي ص ٦٢ .

الطبقات المستغلة قد زالت من روسيا (١) ؟ .

وهذا الحديث لا يدور حول مركز ستالين الشخصى طبعا .. فما زالت الصين تعترف لستالين بهذه المكانة . واذا كان ستالين منحرفا ، فكيف أمكنه أن يدخل علاقات استغلالية على مجتمع غير استغلالى ، وهل يمكن أن يستغل بلد كالصين لمصلحة فرد واحد ؟ ! .

« وتدل الحقـائق على أن الوطنية تكسب اليد الطولى فى السياسة الكلية للزعماء الصينيين ، وانها تصبح المصدر الأساسى لتصرفاتهم » .. (٢) .

والصين بدورها تتهم روسيا بالقومية والتدخل فى الشئون الداخلية .

« ان قـادة الحزب الشيوعى السوفيتى ، لا يتورعون عن

---

(١) المجتمع الاشتراكي فى الاتحاد السوفيتى اليوم هو مجتمع ألغيت فيه الطبقات المستغلة ، واستغلال الانسان للانسان ، فليس فى الاتحاد السوفيتى كبار ملاك أو رأسماليين أو كولاك أو تجار . فلأول مرة فى تاريخ المدنية وجد مجتمع اشتراكي لا تقوم فيه سعادة البعض على شقاء الآخرين ، وليست فيه سيطرة أو تبعية ولا طبقات طفيلية ومجموعات تعيش على عمل الآخرين .

(طرق مختلفة للانتقال الى الاشتراكية
ا . بوتينكو)

(٢) ص ١٠٨ .

القيام بأى عمل فى سيرهم على سياسة عصبية الدولة الكبرى (1) .
لقد باشروا دائما الضغط السياسي والاقتصادى ، وحتى العسكرى على الأقطار الشقيقة » .. « لقـد دعا قـادة الحزب الشيوعى السوفيتى علنا الى الاطاحة بقادة الحزب والحكومة فى ألبانيا ، وقطعوا بفظاظة جميع العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية معها ، وحرموها كما يفعل الطغاة من حقوقها المشروعة بصفتها عضوا فى منظمة حلف وارسو ، ومجلس العون الاقتصادى المتبادل » (2) « ان مثل هذه الأعمال تسىء الى العلاقات بين الدول بصـورة خطيرة ، وهى نادرة الوقوع حتى بين الأقطار الرأسمالية » (3) .

وتتهم الصين روسيا ، أكثر من مرة ، بالسعى الى تقسـيم العالم « فى محاولة فاشلة للسعى الى السيطرة على العـالم عن طريق التعاون الأمريكى السوفيتى » (4) .

« خرب علنا قواعد العلاقات بين البلدان الشقيقة فاعتدى على استقلال وسيادة البلدان الشقيقة وتدخل بشكل كيفى فى الشئون الداخلية لهذه البلدان » (5) .

---

(1) فى القاموس السياسى السوفيتى .. ان العصبية القومية للدولة الكبرى هى « السياسة الوطنية البور جوازية فى البلاد المسيطرة المستغلة والظالمة لغيرها من الشعوب »

(2) قادة الحزب الشيوعى السوفياتى اكبر الانقساميين ص ١٩

(3) ص ٢٠

(4) ص ١٧.

(5) لماذا سقط خرشوف . افتتاحية مجلة العلم الاحمر ٢١ ، ١٩٦٤/٢٢ ص ٧

ويلخص جيلاس دور ستالين فى التاريخ بأنه حول « روسيا المتخلفة الى دولة صناعية وامبراطورية يزداد طموحها ، باصرار وعناد للسيطرة على العالم » [1] .

وحتى تكتمل الصورة .. نرى الصين وروسيا تتبادلان المواقع عند الحديث حول النزاع الصينى الهندى ، على ما مساحته (١٢٥) ألف كيلوا مترا مربعا .. هنا نرى روسيا نفسها فى موقف القاضى .. وتخفت لهجة الحديث عن وطن الآباء والأجداد .. وتتذرع بالمنطق الأممى .

يقول خرشوف ، ماذا تعنى كيلومترات ضئيلة : « لا حاجة بالشيوعيين الى الاهتمام بمواقع الحدود .. وكيف تجرى » ! . وهنا تنسى الصين منطق الدولية الذى جاءت به روسيا فتقول : « وكم تساوى (١٢٥) ألفا من الكيلوامترات المربعة ؟ انها أكبر من مجموع مساحة جمهوريتى أذربيجان وأرمينيا معا . ولنفرض أن قطرا رأسماليا أصر على احتلال هاتين الجمهوريتين من جمهوريات الاتحاد السوفيتى ، فهل يعتبر القادة السوفيت هذا أيضا ، من الأمور التى لا تستحق الاهتمام ؟ » . « يدعى خرشوف أيضا أن المناطق المتنازع عليها على الحدود الصينية الهندية ، قليلة السكان ، وليست ذات قيمة كبيرة للحياة الانسانية ولهذا لا تستحق أن ينظر اليها بعين الجد » .

---

(١) محادثاتى مع ستالين ص ١٨٤ .

ونحن لا تسعنا الموافقة على هذا أيضا . ومن يقول بأنه على القطر الاشتراكى أن يدافع فقط عن أجزائه المكتظة بالسكان ولا يدافع عن أجزائه التى يقل فيها السكان ؟ . وفى الحقيقة فان كثافة السكان فى المنطقة الواقعة فى القطاع الشرقى من الحدود الصينية الهندية هى بصورة عامة تشبه ما فى جمهورية تركمان السوفيتية . أما المنطقة الواقعة فى القطاع الغربى من الحدود الصينية الهندية فهى ليست مهجورة أكثر من المناطق المتجمدة الشاسعة فى الجزء الشمالى الشرقى ، من الاتحاد السوفيتى ، التى تواجه ولاية ألاسكا الامريكية ، عبر البحر . « ويدعى القادة السوفيت أيضا أنه لا حاجة بالشيوعيين الى الاهتمام بموقع الحدود وكيف تجرى . انهم لسوء الحظ ينسون أننا نعيش فى عالم فيه طبقات ودول (١) ، فى عالم ما زال به مستعمرون ورجعيون برجوازيون » (٢) .

وهكذا نرى أن « الأممية » ليست الا ستارا لخدمة المصالح القومية ولا عيب فى ذلك من جانب روسيا أو الصين ، بل العيب فى من يخضع مصلحة وطنه لمصلحة وطن آخر باسم الأممية .

لقد انطلق شعار « الأممية » كما رأينا مع الحركة الماركسية ، على أساس أن الاشتراكية ستذيب الحدود وانها دعوة لصعاليك

---

(١) راجع ص ١٣٤ من هذا الكتاب .

(٢) حقيقة تحالف قادة الحزب السوفياتى مع الهند ضد الصين ـ بكين ـ ص ١٠ ـ ١٣ .

العالم كي يتحدوا لتقوم الثورة الاشتراكية العالمية (آخر الحروب) وتطوح بالنظام الرأسمالي العالمي ! فلما قامت الاشتراكية في وطن واحد ، هو روسيا ، كان من الطبيعي أن تخدم الأممية مصالح هذا الوطن .. خدمته في الداخل باخفاء التناقضات القومية بين روسيا والشعوب غير الروسية التي كانت تخضع للقومية الروسية في الامبراطورية القيصرية .

وخدمت الأممية ، أيضا ، الاتحاد السوفيتي ، على النطاق العالمي ، باحاطته بدائرة من العاطفيين والمؤمنين المتحمسين في جميع دول العالم الرأسمالي .. الأحزاب الشيوعية والملتفون حول الأحزاب الشيوعية ، لم يكونوا عملاء بالمعنى القديم لهذه الكلمة ، ولكن مؤمنين متحمسين للاتحاد السوفيتي ، قلعة الاشتراكية وحصن الطبقة العاملة والدولة التي تجري فيها أكبر تجربة وأخطرها في تاريخ الجنس البشري ، وتتآمر عليها قوى الشر في العالم كله .

« كان الفرح يملأ كياني وأنا أتصور اقتراب موعد لقائي بالاتحاد السوفيتي ، والأرض الأولى في التاريخ ـ كما كنت أومن ايمانا أقوى من الصخر ـ التي تجسد فيها حلم الطامحين وعزم الأبطال وآلام الشهداء . وقد خطر لي أن أقبل الأرض الروسية » (١) .

---

(١) جيلاس . الشيوعي اليوغوسلافي .

ومن الطبيعى أن يكون واجب الشيوعى المخلص هو الذود عن هذه القلعة .. وكان ديمتروف سكرتير الحزب الشيوعى البلغارى ، وسكرتير الدولية الثالثة أو الكومنترن .. يقول : ان محك صدق الشيوعى هو موقفه من الاتحاد السوفيتى .

وقال ديمتروف فى المؤتمر السابع للكومنترن عام ١٩٣٥ :

« ان العاطفة القومية خليقة بالتشجيع ما دامت موجهة ضد (بقايا الاقطاع) أو ضد (البورجوازية القومية) غير أنه تجب مقاومتها بمجرد اصطدامها بالحركة الشيوعية أو بالاتحاد السوفيتى » ! .

وستالين الابن البكر لبطرس الأكبر يعرف الرجل الدولى بأنه « الذى يظهر استعدادا لأن يقوم بلا تحفظ ، ولا تردد ، وبدون شروط ما بالدفاع عن الاتحاد السوفيتى لأنه قاعدة الحركة الثورية العالمية » [1] .

ولا نظن أن دولة من الدول قد وفقت الى نظرية أممية متحيزة على هذا النحو الفاضح ، الى جانبها ! .

ونصت لائحة الكومنترن على أنه : « بالنظر لأن الاتحاد السوفيتى هو الوطن الوحيد للبروليتاريات الدولية ، فانه يجب على هذه أن تسهل من جانبها نجاح أعمال البناء الاشتراكى فى

---

(١) الموقف الدولى والدفاع عن الاتحاد السوفيتى : ستالين ١٩٢٣ .

الاتحاد السوفيتى ، وأن تحميه من هجمات العـــالم الرأسمالى بجميع ما لديها من وسائل » .

الا أن انفراد الاتحاد السوفيتى بوضع الدولة الاشتراكية الوحيدة فى العالم ، الى نهاية لحرب العالمية الثانية ، قد خففت من حدة التناقض بين المصلحة القومية للشيوعى ، والمصلحة الدولية ، أى مصلحة حصن الاشتراكية وقلعة الشغيلة .. أى روسيا (١) .. اذ لم تكن الأحزاب الشيوعية فى السلطة ، وبالتالى لم يكن بوسعهم التضحية بمصلحة قومية أساسية ، أو الاصطدام على المستوى القومى .. مما جعل هذا المبدأ ينحصر فى الخدمات الفردية (٢) .. أو فى جرجرة الأحزاب الشيوعية خلف التطورات السياسية فى روسيا ، والتى تمليها مصالحها كدولة ، واضطرارها الى المناورة ، بالاقدام أو التراجع .

فالحزب الشيوعى الفرنسى ، يعارض الحرب فى البداية لأنها حرب استعمارية ، ثم تنقلب الى حرب وطنيـــة تحريرية لا بغزو ألمانيا لوطنه فرنسا ، بل باشتراك الاتحاد السوفيتى فيها ! .

---

(١) انني احمل فى ذاكرتى دائما أن ستالين استعمل كلمة روسيا . لا الاتحاد السوفيتى . وهذا معناه انه لم يكن موحيا للقومية الروسية فقط ، بل كان هو ايضا يستوحيها ، ويمتن روابطه بها . » جيلاس .

(٢) « ان الشيوعيين هم الذين كانوا القاعدة والوسيلة اللتين كان الاتحاد السوفيتى يستخدمهما لتثبيت نفوذه فى بلدان أوربا الشرقية ، وكم داخلنى الرعب من تلك الدوافع التى كان يتوسلها الاتحاد السوفيتى » جيلاس .

وكلنا نذكر الاذلال الستالينى للاحزاب الشيوعية فى غرب أوربا عندما أجبرها على اصدار اقرار بأنها ستقاتل الى جانب الاتحاد السوفيتى اذا ما اشتركت أوطانهم فى الحرب ضده (1) .

لقد كان شعار الدولية ، كما رأينا ، ضروريا جدا ، لحماية الاتحاد السوفيتى .. وفى نفس الوقت كانت التربية القومية فى الداخل تعمل على دعم الاعتزاز الروسى . حتى أن فتوحات القيصر فى آسيا السوفيتية وجدت لها التبرير المطلوب ، اذ أن هذا الاستعمار قد أنقذها من الوقوع فى يد الرجعية التركية والايرانية وأتاح لها فرصة التنعم بالاشتراكية .. وهكذا « عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » ! .

وجرت حركة اعتزاز بالتراث الروسى كله .. بل حتى بالجبال ! فقد انتقد احترام العلوم الغربية .. « حتى أن (نابليون) و (بايرون) قد رفعت مرتبتهما فوق قواد وشعراء من الروس يفوقونهما بمراحل ، كما أن الأطفال كانوا يلقنون أن أعلى جبل فى أوروبا هو (مونت بلاك) فى حين أنه فى الحقيقة جبل (البروز) فى القوقاز » (!!)

ثم كان أن ظهرت الشقيقات الشيوعيات ، فانهار شعار الأممية .. عندما وصل الشيوعيون الى السلطة فى ١٢ بلدا ..

---

(1) من المضحك أن الحزب الشيوعى المصرى « تنظيم الراية » أصدر بيانا فى ذلك الوقت يعلن فيه أنه سيقاتل الى جانب الاتحاد السوفيتى !.

اصطدمت المصالح .. وتعارضت القوميات ، وكان لابد أن يتشقق الطلاء الأممى يوما ما ، ليكشف عن الصراع والتناقضات من تحته ..

واستطاع ستالين بديكتاتوريته وقدسيته أن يؤجل العملية حينا من الوقت ([1]) . حتى أن انشقاق يوغوسلافيا بدا لأعين الكثيرين ، انحرافا تيتويا ، وصدق الشيوعيون فى العالم كله أن تيتو باع يوغوسلافيا لأمريكا .. حتى خصوم الشيوعية فسروها بأنها ضربة بارعة للمخابرات البريطانية ! .

لم يكن ثمة من يصدق أنه فى ظل الشيوعية توجد سيطرة أمة ، واستغلال دولة اشتراكية لدولة اشتراكية أخرى .

كان لابد من تحطيم الأسطورة الستالينية ، حتى يبدأ الناس فى التفكير . وقد تكفلت بتحطيم هذه الأسطورة عملية الصراع على السلطة فى الكرملين بعد وفاة ستالين ، وعرف الناس أنه من الممكن أن يصدر عن قدس الأقداس الشيوعى ، أحط الجرائم وأكثرها بشاعة ورعبا .

---

(١) ان ستالين لم يكن فقط الزعيم العبقرى الذى لايعارض وانما كان التجسيد الفعلى لافكار المجتمع الجديد وأحلامه ، هذا التأليه لشخصية ستالين، ولكل شىء تقريبا فى الاتحاد السوفياتى ، اتخذ مظاهر غير واقعية . فقد كان كل عمل تقوم به الحكومة السوفياتية ـ الهجوم على فنلندا مثلا ـ وكل المظاهر السلبية فى الاتحاد السوفيتى ـ المحاكمات والتطهير مثلا ـ تلاقى كل تبرير ودفاع . وما بدا اكثر غرابة أن الشيوعيين نجحوا فى اقناع انفسهم بصحة وسلامة هذه الاعمال وفى ازالة جميع آثار الوقائع الصحيحة وغير المرضية من تفكيرهم . « جيلاس » .

وكان لابد أن يشق عصا الطاعة حزب شيوعى لا سبيل الى اتهامه بالعمل لحساب المخابرات الاستعمارية ، ولا مجال للتشكيك فى تفهمه للماركسية ، ولا سبيل للطعن فى عبقرية قادته وعظم النصر الذى أحرزه..

جاء انشقاق الصين ، فانهارت والى الأبد وحدة الكنيسة الشيوعية .. مات البابا ، وانشق مجمع الكرادلة ، وتداولت الأيدى الأسرار المقدسة ، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه .. وتبين الناس أن التاريخ البشرى لم يغير مساره اكراما لماركس ! . وما زلنا بعيدا جدا عن مرحلة الأحلام ، حيث السلام الأبدى ، والأخوة الدائمة فى ظل « طبقة واحدة وكنيسة واحدة » .

تبين أنه ــ كما يقول جيلاس ــ « أن الصراع سيغدو مريرا اذا ما خضع الناس لنظام اجتماعى واحد » (١) .

لقد ثبت أن المصالح القومية باقية ، وأن فكرة الأممية قد استغلت لخدمة هذه المصالح ، وما دامت الأمم متمايزه ، فان امكانية استغلال أمم أخرى قائمة . واذا كانت الرأسمالية قد استعمرت واستغلت من أجل أرباحها هى ، وأيضا من خلال هذا الاستغلال قد رفعت مستوى معيشة شعوبها وقوت المركز الدولى

---

(١) يبدو فعلا ــ ولو أنى لم أتوقف طويلا لدراسة هذا الرأى ــ أن التعايش السلمى أكثر امكانية بين النظم الاجتماعية والفكرية المختلفة منه بين النظم المتشابهة .

لبلادها . فليس مستحيلا أن تقبل الدولة الشيوعية استغلال أمم أخرى لنفس الأهداف باستثناء ربح الطبقة الرأسمالية (١) . فهل ترفض البروليتاريا التشيكية مثلا اقامة علاقات اقتصادية ممتازة مع شعوب أخرى لحساب الشعب التشيكى والوطن التشيكى ولو على حساب الشعوب الأخرى ؟

لمـــاذا ؟ .

ما هى الحجة المادية ضد هذا الاحتمال ؟ . لا شىء ! .

ان العبـــرة التى يجب أن نخرج بها من انهيـــار الأممية الشيوعية هى أن قوانين ماركس قد تكون صادقة ولكن نبوءاته باليقين فاسدة ..

ومع ذلك فلنترك المطبوعات الشيوعية ، تكمـــل لنا رســـم الصورة .. فما دامت المصالح القومية باقية ، فلا شك أن العلاقات الاقتصادية تعكس هذه المصالح ..

يقول جيلاس :

« ومع أننا لم نكن الا عابرين فى رومانيا . فقد وجدنا سببا للانتقاد فى كل مكان . فهناك ، أول الأمر ، العلاقات القائمة بين الاتحـــاد السوفيتى وبلدان أوربا الشرقية ، كانت ما تزال تحت

---

(١) ودعنا الآن من حديث الطبقة الجديدة ..

الاحتلال الفعلي وثرواتها تبتز منها بشتى الوسائل ، لا سيما عن طريق الشركات المتحدة الأسهم التي كاد الروس أن لا يساهموا بنصيبهم من تمويلها الا بالرأسمال الألماني ، الذي أعلنوا ببساطة ، أنه من غنائم الحرب . أما التجارة مع هـذه البلدان ، فلم تكن تجرى ، كما تجرى عليه في بقية أنحاء العـالم . ذلك أنها كانت تقـوم على أسس اتفاقات خاصة تشـترى بموجبها الحكومة السوفيتية بأقل ، وتبيع أعلى ، مما هي الأسعار العالمية » (١) .

ولكن « جيلاس » حديث قديم .. وهو على أية حال لا يشغل الآن مركزا شيوعيا ، بل سجين .. فلنسمع رأى شيوعيين معترف بهم ..

لنسمع كوريا الشمالية :

نشرت صحيفة « رودنج شنمون » لسان حال اللجنة المركزية لحزب العمال الكوريين (الحزب الشيوعي) في ٧ سبتمبر ١٩٦٤ بيانا ترد فيه على تعليق البرافدا على (الندوة الآسيوية الاقتصادية) جاء فيه : « أليس من الأفضـل عند حديثكم عن المسـاعدات السوفيتية لنا ، أن تذكروا أيضا أنكم بعتم لنا معدات بأسعار أعلى بكثير من أسعار السوق العالمية ، وأخذتم منا أطنان الذهب والخامات بأسعار أقل كثيرا من الأسعار العالمية » (٢) .

---

(١) محادثاتي مع ستالين ص ١٣٥ .

(٢) نقلا عن بكين ريفيو عدد ٣٨ .

« ويتطاول الصينيون فى محاولتهم لمحو ذكرى المساعدة السوفيتية ! . فيدعون أن الاتحاد السوفيتى قام بتسليم معدات قديمة للصين » [1] .

وقد أشار جيفارا الشيوعى الكوبى بالتجنس ، الى المزايا التى تحققها دول شرق أوربا من الاتجار بالأسعار العالمية ، هذه الأسعار التى تفرضها الاحتكارات الاستعمارية على أسواق العالم ، فلتجعل نسبة التبادل بين الخامات والمواد المصنعة لصالح الدول الصناعية المتقدمة .. وبذلك يتحقق لها استغلال الدول المتخلفة المنتجة للخامات والمستهلكة للمصنوعات .

قال « جيفارا » وزير الصناعة فى حكومة كوبا (الماركسية ـ اللينينية) :

« كذلك يفرض النظام الرأسمالى ، التبادل غير المتساوى بين البلدان المختلفة .. مثلا ، مع الوقت تنخفض باستمرار أسعار المواد الأولية بالنسبة الى السلع المنتجة . وهكذا يحدث أن البلدان الاشتراكية عندما تشترى المواد الخام بأسعار السوق العالمى .. ويبيعون السلع المنتجة أيضا بهذه الأسعار .. وهذا هو الذى يحدث بالفعل وعلى الرغم من أن بعض بلدان أوربا الشرقية تنفى هذه الحقيقة . وهذا الانكار ليس الا لمصلحتهم الذاتية ..

---

(٣) قرار الاجتماع الشامل ص ٦٦١ .

قلنا انهم يستفيدون من فائض القيمة الذى تفرضه الاحتكارات العالمية .. وهذا وضع لا يجوز » (١) .

وهكذا نرى أن ظهور دول اشتراكية ، لم يؤد الى تحطيم السعر العالمى الاحتكارى ، الذى يستغل الدول المتخلفة .. بل قبلت الدول الاشتراكية التعامل بهذه الأسعار محققة بذلك نفعا اقتصاديا ، ولو على حساب الشعوب الأخرى . ولم يقتصر الأمر على العلاقة بين الدول الاشتراكية وغير الاشتراكية ، وانما بين الدول الاشتراكية ذاتها .. واذا صدقنا الصين وكوريا الشمالية ورومانيا وألبانيا ويوغوسلافيا . نجد أن معدل الاستغلال أكبر بين الدول الاشتراكية فى تعاملها مع بعضها البعض ، حيث يؤدى اختفاء عامل المنافسة الحرة الموجود فى السوق العالمية الى تمتع الدولة الصناعية الاشتراكية بمميزات احتكارية فى سوق شقيقتها الدول الاشتراكية المتخلفة . والنتيجة هى « بيع بأسعار أعلى من السوق العالمية ، وشراء بأسعار أقل » أى استغلال الدول الاشتراكية المتقدمة للدول الاشتراكية المتخلفة .. وبأكثر مما يمكنها استغلال الدول غير الاشتراكية ..

ومن الطبيعى أن تكون الخطوة التالية لهذه السياسة هى حرص الدول الصناعية الاشتراكية على ابقاء عامل التفوق هذا .. وذلك بمنع تصنيع الدول الاشتراكية المتخلفة ..

---

(١) مجلة الطليعة : ابريل ١٩٦٥ .

فهل حدث هذا ؟ .

وفقا لقوانين المادية الجدلية لا بد أن يحدث ..

فهل صدقت قوانين ماركس ؟ ! .

تقول الصين عن خروشوف : « انه باسم (المساعدة الاقتصادية المتبادلة) المزعومة ، عارض تطوير البلدان الشقيقة ، لاقتصادها تطويرا مستقلا ، وأرغمها على أن تصبح موردا للمواد الخام ، وأسواقا للسلع . محاولا أن يجعل صناعات البلدان الشقيقة صناعات تابعة ، وكان يتبجح بأن كل ذلك نظريات ومبادىء من اختراعه ، بينما هى فى الواقع شريعة الغاب للعالم الرأسمالى ، يطبقها فى العلاقات بين البلدان الاشتراكية ، متخذا السوق المشتركة لكتل الرأسمال الاحتكارى قدوة يحتذيها » (١) .

ويبدو أن خلافا حادا يدور اليوم داخل الدوائر الشيوعية حول المعونة الاقتصادية ، والوحدة الاقتصادية ، والتخصص الاقتصادى .. فانطلاقا من الأممية ، والأخوة الشيوعية ، ووحدة المعسكر الاشتراكى ، يرى الاتحاد السوفيتى أن تقسيم العمل على نطاق المعسكر . هو السبيل للرخاء المشترك .. فلا معنى لأن تصر دولة منتجة للحاصلات الزراعية ، وتتمتع بمزايا طبيعية فى الثروات المعدنية والمواد الخام ، لامعنى لاصرارها على التصنيع وبناء الصناعات الثقيلة .. اذ أن ذلك يعنى نقص كفايتها الزراعية ،ويؤدى

---

(١) « لماذا سقط خروشوف » افتتاحية مجلة العلم الاحمر الصينية .

كذلك الى ارتفاع أسعار مصنوعاتها وعجزها عن المنافسة مع الاقطار الرأسمالية .. ثم الى تكرار التجربة المريرة التى مرت بها روسيا فى عصر ستالين ، عندما اقتضى التصميم على التصنيع ، اعتصار عدة اجيال ، وفرض ارهاب وحشى لتحويل المجتمع الى ماكينة من بشر وحديد ، تنجز خطط الدولة .. مما كلف الاشتراكية خسارة أدبية فى سمعتها لدى الشعوب لا يعوضها ما حققته من نجاح فى التكنولوجيا ..

ويرى الاتحاد السوفيتى أن قيام الصناعة السوفيتية مع عدد من الدول المتقدمة صناعيا قبل الاشتراكية .. (تشيكوسلوفاكيا ـ ألمانيا الشرقية ـ بولندا) .. قد خفف عن الشقيقات هذا العبء، وأعفاها من أن تخوض الطريق الوعر الذى خاضته الشقيقه الكبرى .. اذ يمكنها الاعتماد على معونة الاتحاد السوفيتى فى رفع مستوى معيشتها ، ويمكنها أن تتخصص فيما يسرته لها الطبيعة ، وتطورها التاريخى ، ولا ضير فى أن تنقسم الدول الاشتراكية الى مجموعتين واحدة تتخصص فى تصدير السلع الصناعية واستيراد الخامات واخرى تتخصص فى انتاج الخامات واستهلاك مصنوعات الدول الشقيقة المتقدمة .. بذلك تسير عجلة التقدم الاقتصادى للمعسكر ككل فى مواجهة منافسة المعسكر الرأسمالى . اذ ان الصناعة فى هذه الحالة ، لن تقام لاعتبارات وطنية ، بل للاعتبار الاقتصادى وحده ، فلا معنى لاصرار رومانيا على قيام صناعات بتروكيمائية فيها لمجرد أن عندها البترول !.. ان أمام رومانيا سنوات

عديدة قبل أن تقوى على منافسة الغرب فى هذا الميدان ولكن تصدير بترول رومانيا [1] الى روسيا الأكثر تقدما فى الصناعات الكيماوية سيتيح « للأسرة فى مجموعها » أن تتقدم فى ميدان المنافسة الاقتصادية ، الذى هو ميدان المعركة الحاسمة فى النضال من أجل الشيوعية [2] .

فعلى الدول الشيوعية المتخلفة أن تعتمد على معونة الاتحاد السوفيتى فى تطوير اقتصادياتها ، وعلى نظام التخصص الصناعى لتحقيق أكبر استفادة من امكانياتها الطبيعية .

ولكن رومانيا (وبالطبع الدول الشيوعية الأسيوية) رفضت هذا المنطق .. رفضت نصيحة « الكوميكون (السوق المشتركة الشيوعية) بالتخصص فى الزراعة واستخراج البترول ! واتجهت الى الغرب . ومن « جدلية » التاريخ أو ان شئت قل سخرية التاريخ ، أن مصنع منتجات البترول ، فى رومانيا ، ستبنيه لها الولايات المتحدة ، الى جانب مصنع للاطارات ، تم الاتفاق عليها بين البلدين .. نفس الولايات المتحدة التى ترفض أن تقيم مثل هذا المصنع فى ليبيا مثلا ، ولا تتردد روسيا فى اقامته .. ولكن .. فى ليبيا ! .

ونظرية تقسيم العمل والتخصص الاقتصادى ، ليست نظرية سوفيتية بالطبع ، بل نادى بها الاقتصاديون الرأسماليون منذ

---

(١) رومانيا تنتج ١٢ مليون طن سنويا من البترول .

(٢) الشئون الدولية «روسية» عدد ١٩٦٤/٩ .

سنوات عديدة سابقة على ظهور ماركس (١) . بل كانوا يعتبرونها الوضع الطبيعي الذى تتمخض عنه السوق بالعالمية ، ويعتبرون أن أى محاولة لمعارضته ، خرق لقوانين الطبيعة لا تجلب الا المتاعب والخسائر .

ولكن .. هذا القانون كان يغرى دائما بخرقه ، لأن الخضوع له يعنى قبول استغلال الدولة الأكثر تقدما فى الصناعة . ذلك أن الاستغلال على النطاق العالمى يكمن كما قلنا فى أن معدل التبادل بين السلع المصنوعة والخامات ، غير عادل ، ولا حقيقى ،ولا ثابت بل هو فى صالح الدول الصناعية ، وينهار باستمرار لصالحها .. كذلك فان الحرب الحديثة هى حرب صناعية ، ومن ثم فان الدولة غير الصناعية ، انما تخاطر باستقلالها ، وتجعل من نفسها لقمة سائغة تغرى دائما بالابتلاع .

وصحيح أن هذه الاحتمالات لا وجود لها فى ظل العلاقات الاشتراكية الوردية التى رسمها الشيوعيون أيام ماركس ، وفى ظل الدولة الاشتراكية الوحيدة .. ولكنها انقلبت الى حقيقة مروعة بعد طرحها فى ميدان التطبيق العملى بين الدول الاشتراكية .

فاللجنة المركزية للحزب الشيوعى الحاكم فى كوريا الشمالية ترى ، وتؤيدها فى ذلك الصين اذ تترجم لها وتنشر :

---

(١) وما حيلتنا ان كانت الصين تشاركنا هذا الرأى !!

« بعض الناس من (البلد الاشتراكى الأكثر تقدما) قد أزروا بالبلاد الاشتراكية ، لأنهم عصفوا بالمبادىء الأممية فى التعاون الاقتصادي والمعونة .. وما أكثر الحوادث العديدة التى يعرفها العالم عن هذا الأمر » (١) .

أما عن معونة الدول الاشتراكية المتقدمة لشقيقاتها المتخلفة فتقول بكين ريفيو : وتفنيدا لادعاءات البرافدا حول الاعتماد على التعاون الاقتصادى بين الدول الاشتراكية ، ومعونة الدول الاشتراكية الأكثر تقدما .. فيقول بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الكورى (الشمالية) :

« ان هذا التحليل يهدف الى الترويج لفكرة الاعتماد على الآخرين والعيش على حسناتهم ، وربط مصير الأمة الاقتصادى بدولة اشتراكية أكثر تقدما » .

وتقول قيادة الحزب الشيوعى الكورى : « ان أحدا لم ينكر أن المعونة غير الأنانية تساعد على تنمية اقتصاديات الدول الحديثة الاستقلال . ولكن (البرافدا) تحاول اغراء الشعوب بامكانية العيش عن طريق الارتباط بمعونة الآخرين وحدها » .

وتتساءل اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الكورى : « أين هو البلد الذى يمكنه ازالة الفقر والتخلف .. أو أين هو البلد الذى تمكن من ازالة الفقر والتخلف معتمدا على معونة (الدولة

---

(١) بكين ريفيو ٣٨ .

الاشتراكية الأكثر تقـدما ؟) . وهل هناك مثال واحـد لدولة اشتراكية أكثر تقدما عالت دولة متخلفـة أو ساعدتها فى بنـاء اقتصادها الوطنى » .

الذى يسأل اللجنـة المركزية للحزب الشيوعى الكورى فى مقالها المنشـور بصحيفة « رودونج شنمون » وترجمته ونشرته صحيفة بكين ريفيو الصينية (١) .

وتقول : « تحاول البرافدا أن تعطى انطباعا بأن الدعوة الى الاعتماد على النفس فى بناء اقتصاد وطنى مستقل ، دعوة تتعارض مع تدعيم وتوسيع التعاون الاقتصـادى بين الدول المتحررة ، والدول الاشتراكية . وتدعى البرافدا ، أن الندوة فشلت فى ذكر مثال واحد لاهدار مبادىء التعاون الاقتصادى بين الدول المستقلة من جانب الدولة الاشتراكية الأكثر تقدما .. لأن مثل هذا الأمر لا وجود له .. أحقا (يرد الحزب الكورى) لا يوجد مثال لذلك ؟ قال مندوب فى الندوة ، انه بعد تلقى مسـاعدات من (الدولة الاشتراكية الأكثر تقدما) قد نهبت بلاده ، وتدخل فى شئونها الداخلية ، وواجهت نشاطا تخريبيا » (٢) .

ومن الطبيعى فى مثل هـذه الظروف أن تكون الخـلافات

---

(١) الندوة الاسيوية الاقتصادية الثانية المنعقدة فى بيونجيانج « يونيـه ١٩٦٤ » .

(٢) بكين ريفيو العدد ٣٨ ص ٢٥ .

الأيدلوجية فرصة طيبة للتحرر من الارتباط الاقتصادى .. فيقول تقرير الاجتماع الشامل للحزب الشيوعى الروسى :

« ولقد تدهورت العلاقات السوفيتية ــ الصينية بصورة ملحوظة بعد أن ذهب زعماء الحزب الشيوعى الصينى الى أبعد من التصرفات غير الودية ، الى التعويق الحاد للعلاقات الاقتصادية والثقافية مع الاتحاد السوفيتى وغيره من الدول الاشتراكية .. وأنقصت الى الحد الأدنى حجم التجارة السوفيتية ــ الصينية .. فهبطت فى عام ١٩٦٣ الى ٣٦ر٥٪ عما كانت عليه فى عام ١٩٥٩ » (١) .

« وتقطع العلاقات الاقتصادية مع الدول الاشتراكية وخاصة مع دول الكوميسون والاتحاد السوفيتى وفى عام ١٩٦٢ انخفضت تجارة جمهورية الصين الشعبية بنسبة ٦٥٪ بالمقارنة بما كانت عليه عام ١٩٥٩ ، كما انخفضت فى عام ١٩٦٣ بنسبة ٢٠٪ علاوة على ذلك » (٢) .

ويتهم نفس التقرير الصين بأنها جعلت حياة الخبراء السوفيت غير ممكنة فى الصين ، بينما ترد الصين بأن الروس « قرروا من جانب واحد سحب (١٣٩٠) خبيرا سوفيتيا ، كانوا يعملان فى الصين ، ومزقوا ٣٤٣ عقدا وعقدا اضافيا حول استخدام الخبراء ،

---

(١) قرار الاجتماع الشامل ص ٦٥ .
(٢) ص ٢٢ .

وألغوا ٢٥٧ مشروعا للتعاون العلمى والتكنيكى ، وباشروا سياسة الحجر والتمييز فى التجارة ضد الصين » (١) .

وهكذا نرى أن مظاهر الصراع الاقتصادى التى عرفها التاريخ البشرى منذ انقسام العالم الى دول ، هذه المظاهر ما زالت تحكم العلاقات بين الدول الشيوعية ، وما يعقب هذا الصراع من آثار وأساليب ، ومن محاولة للسيطرة السياسية ، وحوادث الحدود ، وشراء للعملاء ، والتخريب والتجسس .

فروسيا تتهم الصين بأنها ، تحاول أن تحل الدعوة من أجل فصل الشعوب الشرقية على أسس قومية أو حتى عنصرية ،محل المبدأ اللنينى بشأن توحيد القوى المعادية للاستعمار فى كل الدول والقارات .. « انها تحاول بوضوح أن تسيطر على الكفاح التحررى القومى ، لتجعل منه أداة لتنفيذ خططها القيادية ، واخضاعها ، وفقا لأهدافهم الخاصة ، ويصورون أنفسهم بأنهم المدافعون الوحيدون عن آمال هذه الشعوب . واذا كان لزاما علينا أن نوضح الخطة التى تكمن خلف الشعار الصينى ونشرح الهدف البعيد لقادة الحزب الشيوعى الصينى ، فاننا نقول هكذا (روسيا تقول) ان الصين بالنسبة لهم أكبر دولة فى الشرق وهى التى تجسد آمال الشرق ، وهنا تظهر ، رياح التاريخ ، التى يجب أن تسيطر على « الرياح القادمة من الغرب » وبعبارة أخرى نقول،

---

(١) قادة الحزب السوفياتى أكبر الانقساميين ص ٢٠

ان هذا الشعار لا يعدو أن يكون تعبيرا أيدلوجيا وسياسيا لآمال القيادة الصينية المتسلطة » (١) .

وترد الصين متهمة روسيا بانها « تحلم بالسيطرة على الكرة الأرضية بالتواطؤ مع الاستعمار الأمريكى (٢) .»

وأن الاتحاد السوفيتى « ظل يشترى شيوعيين مبرجزين خانوا الماركسية اللينينية فى الحركة الشيوعية العالمية » .

ويتهم الحزب الشيوعى اليابانى السفارة الروسية بالعمل ضده فى اليابان : « لقد بدأتم تنظمون عملا معاديا للحزب .. فخلال محادثاتكم مع حزبنا فى موسكو فى مارس الماضى ، أقمتم صلات وثيقة مع « يوشيوشيجا » وآخرين عن طريق السفارة السوفيتية فى طوكيو ، لتدعيم نشاطهم المعادى للحزب . ان هذه حقيقة معروفة للجميع » .

« وحاولتم شراء مراسل صحيفة «اكاهاتا» فى موسكو ليعمل جاسوسا ويجمع لكم المعلومات التى قد تفيدكم فى بث بذور الشقاق بين قادة حزبنا (٣) .

---

(١) قرار الاجتماع الشامل ص ٥٥ .. ضع كلمة روسيا مكان الصين والشيوعية مكان الشرق تعرف رأى الصين فى دعوة زعامة روسيا للمعسكر الشيوعى .

(٢) سياستان للتعايش السلمى صحيفة جينمين جيباو .

(٣) رد اللجنة المركزية للحزب الشيوعى اليابانى على اللجنة المركزية للحزب السوفيتى فى صحيفة « آكاهاتا » اليابانية بتاريخ ٢٦ أغسطس ١٩٦٤ . وترجمته الصين فى بكين ريفيو .

ولعل أخطر ما يعنينا فى مسألة العمـــالة والتبعيــة وتلقى التعليمات من الخارج ، هو اعتراف الصـــين وروســيا بتلقى الأحزاب الشيوعية فى الوطن العربى توجيهاتها من موسكو أو بكين ..

روسيا تحمل الصين تبعة الانحراف اليسارى الذى سقط فيه الحزب الشيوعى العراقى نتيجة توجيهاتهم ، بينما تحمل الصين ، روسيا ، مسئولية استسلام الحزب الشيوعى العراقى ، والمصــير الذى وصل اليه .

ونحن نعتقد أن الحزب الشيوعى العراقى قد لاقى المصــير الذى يستحقه لعدة أسباب : منها أنه سمح لنفسه بتلقى توجيهات من خارج الوطن العربى .. ولكن ما يعنينا هنا ، هو اثبات هذا الاتهام ، وعلى لسان الذين لا سبيل الى التشكيك فى نواياهم.. أو رجعيتهم .. الخ ..

تقول صحيفة الحزب الشيوعى الصينى : « لقد كان رفاق الحزب الشيوعى العراقى فى الماضى مليئين بالحماس الثورى(أيام تأسف خطيب صينى فى حفل تكريم للمهداوى ، على أن الثورة الصينية قد انجزت قبل ظهور المهداوى ، فضاع على الشــعب الصينى فرصة اكتساب خبرة السحل ومحكمة الشعب من الرفاق العراقيين !) الا أنه (تقول صحيفة الحزب الصينى) فرض عليهم

---

(٢) صحيفة جينمن جيباو ٣١ مارس ١٩٦٤ « ترجم واعيد نشره بالعربية عن دار النشر باللغات الأجنبية ـ بكين » .

قبول خط خروشوف التحريفي بواسطة الضغط الخارجي ، وفقدوا يقظتهم تجاه الثورة المضادة . وضحى أثناء الانقلاب المسلح المعادى للثورة (1) ، رفاق قياديون بأرواحهم ببطولة ، وقتل آلاف من الشيوعيين والثوريين العراقيين بصورة وحشية، وتشتت شمل الحزب الشيوعى العراقى الذى كان منيعا وقويا، وأصيبت القضية الثورية العراقية بنكسة خطيرة .

ان هذا درس مفجع فى تاريخ الثورة البرولتيارية .. انه لدرس كتب بالدماء (2) .

أما روسيا فتعلن فى وثيقة أكثر من رسمية قائلة : « لدينا الآن الدليل على أن ممثلى الصين فى العراق يريدون الاستفادة من حقيقة ان الحزب الشيوعى العراقى وجد نفسه بدون زعامة ليشكلوا هناك جماعة من الانفصاليين » (1) .

حقا ! .. اذا اختلف الرفيقان .. ظهر العميل !..

---

(1) ثورة عبد السلام عارف فى ١٤ رمضان !.

(2) نشرت تحت عنوان : الثورة البروليتارية وتحريفية خروشوف عن دار النشر باللغات الأجنبية بكين الثمن ٣ قروش . صفحة ٥٧ .

(1) صفحة ٩١ من الطبعة العربية لقرار الاجتماع الشامل للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى المنعقد فى ١٥ فبراير ١٩٦٤ . الناشر وكالة نوفوستى للانباء وثمنه قرشان . يباع على الأرصفة فى القاهرة لمن أراد أن يبصر .. ولكن على قلوب أقفالها !.

(2) المؤسف أن الاحزاب الشيوعية العربية فهمت الانقسام الصينى السوفيتى على أنه انتماء بعضها للصين والبعض لروسيا !.. مع أن جوهر الموقف الصينى هو تحول الشيوعية الى نظرية قومية واختفاء سياسة المعسكرات فالصينى الميول هو الذى لايرتبط بالصين ولا بروسيا .. لا التابع للصين !! «ب» .



زاوية القومية ، يمكن فهم كل الأسباب الحقيقية للصياح حول الخلاف الأيدلوجى ، ولماذا كان هذا الخلاف محتوما .. والى أى مدى يمكن أن يصل ..

أما البدء بانكار العامل القومى ، فلا يفضى الا الى الثرثرة. أو الارتباط بأحد الفريقين ، وتبنى آرائه ، وترديد تبريراته .

خذ مثلا الموقف من التعايش السلمى .. ودعنا من الزعم المتبادل بأن الصين تسعى الى الحرب ، أو أن روسيا باعت الشعوب فى سبيل السلم ..

ما المصلحة القومية المختفية خلف الصياح الايدلوجى ؟

روسيا تؤمن بالتعايش السلمى ، وبأن المنافسة الاقتصادية الآن هى الميدان الحقيقى للتفوق على الرأسمالية ، لذلك فهى تفضل انفاق أموالها على رفع مستوى معيشة الشعب السوفيتى، حتى يبدو النظام الاشتراكى جذابا ومغريا لعمال البلاد الرأسمالية: « وحينما يرى العمال والفلاحون فى الدول الرأسمالية ،انجازات الدول الاشتراكية فى التنمية الاقتصادية ، ورفع مستوى المعيشة، وزيادة الديموقراطية ، واشراك الجماهير فى الاشراف الحكومى، فانهم يقتنعون فعلا بأن المطالب الرئيسية للشعب العامل يمكن الايفاء (!!) بها عن طريق الاشتراكية فقط ، وكل هذا يشبع الجماهير بروح ثورية ، ويساعد على استمالتهم للكفاح الجاد ضد النظام الرأسمالى،من أجل التحرر الاجتماعى والقومى(١)» .

(١) قرار الاجتماع الشامل ص ١٨

« فعندما يستمتع الشعب السوفيتى ببركات الشـــيوعية ، سيقول مئات الملايين من الناس على الأرض«اننا نريد الشيوعية».

يذكرنى هذا بمنطق معاوية ، عندما زار عمر بن الخطــاب رضى الله عنهما الشام ، وأغضبه أن رأى معاوية وحاشـيته فى الثياب الفاخرة ، ومظاهر الثراء ، والاســـتمتاع بثـروة الأمة الاسلامية .. ولكن معاوية يرد : ان المسلمين فى بلاد حديثة عهد بالاسلام ، قريبة من العدو فلو عاشوا عيشة عمر بن الخطــاب وصحبه فى قلعة الاسلام « بالمدينة » لظن بهم أهل البلاد ضعفا، ونفروا من حكمهم ومالوا الى حكم القياصرة !..

وهكذا استطاع معاوية أن يربط بين مستوى معيشته المرتفع، وبين مصلحة الاسلام ، وأمنه ، وانتشاره .

نفس المنطق !

فمنذ امتلاك الاتحاد السوفيتى للأسلحة النووية والصاروخية، لم تعد مشكلة الدفاع عن سلامته هى التى تشغله ، وبالتالى لم تعد سياسة شغل الاعداء بالهجمات والثـــورات ، ضرورية ، وضعفت الحاجة الى تضامن المعسكر الاشـتراكى . وأصبحت المهمة الكبرى للقادة السوفيت هى رفع مستوى الشعب الروسى، أن ينال حقا ثمرة الانجازات الاشتراكية ، أن تتم ارادة التاريخ ، وقوانينه الأبدية ، فيتحول الروس من مجاهدين الى مترفين ..

وهكذا ظهرت نظرية التفوق الاقتصادى ، والاغراء بالاشتراكية بدلا من الاستمرار فى الشد على البطون ، واقتسام اللقمة مع الشعوب الشقيقة لتصنيعها .. والاستمرار فى دفع الحركة الثورية فى العالم ..

هكذا تنادى روسيا .. ولكن الصين التى لا تملك أن تعطى شعبها ولسنوات مقبلة ، غير الأمانى والأحلام .. غير المجد .. وسباق الموت من أجل بناء الصناعة الثقيلة والاستعداد العسكرى .. الصين لا يمكن أن تقبل منطق معاوية هذا .. انها تريد الاستمرار فى السياسة الثورية ، حيث يكون لها بملايينها التى لا تعد ، وبموقعها فى آسيا تحيط بها مراكز الالتهاب ، المكانة الأولى .. وفى ظل الثورة الدائمة يتحتم على الدول الاشتراكية المتقدمة ، المعاونة فى تدعيم مجهود الصين الحربى ..

لذلك تقول روسيا ان : « الزعماء الصينيين يهاجمون الحزب السوفيتى لأنه يتبع سياسة تحسين مستويات معيشة الشعب ، وهم يقولون أن تحسين مستوى المعيشة ، يحول الشعب السوفيتى الى « بورجوازية » وأن مبدأ الحوافز المادية ، ينتج عنه شعب يبحث عن الكسب الشخصى والاثراء . مغريا بالفائدة ، ونمو البورجوازية والاضرار بالاقتصاديات الاشتراكية » (١) .

ويعلق الحزب الشيوعى الروسى : « أليس هناك احتقار

---

(١) قرار الاجتماع الشامل ص ٧٣

متأصل لمقتضيات الانسان الضرورية ، ولمبادىء ومثـل المجتمع الاشتراكى ، خلف تلك الاتهامات الطائشة ؟ » .

الصين ترى أن الحرب دائرة ، والثورة مسـتمرة ، ومن ثم فواجب الأسرة الاشـتراكية أن تتقاسم السراء ، كما تتقـاسم الضراء ، بينما ترى روسيا أن التعايش السلمى ممكن ، وبدلا من الحرب ، يجرى التباهى بالصـيت ، ومن ثم فان على الأخ أن يبدو فى أحسن زى ولو قتر على اخوته .. لأن الأسرة تتباهى به ، وتتشرف !

انها « ديالكتيكية » التاريخ .. الابن الأكبر يتمسك بتضامن الأسرة ، ويحثها على التضحية ، حتى يكمل تعليمـه ، فيحـل مشاكل الأسرة .. فاذا بلغ غايته ، وتفتحت شهيته للحياة ، ضاق ذرعا بالواجبات العائلية ، وتعددت شكواه من هذه الالتزامات، ورفض سياسة التقشف التى لا تتفق ومستواه الاجتماعى !..

ثم يبدأ فى مناقشة جدوى استمرار جميع الاخوة فى التعليم! وسخافة أن يتصور كل أخ أنه سيستطيع أن يصل الى ما وصل اليه الشقيق الأكبر وسيتساءل : أليس من الأجدى أن يتعـلموا « صنعة » ؟!..

وسيعيره الاخوة الصغار بما ضحت به الأسرة فى سـبيله ، وتهربه من مسؤليات الأخ الأكبر ، وسيـتحدثون عن المرأة أو « البورجوازية » التى أكلت عقله .

ولكن المصلحة دائما هى أم المنطق ..

والحزب السوفياتى قد ضاق بمسئوليات الأخ الأكبر :

« ما هى الفائدة المادية التى تقدمها لنا عبارة (على رأس) .. انها لا تقدم لنا لا لبنا ولا زبدا ، ولا بطاطس ، أو خضارا ، أو مساكن ، ولكن قد تقدم شيئا أدبيا ، كلا لا شىء على الاطلاق (١) .. وما هى فائدة عبارة (على رأس) لنا .. فلتذهب الى الجحيم هذه العبارة (٢) .. » .

هل لمجرد قولهم : « آبيه كوسيجين » يأخذون ثروات الشعب السوفيتى لبناء بلادهم ؟!

و « دين راسك » يرى : « أن هناك دلائل تبرم لدى القادة السوفيت من أعباء ومخاطر التزاماتهم تجاه الحركة الشيوعية العالمية » .

على أية حال ..

ليس ثمة عاقل يزعم القدرة على التنبؤ بكل آثار هذا الانفجار فى المعسكر الشيوعى . الا أننا نلاحظ باهتمام ، ظهور حديث ولو خافت ، وربما يضيع أحيانا فى جعجعة النصوص الماركسية ــ اللينينية . وشرح امكانيات التطور السلمى ، وديكتاتورية البروليتاريا .. الخ .

---

(١) خطاب خروشوف ٤ فبراير تعليقا على تصريح موسكو بان يعين الاتحاد السوفيتى رأسا للمعسكر الاشتراكى .

(٢) خطاب خروشوف فى اجتماع المندوبين « ١٢ حزبا شقيقا فى بوخارست ٢٤ يونية ١٩٦٤ » .

أقول نلاحظ بعض الأصوات التى تشـير الى الانقسـام الحضارى بين الدول البيضاء والدول الملونة ، وأن ألبانيا تجعل الانتهازية ظاهرة أوروبية (١) ، والصين تتحدث عن السـوفيتية البيضاء .

وكذلك نسجل أن أول صدام حقيقى وشامل كان بين دولة شيوعية أوروبية بيضـاء وأخرى آسيوية صفراء (٢) وأن معظم

---

(١) بكين ريفيو العدد ٦ .

(٢) واقترحت الوفود الصينية فى هذا المؤتمر على الوفود الآسيوية والافريقية انه مادام الروس والتشيكوسلوفاكيون والبولنديون شعوبا بيضاء فانه لا يمكن الثقة فيهم وأن عليهم أن يكونوا دائما قادرين على التوصل الى شروط مع الأمريكان البيض .

وعلى ضوء الجهود العملية للقادة الصينيين فى السنوات الحديثة ، أصبح المغزى السياسى الحقيقى لشـعارهم : (ان ريح الشرق بدأت تسـيطر على ريح الغرب) أكثر وضـوحا ويجدر بنا أن نتذكر بأن هذا الشعار قد انتقد بشدة فى اجتماع عام ١٩٦٠ ـ باعتبـار أنه شعار قومى ينـادى بالتقارب الجغـرافى ، بل والعنصرى ، بدلا من تقارب الطبقة ويتضح أن هذا محاولة للتقليل من دور النظام الاشتراكى العالمى والطبقة العاملة وشعوب أوربا الغربية وأمريكا .

وشعارهم عن القوة السحرية المفروضة لريح الشرق تهدف ببساطة الى اثارة المشاعر القومية بل والعنصرية بين الشعوب التى تكافح ضد الاستعمار .

وسنوات العبودية والاستغلال الكثيرة للاستعمار الذى سخر من شرف الكرامة القومية للشعوب المغلوبة على أمرها ، قد أثارت عدم ثقة الشعوب بالجنس الأبيض لدى سكان المستعمرات السابقة والدول شبه المستعمرة ، ولا تزال تزكى هـذا الشعور ، وهـذا هو الشعور الذى يحـاول القادة الصينيون اثارته بغية اثارة شعوب المستعمرات السابقة وشبه المستعمرات ضد الدول الاشتراكية والشعب العامل فى الدول الرأسمالية المتقدمة (قرار الاجتماع الشامل للحزب الشيوعى السوفياتى ١٥ فبراير ١٩٦٤)

الأحزاب الشيوعية فى آسيا ، ماعـدا الأحزاب العربيـة ، قد انحازت الى جانب الصين ، بينما انحازت الى روسـيا الأحزاب الشـيوعية فى غـرب أوربا ، وعلى رأسها الحزبان الشيوعيان ، الفرنسي والايطالى .

وقد بدأ الشيوعيون اليوغسلاف ، الحديث عن انقسام العالم الى أغنياء وفقراء .. لا الى شيوعيين ورأسماليين .. ولكن الحديث الآن يعود الى التقسيم الأبدى : الحضارة الغربية البيضـاء .. بشقيها الرأسمالى والشيوعى فى مواجهة حضارات الشـعوب الملونة ..

من هنا نرى خطورة المفاهيم الماركسية ، فى العالم العربى ، كأحد أسلحة الغزو الفكرى .. لأن الماركسيين العرب يتجاهلون هذه الحقائق وما زالوا عند مفاهيم الأممية ، والوحدة الطبقية ..

واذا كانت الأممية عند الدولة الكبرى هى ابتلاع الدولة الصغرى ، فان الأممية عند الدولة الصغرى هى الذوبان فى الدولة الكبرى ، أو ربط مصيرها بعجلة هذه الدولة .

الشيوعيون العرب .. أمميون (1) .. ومن هنا كانت سياستهم المنحرفة ازاء قضايا القومية .. انطلاقا من مفهوم الأممية ، ووضع مصلحة الطبقة العاملة العالمية فوق مصلحة أوطانهم ، وهكذا أيدوا الاستعمار البريطانى والفرنسى خلال الحرب العالمية الثانية. لأن التحليل السوفيتى كان يرى أن العدو هو الفاشية ، ومن ثم فان الاستعمار القديم ، أو الديموقراطيات ، كما كانوا يسمونها ، لم تكن تشكل الخطر الجارف على الاتحاد السوفيتى ، أو على الاشتراكية العالمية .. بل كان العدو الأول هو الفاشية .. وذلك

---

(1) ينقل الاستاذ خلدون ساطع الحصرى من وثائق الحزب الشيوعى العراقى خطاب قبول عضوية المرشح الجديد .. تقول فيه اللجنة المركزية للعضو : « كن أمميا أيها الرفيق ، ودافع عن مبدأ الأخوة بين مختلف الشعوب . ولتكن ثقتك لاحد لها بقوى الحرية والتقدم والاشتراكية فى العالم بقيادة الاتحاد السوفيتى انها رجاء البشرية التقدمية ، والنصير الاعظم لشعبنا وأمتنا فى نضالها التاريخى » . وكان برنامج الحزب الشيوعى المصرى ينص على العمل على ضم الشعب المصرى الى معسكر الشعوب والسلم بزعامة الاتحاد السوفيتى

منطقى فى روسيا أو حتى فى أوربا ، ولـــكنه تنطع يثير غضب الحليم ، أن يأتى عراقيون ومصريون فينادون بالتعاون والتحالف مع الاستعمار البريطانى المحتل لبلادهم ، بحجة منع خطر الفاشية على الجنس البشرى (١) أو أن يقبل الشيوعيون السوريون تنحية قضية بلادهم واستقلالها بل واقتطاع جزء من تربة وطنهم لدعم حكومة الجهة الشعبية هناك خوفا من وصول الفاشية الى الحكم فى فرنسا !.

يقول خالد بكداش :

« ولكن الشيء الأساسي هو تأمين الاتحاد بين الحركة الوطنية فى المستعمرات ، وحركة العمال فى الغرب ، ومحـــاربة الأفكار الضيقة عند بعض المناضلين فى المستعمرات . ولـــكن المســألة لا تقتصر على الاتحاد مع حركة العمال والحـــركة الشـــعبية فى الغرب . فقد تقضى مصلحة النضال الاستقلالى ، السعى للتحالف مع احدى الدول القوية ، فلو نظرنا الى العالم فى الوقت الحاضر مثلا ، لرأينا كما قدمنا أن الخطر الأساسى على كياننا الوطنى ، نحن العرب ، مصدره ايطاليا والمانيا الفاشستيتان ، اللتان تعملان للتوسع والاعتداء ، وتقومان بهجوم استعمارى شـــديد هدفه

---

(١) لقد حالف الشيوعيون العراقيون الانكليز وعملوا لهم عنـدما حالفتهم روسيا وأيدوا فى تلك الفترة عبد الاله ، عميل الاستعمار الانكليزى . ولم تهاجم جريدتهم السرية « الشرارة » طيلة هذه الفترة ، عبد الاله أو البلاط مرة واحدة (حقيقة الشيوعيين فى العراق . خلدون ساطع الحصرى)

الرئيسى الاستيلاء على الشرق الأدنى والبلاد العربية ، سـورية والعراق ومصر وفلسطين بوجه خاص . ان مصلحتنا الوطنيـة تقضى علينا بأن نوطد عرى التحالف مع احدى الدول الديمقراطية الكبرى . وهذه الدولة لا يمكن أن تكون بالنسـبة لنـا نحن السوريون واللبنانيين الا فرنسا الديمقراطية .

لذلك يضع الشيوعيون فى سورية ولبنان وجميع الوطنيـين الواعين مسألة التحالف السورى ــ اللبنانى ــ الفـرنسى ، فى مقدمة المطالب الوطنية التى تناضل بلادنا فى سبيلها . ويرون أن أحسن وسيلة لتحقيق هذا التحـالف ، هى عقـد معـاهدة مع الديموقراطية الفرنسية تسمح لبلادنا بتقوية نفسها وربط أجزائها وتثبيت كيانها الوطنى . وتكون المعاهدة سدا منيعا أمام مطامع الوحش الفاشستى فى الشرق الأدنى » (١) !!

ومازال الشيوعيون حتى اليوم لا يغتفرون موقف الوطنيين الذين رأوا فى الحرب العالمية الثانية فرصة العمر لكيل ضربة ، ولو للانتقام ، من الحلفاء الاستعماريين الفرنسيين والبريطانيين ، الذين أذاقوا الأمة العربيـة طوال قرن من الزمان أبشع ألوان القهر والاذلال ..

على أية حال ان هذا الموقف رغم بعده التاريخى وعدم وضوح تفاصيله الآن يكشف النتائج الخطيرة لانكار العامل القومى .

---

(١) طريق الاستقلال سنة ١٩٣٩

ان هذا الانكار يجعل الضمير الوطنى مطاطا جدا .. بحيث يتسع للتحالف مع محتل بلاده حرصا على مستقبل الديمقراطية فى العالم !..

ان الأمية تميت الحس القومى .. وتفتح السبيل للتدليس على الوطنية .

ومن انعدام هذا الحس ، كان الموقف الأبله الذى وقفته الأحزاب الشيوعية العربية من الأحزاب الشيوعية فى بريطانيا وفرنسا ، عندما قبلت وصاية هذه الأحزاب وتعاليمها .. فأفتى الحزب الشيوعى البريطانى للشيوعيين المصريين . بأن ثورة ١٩٥٢ فاشية !!

طبعا ...

لأنها أخرجت الانجليز من بلادنا .

وأفتى الحزب الشيوعى الفرنسى للحزب الشيوعى الجزائرى بخطأ ثورة الجزائر ، فضيع مستقبله !.

ولكن التفريط الأشنع ، كان فى قضية فلسطين . فقد بدأت الأحزاب الشيوعية معالجتها لهذه القضية المصيرية ، من نقطة انعدام الاحساس القومى .. صحيح أنها عارضت الصهيونية فى البداية كحركة رجعية ، ولكنها عجزت ، ومازالت عاجزة عن فهم الصلة الحقيقية بين الصهيونية واسرائيل ، ويهود اسرائيل قبل قيامها ..

لذلك لا يجد الشيوعيون العرب غرابة فى ان يشكل اليهود ٩٠٪ من قياداتهم .. والعرب على أبواب معــركة فاصــلة مع الصهيونية .!!

كان فى مصر ٤ تنظيمات شيوعية .

حدتو [1] ويرأسها هنرى كورييل .. (يهودى) .

اسكرا [2] التى تحولت الى نحشم يرأسها ايللى شوارتز .. (يهودى) .

م٠ش٠م [3] وترأسها أوديت وزوجها سلامون سيدنى .. (يهوديان) .

الفجر الجديد أو د٠س [4] ويرأسها يوسف درويش (يهودى) وريمون دويك (يهودى) .

اللجنة المركزية الأولى للحزب الشيوعى اللبنانى كان السكرتير العام فيها هو « جاكوب تيبر » يهودى جاء من فلسطين ليترأس الحزب [5] ! .

---

(١) الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى رحل زعيمها الى الخارج قبيل الثورة وأعلنت حل نفسها بتاريخ ١٩٦٥/٣/١٥

(٢) الشرارة بالروسية ثم نحو حزب شـيوعى مصرى ، اندمجت فى الحـزب الشيوعى المصرى ورحل زعيمها الى الخارج وأعلن حل الحزب فى أبريل ١٩٦٥

(٣) صوت البرولتياريا وتحولت الى المنطقة الشيوعية رحلت زعيمتها وزوجها وانقرضت .

(٤) الديموقراطية الشعبية .

(٥) صفحات مجهولة .. محمد على الزرقا ، والياس مرقص .

وبعد انتخاب القيادة الجديدة برئاسة بكـداش أرسلت فرج الله الحلو الى تل أبيب لتنسيق العمل .. واستقدمت اليهودى نخمان ليفنسكى كمستشار (١) .

وصحيح أن موقف الشيوعيين الخيانى من قضية فلسطين ، يرجع الى جهود هؤلاء اليهود المخلصين لصهيونيتهم ، الا أن هؤلاء اليهود ، ما كان يمكنهم أن يروجوا مثل هذه الأفكار بين المواطنين العرب ، الا وقد مهدت لهم « الأممية » الطريق ، لقد فسد الضمير الوطنى عند الشيوعيين العرب ، بانكارهم القومية، وانخداعهم بوحدة الطبقة ! فسهل عليهم قبول مثل هذه الكلمات، بل ودخولهم السجن ، وتعليقهم على المشانق ، دفاعا عن الخبث الصهيونى الذى كان يكتبه زعماؤهم اليهـود ، خيانة للوطن العربى ، ولمصلحة اسرائيل !.

« ان الشعب العراقى يرفض باباء أن يحارب الشعب الاسرائيلى الشقيق » .

« لا مصلحة فى الحرب للكادحين العرب واليهود . بل للبرجوازية العربية العفنة » (٢) .

وهو حتى لايساوى فيقول : للبرجوازية العربية واليهودية. وطالبت جريدة القاعدة فى ١٩٤٨ : « ناضلوا فى سبيل انهاء حالة

---

(١) العدد ١١ من جريدة القاعدة . لسان حال الحزب الشيوعى العراقى « سرية » عام ١٩٥٣ .

(٢) من كتاب « صفحات مجهولة » لمحمد على الزرقا ــ الياس مرقص .

الحرب ، واعــلان تأليف الدولة العربية المستقلة الديمقراطية فى القسم العربى من فلسطين » .

وأصدر الشيوعيون فى العراق كتابا باسم « أضــواء على القضية الفلسطينية » ، ينتهى بهذه الجمل : « فلتسقط الحرب بين العرب واليهود فى فلسطين .. فليحيا التعــاون والتحــالف بين الوطنيين والديمقــراطيين العــرب واليهــود ، لاحباط خطط الاستعمار والرجعية ، ولتحيا الصداقة العربية اليهودية » (١) .

وخــلال المد الأحمر .. كتبت صحيفة « الانســانية » (٢) الشيوعية العراقية ، تحت عنوان « مع الانسانية » :

« لماذا تعيق الصهيونية قضية السلام فى الشرق الأدنى ؟ لماذا نرى بلدا صغيرا كاسرائيل مساحته أكثر من جزء من ٥٤٠ جزءا من مساحة الاقطار العربية (مسكينة) لماذا نرى هــذا البــلد الصغير ينهج سياسة عدوانية تجاه العرب . من أين يأتى هــذا العزم الحربى الذى لا يقاس بشىء ، فهذه الدولة التى تمتد على رقعة ضيقة من الأرض بمحاذاة الســاحل على عرض ٥٠ أو ٦٠ كيلو مترا ، أصبحت كبرميل للبارود السياسى .. من الذى يدفع اسرائيل الى طريق المغامرات هذه .. ان شعب اسرائيل كشعوب العالم جميعا يريد السلام ويكره الحرب » (!!)

---

(١) حقيقة الشيوعيين : خلدون ساطع الحصرى .

(٢) بتاريخ ١٩٥٨/١٢/٢١ واسمها ترجمة للاومانيتية الفرنسية ! .

وهكذا استطاع الشيوعيون اليهود أن يصلوا بالوعى الأممى فى الاحزاب الشيوعية العربية الى مستوى عجزت عنه الأحزاب الشيوعية [1] فى ألمانيا وفرنسا وبريطـانيا .. حيث أصرت على خوض الحرب الوطنية دفاعا عن وطن الآباء ، وألقت الى الأرض بشعار الأخوة البروليتارية وقرارات شن الحرب على الحرب !

ان انعدام الاحساس القومى بفعل التخدير الأممى ، قد جعل الشيوعيين العرب يتصورون أن قيام دولة اسرائيلية اشتراكية ، أو حتى تقدمية فى الوطن العربى كسب ثورى ، حتى ولو كانت على قطعة غالية من وطنهم ، وعلى حساب تشريدهم هم !

بينما نرى ـ وتؤيدنا خبرة الشعوب ـ أن شبرا واحدا من أرض الوطن أغلى من كل المبادىء والنظم والنظـريات .. وان العبرة فى التقدم والتخلف ليس الجنس البشرى ككل ، بل تقدمى أنا وتخلفى أنا .. أى تقدم القومية المعينة وتخلفها .. لذا لا يمكن أن نقبل افناء أمتنا لمصلحة التقدم العالمى !.. وصدق شاعرنا :

اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر

وصحيح أن الولاء الأبوى الذى كان يسيطر على الأحزاب الشيوعية فى عهد ستالين ، قد لعب دورا فى هذا الموقف المخزى للأحزاب الشيوعية العربية ، من أكبر كارثة قومية واجهت بلادهم

---

(١) الاشتراكيون الديموقراطيون .

بعد الاحتلال الغربى .. وظهور الأحزاب الشيوعية . اذ أنه من المعروف أن عددا من الأحزاب الشيوعية العربية قد عارضت بالفعل مشروع تقسيم فلسطين ، ثم عادت فاعتذرت وأدانت موقفها وأيدت التقسيم ، بمجرد أن اتضح موقف الاتحاد السوفيتى ..

عندما قال جروميكو أمام الأمم المتحدة : « ان الدول الغربية قد أثبتت عجزها فى الدفاع عن الحقوق الأولية للشعب اليهودى ، وهذا ما يبرر طموح اليهود الى انشاء دولتهم بأنفسهم . ومن غير العدل ألا نوافق على هذا الطموح أو أن ننكر حق الشعب اليهودى فى تحقيق ما يصبو اليه » (١) .

وسرعان ما التقطت الأحزاب الشيوعية الخيط ، وبادرت ، العلنى منها والسرى ، باعلان تأييد التقسيم ورفض الحرب ، مدعمة وجهة نظرها بالتفسير السوفيتى الذى أعلنه جروميكو ضد حرب التحرير العربية ، عندما قال : « ان الهجوم العربى على الشعب اليهودى المسالم يعتبر عملا وحشيا ضد شعب لا يريد سوى تقرير مصيره » (٢)

لا أريد ان أطيل الحديث عن موقف الشيوعيين من اسرائيل..

---

(١) ١٩٤٧/٥/١٥

(٢) ١٩٤٨/١١/٦

يكفى أن تتأمل موقف الحزب الشيوعى الاسرائيـلى لتعرف أن الشيوعيين العرب هم وحدهم الذين يجرون خلف سراب الأممية!..

ان مجرد قيام حزب شيوعى اسرائيل يعتبر مخالفة صريحة للماركسية ، التى بموجب كل قوانينها ، تنفى وجود أمة اسرائيلية .. وليس هناك ما يسمى بالشعب الاسرائيلى حتى يمثله الحزب الشيوعى الاسرائيلى .. لأن هذا الشعب يتكون من مقاتلين عدوانيين ، حملوا السلاح وجاءوا غزاة الى بلد لم يولدوا فيه ولا صلة لهم به .. ومع ذلك فان الحزب الشيوعى الاسرائيـلى لا يكاد يخرج عن الخطوط الرئيسية للدولة الاسرائيلية ، ويخدم أهداف هذه الدولة عن طريق صلاته ونفوذه فى الدوائر الشيوعية العالمية وتغريره بالشيوعيين العرب (١) .

ويضاعف من خطيئة الشيوعيين العرب فى مأساة فلسطين أنهم كانوا فى هذه الفترة ، الأحزاب الوحيدة ، التى يمكن وصفها

---

(١) « ان الوطنيين العرب (فى اسرائيل) وقعوا فى خطأ كبير عندما ظنوا أن الحزب الشيوعى يتخذ مواقفه على ضوء السياسة التى تنتهجها دول المعسكر الشرقى تجاه القضايا العربية . لا سيما وأن تلك الدول تدأب على تأييد القضايا العربية . ولكن سرعان ما خاب أمل العرب عندما تضامن الحزب الشيوعى فى اسرائيل مع باقى الاحزاب الأخرى فى البرلمان اليهودى وشجب تصريحات والتر أولبرخت أثناء وجوده فى القاهرة ، تلك التصريحات التى أعلن فيها عدم اعترافه بوجود الدولة اليهودية ، كذلك تحدث موشيه سنيه أحد زعماء الحزب عن عدم اعتراف الحزب الشيوعى اليهودى بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وأعلن تضامنه مع بقية الأحزاب فى محاربة أهداف منظمة التحرير »

(عن أخبار فلسطين نقلا عن صحيفة اسرائيلية ١٩/٤/١٩٦٥)

بالجديدة ، وكان يمكنهم من خلال معركة وطنية صادقة لتحرير فلسطين ومنع تسليمها لليهود ، أن يبدأوا حرب تحرير شاملة ضد الاستعمار وتصفية نهائية للرجعية وأحزابها .. كان يمكن أن تبدأ الثورة العربية الشاملة من نقطة الحرب ضد الصهيونية .

ولكنهم استسلموا كالنعاج لتوجيهات قياداتهم اليهودية . فكانوا هم أول من سقط فى المعركة ، وكان على الثورة العربية أن تشق طريقها بمعزل عنهم ، بل وبالرغم منهم .. ولا أمل فى فهم صحيح من جانب الشيوعيين لقضية فلسطين ، ولا سبيل أمامهم لاتخاذ موقف يتفق وأمانى الأمة العربية فى هذا الشأن ، ما لم يتخلوا عن المفهوم الأممى ، ويضعوا مصلحة الأمة التى ينتمون اليها فوق مصلحة الطبقة ، ووحدة البروليتاريا العالمية ، فلا اخاء بين البروليتارى (العامل) العربى ، والبروليتارى اليهودى مادام يقيم فى اسرائيل .

الثانية التاريخية للشيوعيين ، هى موقفهم من الوحدة العربية .. وبالطبع هناك أسباب عديدة لهذه السقطة التاريخية ،التى نستطيع أن نقول عنها، انها لوث تطور المنطقة ، وحطمت مرحلة كاملة فى تاريخ الأمة العربية .. مرحلة حاسمة ، أصيبت فيها القوى المعادية بضربة كادت أن تكون قاصمة . أفقدتها القدرة على التحرك ، أمام الزحف الذى لا سبيل الى صده ، لولا أن سارع الشيوعيون العرب لنجدة أعداء الأمة العربية فمزقوا النصر ، وحطموا الزحف ، وبلبلوا الجماهير . وأعادوا التاريخ ، فعلا ، الى الوراء .

نعم هناك أكبر من سبب (١) .. ولكن النقطة النظرية التى تعنينا هنا ، والتى تشكل أسلوبا من أساليب الغزو الفكرى .. هى مفهومهم « الأممى » .. جعلهم القومية العربية ، والوحدةالعربية « تاكتيكا » لخدمة الأهداف الشيوعية .. بينما الأمم الناهضة، تجعل كل المبادىء والنظريات والشعارات فى خدمة قوميتها ووحدتها ومكانتها الدولية ..

---

(١) قال الاستاذ محمد حسنين هيكل : « ان النشأة الاولى للحركة الشيوعية فى مصر وسيطرة اليهود الاجانب عليها ، سببت لها بعدا عن التيار الوطنى المتدفق وأكاد أقول عزلة عن هذا التيار الوطنى .. » « لم تستطع الحركة الوطنية ان تستكشف حقيقة التاريخ العربى الواحد . والنضال العربى الواحد »

وقال الاستاذ بهاء : « أن الشيوعيين انكروا الاعماق الحقيقية للقومية العربية وعجزوا عن فهمها فى الوقت المناسب » .

فما الذى حدث ؟..

فى ١٤ تموز (يولية) ١٩٥٨ . وصل الزحف العـربى الى قمته .. كانت الجمهورية العربية المتحدة ، تقف بكل امكانياتها، قادرة على التحرك ومواجهة أى تدخل استعمارى .

وفجأة ! سقطت أكبر قوة رجعية عربية . أكبـر قوة كانت تعترض التطور العربى ... سقط العرش الهاشمى فى بغداد .

وبدا أن الوحـدة العربيـة قد تخطت مرحلة الأحلام ، بل ومرحلة الكفاح .. ودخلت فى لحظة التنفيذ .. بعد ما تجمعت لها كل عوامل النصر .. التى يمكن تلخيصها فى :

* بديهية بسيطة .. لا تعقيد فيهـا ، ولا بلبـلة .. بغـير تفسيرات المعقدين .. بديهية تفسر الوحدة بأنها الاندماج الفورى لكل بلد عربى فور تحرره .. فى النواة ، الجمهـورية العربيـة المتحدة .. بلا قيد ولا شرط بل واعتبار درجة الحمـاس لهـذا الاندماج .. هى مقياس التحرر .

* وضوح فى خريطة القوى، وتحديد قاطع لمعسكر الأعداء، سببه الثقة المطلقة فى القيادة ، هذه الثقة التى خلقتها معـارك حاسمة ومنتصرة ضد المعسكر الغربى . أكدت أصالة عداوتهـا للاستعمار .

هذه الثقة المطلقة ، كانت مفتاح التحول الثورى فى المنطقة،

والامكانية التاريخية لتحقيق الوحدة « الفورية » اذ لا يخفى أن الوحدة ، قضية مصيرية ، تحتاج لشحنة عاطفية خاصة،قادرة على اذابة المصالح الأنانية ، والتعقيدات ..

وتجربة الشعوب ، قد أثبتت أن فتح باب الجدل والشك والبحث ، لا يثمر وحدة على الاطلاق ..

انما تتبع الأمم فى هذه اللحظات ، غريزتها ، وتتمركز ارادتها فى ثقة مطلقة بقيادة تقودها الى تحقيق ذاتها ..

وعبر السنوات من ١٩٥٢ الى ١٩٥٨ كانت « النواة » قد خاضت سلسلة من المعارك ، على مستوى الشعارات ، والأحلاف، والتنظيمات وأخيرا على مستوى الصدام المسلح والغزو ..

هذه المعارك المنتصرة منحتها حق قيادة التاريخ .. فلماسقط العرش الهاشمى .. أصيبت القوى الاستعمارية ــ كما قلنا ــ بذهول المفاجأة مما شل تفكيرها ، وأفقدها الثقة فى أى مقاومة من الداخل ، وأوشكت للحظات أن تستسلم (١) .. كان كل آمالها هو تطويق « الحريق » عن طريق الاحتلال العسكرى المباشر فى الأردن ولبنان .. وكلنا نعرف عبث الاعتماد على الاحتلال الأجنبى فى مواجهة الشعوب .

---

(١) كانت الصحف الامريكية تناقش فعلا مستقبل اسرائيل بعد قيام الدولة العربية الكبرى ..

وليس أكثر مرارة على نفس كل عربى من تخيل أى مستقبل كان ينتظر أمتنا ، لو قامت حقا الدولة العربيــة الواحدة . من العراق وسوريا ومصر ، جمهورية عربية واحدة ، بلا اتفاقيــات ولا تعقيدات ولا ضمانات (١) .. كان حلم الأجيال ، رعب أوروبا .. سيتحقق ..

كانت ستقوم للعرب دولة،تستطيع أن تقفز الى الصف الأول فى العالم خلال عدة سنوات ـ بلا مبالغة ـ كانت الوحدة العربية الشاملة تصبح مسألة وقت ، ورهنا بارادة دولة النواة .. كانت اسرائيل الآن ، مجرد ذكرى أليمة مرت بالعرب .!

ولكن ..

كان دون ذلك حرب الأحمر والأصفر..أو قل حرب الحضارة البيضاء كلها .

وكان حتما أن تتحرك كل القوى المعادية ، كل قوى الحرب الأبدية التى عاشت على منع قيــام دولة قوية عند بوابة آسيا وأفريقيا ..

اتحد الغرب كله ضدنا .. رأسماليه وشيوعيه .. فهنا قضية فوق المذاهب ، وفوق الخــلافات ، وفوق التفصـــيليات والتناقضات ..

---

(١) كتلك التى وضعت فى ١٧ نيسان والتى لايمكن أن تخلق دولة .. ولا حتى حلف أصــدقاء .

أين هى الدولة الأوروبية التى تقبل قيام دولة المائة مليـــون عربى عند بوابة آسيا وافريقيا ؟ تحيط بالبحرين الأبيض والأحمر، وتطل على المحيط الاطلنطى والخليج العربى ؟. وتشـــكل جارا مرهوب الجانب لروسيا وأوروبا الغربية معا (١) ..

ان أكثر التفسيرات ســطحية ، هى تلك التى تفسر موقف الاتحاد السوفيتى ، الذى وصل الى حد الصدام مع القاهرة ، بأنه يرجع لحرص روسيا على نشر الشيوعية !!

بالعكس ..

هل يعقل أن روسيا تريد على حدودها « صينا » أخرى ؟!..

من ذا الذى يسعده قيام دولة قوية على مقربة من حدوده؟!..

بل ان انزعاجه ليكون أشد لو كانت هذه الدولة من نفس نظامه الاجتماعى ، وترفع نفس شعاراته ..

لقد قاوم ستالين بكل عنف ، فكرة ديمتروف فى اقامة اتحاد سوفيتى بين بلدان شرق أوروبا .. ولعل العنف والمرارة اللذين صاحبا طرد يوغوسلافيا من الكومنفورم ، كان المقصود بهما هو وأد التفكير فى قيام مثل هذا الاتحاد .. قد تقبل روسيا وجود

---

(١) « ان التعامل مع كل واحد منكم على حدة .. اسهل من التعامل معـكم وانتم متحدون » ن . س . خرشوف فى تفسير كراهية الغرب للوحدة العربية فى حفل اتحاد النقابات بالقاهرة .

عراق شيوعى ، أو لبنان شيوعى ، ولكن دولة عربية من المحيط الى الخليج ؟!. فهذه..مرفوضة أصلا ، ومرفوضة أكثر لو كانت شيوعية (١) !

التقت ارادة الخصومة الأبدية لحضارتنا العربية الاسلامية ، لمنع الوحدة العربية ، بمنع انضمام العراق للجمهورية العربيــة المتحدة .. النواة ..

وكان الشـــيوعيون العرب هم الأداة المنفــذة لهذه الارادة .. ولم يكن يصلح لها غيرهم ..

كنا قد سحقنا الاستعمار وأقاويله وأباطيله وأبواقه وعملاءه، فلم يعد يسمع لهم أحد ، ولا يقبــل منهم قولا .. كانت الآذان بحاجة الى صوت جديد ، صوت خلعت عليه سنوات التعــاون

---

(١) « لقد كان هناك أناس تحدثوا هنا وسمعتهم يقولون : نحن عرب ، نحن عرب ليتحد العرب ، وما شابه ذلك » .

« والآن اذا نظرنا الى الأمور من هـذه الزاوية فسيبدو الأمر كما لو لم يكن هناك سبب لنا نحن الروس لكى نبقى بين العرب . وان علينا أن نحزم أمرنا ونعود الى الوطن ، فنحن لسنا عربا على أية حال . ان معلمنا وزعيمنا فلاديمير ايليتش لينين دعا أيضا الى الوحدة . ولكن على أساس العمل ، على أساس طبقى لا على أساس قومى » .

ن . س . خرشوف فى حفل توزيع
الاوسمة فى أسوان ١٩٦٤/٥/١٦

اعتقد أن عقل خروشوف اللاواعى هو الذى نطق بهذه الجمل عن حزم الروس لحقائبهم ومغادرة البلاد اذا ما اتحد العرب .

العربى ـــ السوفيتى ، مسحة صدق ونبرة جد .. مما يجعله أقدر على التشويش والبلبلة ..

وجاء الشيوعيون ، ينسفون كل شىء .. بالمنطق الجـاهز دائما ، وبما لهم من رصيد بفضل التعاون السوفيتى ـــ العربى[1].

وما أكثر ما كتب ، وما أكثر ما قيل ، وما أكثر ما أريق من مداد أسود فى تحليل الاستعمار المصرى ! ووصف الوحدة بأنها توسع مصرى ! وان القاهرة هى عميلة الاستعمار الأمريكى فى لحظات كنا نخوض فيها أشرف حرب من أجل تصفية الاستعمار .. فى وقت كانت القاهرة مركز الحركة الثورية لتصفية الاستعمار فى آسيا وافريقيا ..

لم يكن هجوم الشيوعيين ، يعـكس خلافا سياسـيا بين معارضة ونظام حكم .. فان مثل هذه المعارضة موجودة ومطلوبة دائما .. ولكن معارضتهم كانت تهـدف الى نسف الوحدة من أساسها .

---

(١) هل يعقـل أن الاتحاد السوفيتى لم يكن يعـرف بالتعاون الشـيوعى الانجليزى فى العراق . وهل يعقل أن الاتحاد السوفيتى كان يصدق امكانية تحول العراق لدولة شيوعية ، ويستعد لقبول مخاطر هذا العمل ، وهو الذى رفض بصراحة « المخاطرة » بتأييد الثورة العراقية ضد التدخل الأمريكى والبـريطانى ، مع أن الظروف المساعدة فى مثل هذه الحالة أفضـل ألف مرة من ظروف المخـاطرة من أجـل حكومة شـيوعية فى العراق ؟ . ألا يدل ذلك على أن الهـدف كان منـع الوحدة .. لا الاستيلاء على رقعة شيوعية ؟!

لو أن الشيوعيين كانوا حقا يريدون الديمـوقراطية (وهم ألد اعدائها لايمانهم بديكتاتورية البروليتاريا ، ولأن تاريخهم مع الثورات العربية ينقسم الى مرحلتـين متبـادلتين .. مرحلة يحالفون فيها الرجعية ، ويدعون للديموقراطية الشكلية للقضـاء على الثورة ، ومرحلة يرون أن اثبات ولاءهم للثورة يتجلى فى معارضتهم لأى اتجاه ديموقراطى ، واتهام كل دعوة للنقد بأنهـا مؤامرة رجعية)

لو كان الشيوعيون يريدون الديموقراطية ، لكان بوسعهم أن يدخلوا على الوضع العربى ما شاءوا من تعـديلات ، بشرط واحد ، هو تمسكهم بالوحدة ودولة الوحدة .. ولكن الشيوعيين تحدثوا عن « مصرى » .. و « سورى » .!!

هم الأمميون مع اسرائيل وفرنسا وبريطانيا ! .. انقلبـوا فجأة الى اقليمين شوفينيين .. على أحط مسـتوى . هم الذين يؤمنون بأن كل ظاهرة مصيرها الى زوال .. عرفوا الخلودوآمنوا به مرة واحدة .. لجمهورية قاسم الخالدة !..

لم يكن الخلاف الشيوعى على برنامج وطنى ولا اجتماعى .. فليس من يصدق اليوم أن « راونترى » قد اشترى القاهرة.

والشيوعيون كما قلنا كانوايعارضون الدعوةالى الاشتراكية ويؤمنون بضرورة تشجيع الرأسمالية .. فهل كانت دولة الوحدة تدعو الى الاقطاع !..

ولست أريد أن أقلب وأنقب فى الصفحات السوداء ، ولا ان أعيد ذكرى الدماء الطاهرة ، فلذات أكباد الأمة العربية .. فماأمر على النفس ، ذكريات النصر الذى ضاع !..

تأمل هذه العناوين .. وتخيل أنها فى صحف شيوعية تؤمن بأخوة الجنس البشرى :

استقالة الحورانى والبيطار والوزراء البعثيين .

٣٠٠ ضابط مصرى يصلون سوريا .

اعتقالات جديدة فى حمص وحماه .

ثم تقول الصحيفة الشيوعية : « تتفاقم الحالة فى دمشق وباقى المدن السورية . والأخبار المتناقلة فى دمشق ، أن الوزيرين عبد الغنى قنوت ، ومصطفى حمدون قد اعتقلا بعد عودتهما من القاهرة مباشرة ، كما تتحدث أنباء عن اختفاء مشيل عفلق (حتى مشيل عفلق!) أما الخبر الهام الذى أثار الاستياء البالغ الشديد (!!) فهو قدوم ٣٠٠ ضابط مصرى الى دمشق (أثار الاستياء فى اسرائيل !!) وصلوا بالطائرات على عدة دفعات وفى يوم واحد ، وأتى هؤلاء الضباط ليحلوا محل الضباط السوريين الذين أبعدوا مؤخرا الى القاهرة .

وبدأ الناس يتحدثون عن القضايا الأساسية الواجب حلها .. عن الحياة الديموقراطية والحريات،وعن النضال ضد الاستعمار،

وعن وقف الغزو الاقتصادى المصرى ، وتأمين العمل للعاطلين والخبز للجائعين (١) » .

اذ قال شيوعى أنه آمن يوما بالقومية العربية ، فلا تصدقوه! اذ كيف تستعمر أجزاء من القومية أجزاء أخرى .. هل يمكن القول بالغزو النيويوركى لفرجينيا ؟!.

ولمصلحة من تأسيس العداء بين الضباط السوريين ، والضباط المصريين ؟! ألا ينصحنا بعضهم بعدم الاثارة ضداليهود لكى لا نربى الجماهير على انحرافات يصعب اقتلاعها فى المستقبل (٢) ؟!.. فلمصلحة من .؟! حتى اذا كنا نختلف مع نظام الحكم القائم فى فترة معينة . لمصلحة من نسف أساس الوحدة القومية ، واثارة العداء بين أجزاء الأمة الواحدة ؟!

اقرأ .

سوريا تغلى سخطا .

ضرب طلبة الجامعة السورية بالرصاص » (٣)

« الوزير البعثى الرابع يقدم استقالته .. سوريا تشهد اعتقالات واسعة جديدة » .

---

(١) اتحاد الشعب كانون ثان ١٩٦٠ .

(٢) أخبار اليوم « مقال اسرائيليات » ١٩٦٥ .

(٣) البلاد كانون ثان ١٩٦٠ .

« هذا وقد نشرت جريدة « الاوريان » (أنعم بها من مصدر لصحيفة شيوعية) الصادرة صباح أمس ، أن الاعتقالات شملت جميع المدن السورية كما أن مظاهرات قامت فى حمص وحماه وحلب ، وأن اشتباكا حدث فى تلكلخ وقع فيه بعض جرحى » (1) .

والوحدة .. أمل الشعوب العربية ، والتجسيد الحى لارادتها .. جعلها الشيوعيون هدفا استعماريا يتطلع اليه الاستعمار المصرى (بنك مصر عبود ــ الدفراوى) ويمهد لها الاستعمار العالمى . لا الشعب العربى ! « صوت الاحرار » الشيوعية تقول :

« تحشدات ايران على الحدود واذاعات مصر وتهديدات (...) حسين كل ذلك يؤدى بنا أن نرجع الى الوراء قليلا .. لنستعرض الوضع فى سوريا قبل الوحدة ، وكيف كانت تقوم تركيا بنفس الدور الذى تلعبه ايران ازاء العراق ، والدور الذى لعب فى العراق فى العهد المباد ، والدور التهديدى الذى لعبه الأسطول السادس ومقارنته بتهديدات الملك حسين ، واذاعات الدول الاستعمارية فى سنى الحرب الباردة ضد سوريا والاذاعات التهجمية التى تقوم بها الجمهورية العربية تجاه العراق الآن .

لقد كان الغرض من تحرشات الحدود التى تفتعلها تركيانحو سوريا ، ومرابطة الأسطول السادس فى لبنان هو اشعارالشعب

---

(1) اتحاد الشعب كانون أول ١٩٥٩ .

السورى أنه فى عزلة ، وأنه لا يستطيع منفردا الدفاع عن نفسه بدون اللجوء الى دولة أخرى كمصر ..

وهكذا وفى ظل هذه الظروف ، نجح الاستعمار فى بلورة مقاصده ، وأجبرت سوريا من حيث لا تدرى على الخنوع لجمال عبد الناصر ، والانضواء تحت راية بنك مصر . ولكن مادام الشعب العراقى قد وعى مقاصد الاستعمار ، والعيون تفتحت وكل فرد من الشعب شعر وفهم ، فلا يخفى شىء عن عيوننا . مازلنا يدا واحدة وشعبا وجيشا متحدا .. فكلنا كتلة متراصة. وسنبقى رافعين راية التحرر والديمقراطية والاستقلال ... الخ » (١) .

لم تكن القضية اذن وحدة أو اتحادا .. كونفدراليا أو فيدراليا ، بل ضرب فى جذور الفكرة ذاتها ، لنسف الوحدة من أساسها ، ومنع قيامها .. وهل كان يمكن أن يقول مثل هذا الكلام الا الشيوعيون ؟!..

وفى أمتنا خائنان شهيران •• يوسف خنفس •• وعفيف البزرى ••

يوسف خنفس آمن ببريطانيا ، وباع مصر لها .. وعفيف

---

(١) مقال « الدور الذى لعبه الاستعمار فى سوريا .. ويريد أن يطبقه فى العراق .. بقلم سعاد عبد المطلب الدجيلى !.. صوت الأحرار ١٩٦٠/١/١١ ..

البزرى أصيب بلوثة ماركسية على كبر .. وسأنقل من رسالته الشهيرة بعض سطور من التى يقل فيها الاسفاف قدر الامكان :

« اخى العزيز العقيد فاضل المهداوى

اطيب التحية

وبعد ، فأرجو معذرتى أن اكتب اليكم بدون سابق معرفة شخصية ، ولكن من الذى لا يعرف المهداوى ، وصوته الشريف الداوى المرعب للرجعية والاستعمار . ان ما قدمتموه وتقدموه من خدمات جليلة لأمتنا فى فضح المستعمرين والعملاء ، سيبقى أبدا فى ذاكرتى ، وقلب شعبنا على مدى التاريخ ، فاهنأوا بما وفقتم فيه من ضرب الأشرار ، ومقاومة المستعمرين وأذنابهم الطامعين . لقد أغضبنى كما أغضب كل حر شريف ، نبأ المحاولة المجرمة التى تعرض لها الزعيم البطل عبد الكريم قاسم . وتبين بعد هذه السلسلة من المحاولات التى تتعرض لها جمهوريتكم ، أن حكام القاهرة الفاشست ومن فوقهم الاستعمار ، يصرون اصرارا عنيدا لاطفاء هذه الشعلة الناطقة . شعلة الحرية لشعب العراق العظيم . وقد كان هؤلاء أنفسهم يتآمرون على حرية سوريا وديموقراطيتها فى ظروف وأشكال أخرى ، انهم لاشك يمثلون أبشع وأخبث رجعية عرفتها أمتنا العربية .. (ثم كلام لا يجوز نشره)

الا أن تعرية العدو لا تكفى للقضاء عليه ، ودفع أذاه . ولابد من مواصلة النضال لتحطيمه وازالته نهائيا من عالم الوجود (!!)

وهذه غاية لا تتم الا بصيانة العراق بشكل حاسم من كل ما يتهدده من أخطار داخلية .. وفى هذه الحالة لابد من اعلان التعبئة الشعبية والحفاظ على هذه التعبئة طيلة بقاء الفاشست والنفوذ الاستعمارى فى سوريا .. ان الشعب لا يخيف الا الرجعيين ، فيجب الاعتماد عليه بدون أدنى تحفظ ، فنحن نعيش فى ظروف استثنائية . وستبقى هذه الظروف مادام الخطر قريبا فى سوريا .. فحذار من دموع التماسيح ، وحذار من عويل الغيلان . ان الرجعية لو عادت لن ترحم شريفا . ومثل سوريا (١) والأردن وايران ، خير شاهد على هذا القول . لقد تفضل الزعيم ومنحنى حق اللجوء الى العراق الحبيب منذ مدة (عندما فر من سوريا الوحدة الكريهة الى عراق قاسم الحبيب ! .) الا أن وقوع الجريمة البشعة الاخيرة دفعنى للكتابة الى سيادة الزعيم لأهنئه بالسلامة من هذه المحاولة الدنيئة ، ولأرجوه فى أن يشدد فى اتخاذ الوسائل الفعالة لابعاد خطر هؤلاء الفاشست أجراء الاستعمار عن العراق . وهذا لا يكون الا بالعمل بكل جد لاخراجهم من سوريا . مع مراعاة الظروف الدولية الراهنة بالطبع ، لأن تخليص سوريا هو على كل حال شأن الشعب السورى (انجز مهمتك يا رفيق .. الكزبرى والنحلاوى .. والآخرون الذين تعرفهم)(٢) الا ان

---

(١) « !!! » .

(٢) يوم الانفصال المشئوم . أعلن بكداش فى بيونجيانج . « اذا سقطت أعلام القاهرة .. ترتفع رايات الاشتراكية » الكاتب ديسمبر ١٩٦٤ .

الدفاع عن استقلال العراق ، وحصانة هذه الجمهورية الفتية ، ورص صفوف أبنائها هو أكبر مساعدة لسوريا والعرب قاطبة .

أرجو أن تبلغوا الأخ العقيدماجد محمدأمين تحياتيواعجابي الشديد بوطنيته وبتفكيره النير . ولا اشك أنه خير رفيق لـكم تتعاونون واياه في كل الملمات التي تعترض سـبيلكم في هذه الظروف التاريخية ، كما انكما مع العقيد وصـفي طاهر وكل الأشراف الطيبين في العراق خير عون وسـند للزعيم الكبير عبد الكريم قاسم ، باخلاصكم واتحادكم وتنظيمكم .

وتفضلوا أيها الأخ العزيز بقبول أطيب تمنيـاتي ، وعميق تقديري واعجابي .

عفيف البزري (1)

« ان واقع تيتو وعبد الناصر في الوقت الحـاضر يثبت أن القوة الثالثة التي يدعوان اليها ، وينطقان باسمها ليست سوى أداة بيد الاستعمار العالمي ، ذلك لأن سياسة هذه القوة الثالثة هي ذات السياسة التي يسير عليها تيتو وعبد الناصر في علاقتهما مع بلدان المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي » .

« ولقد كان تيتو شريكا لعبد الناصر وللاستعمار الأنكلو ـ

(1) عن صوت الاحرار ١١ كانون ثان ١٩٦٠ .

أمريكي في المؤامرات التي دبروها ضد جمهوريتنا الفتية (١) ، وعلى الأخص مؤامرة الشواف القذرة .

لقد التقت سياسة عبد الناصر الحاضرة بسياسة الاستعمار ، فوضع يده بأيدي المستعمرين في كل محاولة أرادوا بها قهر جمهوريتنا الديموقراطية وتحطيم كياننا الجديد ، وراح يتعاون مع فرنسا الباغية (!!) التي تشن أبشع حرب على اخواننا في الجزائر . ويتغاضى عن مرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس (؟؟ !!) ويحجم في صحفه واذاعاته حتى عن ذكر كلمة واحدة تخدش أسماع اسرائيل ، بل وأكثر من ذلك يترحم على (دلس) ويعزى بوفاته ، ويوحي بكتابة المقالات المطولة التي تثني على عبقريته .

ان اتضاح حقيقة تيتو وعبد الناصر قد فضح واقع القوة الثالثة التي يدعوان اليها ، فقد ثبت بما لا يقبل الجدل (!) أن هذه القوة انما هي عون للاستعمار وحده ، وهذا ما جعل الهند واندونسيا تبديان برودا كبيرا ازاء محاولات عبد الناصر لعقد اجتماع يمثل هذه القوة الموهومة » (٢) .

« والمؤامرة الجديدة تلوح في الأفق » ..

---

(١) جمهورية قاسم — طه الشيخ أحمد !!
(٢) افتتاحية صوت الاحرار ٢٧ مايو ١٩٥٩ .

« ومنذ حلول الذكرى الثانية لالحاق سورية بمصر ، وعبد الناصر يطوف بسوريا ، وينثر الخطب بلا حساب (كلام لا ينشر) ومعلنا اصراره (•••••) على فرض (الوحدة العربية الشاملة) على جميع الأقطار العربية ، من المحيط الى الخليج » [1]

« مالوش حق ! » .

« ان تطور الأحداث السريع فى البلدان العربية منذ ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة ، وجميع الدلائل المتوفرة تدفعنا الى الاعتقاد الجازم بأن محور القاهرة ــ عمان ــ الرياض ، الجديد ، سيدير عجلة القيادة فى هذه المرحلة الحاسمة من كفاح العرب التحررى باتجاه تصفية القضية الفلسطينية نهائيا لصالح اسرائيل ، ولصالح الاستثمارات الأمريكية التى تسعى لايجاد مجالات جديدة لتوظيف رساميلها ، وكذلك تسوية القضية الجزائرية بشكل يضمن تغطية الاستعمار الفرنسى الغادر . ان تسوية هاتين المشكلتين الخطيرتين فى دهاليز قصر الاليزية وقصر الجمهورية وعابدين .. الخ .. وفى الجلسات السرية فى مؤتمر الدار البيضاء ، انما هو امتداد للسياسة الاستعمارية المعادية لمصالح الشعوب العربية كافة » .

نعم ! .. كان الشيوعيون يعارضون الوحدة أساسا ، وليس

---

(٢) افتتاحية اتحاد الشعب، صحيفة الحزب الشيوعى الرسمية ١٩٦٠/٢/٢٥

لأن لهم اعتراضات على شكل الحكم ، ولا حتى ، حرصا منهم على نشر الشيوعية ..

واذا كان المفهوم القومى يضع وحدة الأمة فوق كل التفصيليات .. فان البرنامج الثورى يرى أن تحقيقه أكثر احتمالا فى ظل الوطن الموحد منه فى ظل التجزئة .. اذ أن اتحاد الطبقة العاملة يسهل مهمة الحزب الشيوعى ، واختفاء التناقضات بين الرأسماليات العربية ، يسهل مهمة العمل الثورى ، ويضعف ارتباطات الشعبية بالقوى المحافظة الاقليمية .

وحتى لو كانت الوحدة ستحقق « وحدة رأسمالية » فهذه خطوة تقدمية تعقبها الثورة الاشتراكية ، وتمهد الطريق لها ..

فكيف يمكن لمؤمن بالوحدة العربية ، أن يعارض حتى الوحدة الاقتصادية ؟ هل هناك أى مصلحة تقدمية أو ثورية أو تحررية فى استمرار الشرائح الاقتصادية المتماثلة والمتنازعة والضعيفة فى نفس الوقت ، المكونة للاقتصاد العربى ؟ !

لماذا ؟ .

لنفرض ، وهو فرض خيالى أثبتت تجربة الوحدة القصيرة أنه خاطىء وأن عكسه هو الذى يحدث ، ومع ذلك .. لنفرض أن الوحدة تعنى تغلب الرأسمالية الأقوى على الرأسماليات الضعيفة فى العراق وسوريا والأردن .. الخ .. فلماذا يعارض

الشـيوعيون ؟ هل أنقلبوا الى حمـاة الرأسـماليات العراقية والسورية ؟ !

وماذا قال الشيوعيون ؟ !

« وكان أخطر اقتراح بذلت محاولات لاقراره ، هو وضع مشروع « الوحدة » الاقتصادية موضع التنفيذ ، على أن تعالج « المشاكل الفرعية » التى ستنجم عن هذه الوحدة فيما بعد . غير أن هذا المشروع المبتسر لم يكتب له النجاح ، وقد وقف الوفد العراقى حياله موقف المعارض بالنظر لاختلاف الظروف الموضوعية والذاتية بين مختلف البلدان العربية ، وما يتبع ذلك من اختلاف واقعى بين مصالحها المادية فى الظروف الراهنة ، لا يمكن تجاهله .

وقد عكس موقف وفد العربية المتحدة فى هذه المسألة جوهر سياسة حكم القاهرة فى قضية « الوحدة » العربية التى يسعون لفرضها بالقوة ، بصرف النظر عن الظروف الموضوعية والذاتية الراهنة لكل بلد .. بل ان موقف وفد العربية المتحدة قد عكس بوضوح المصالح المادية « الاقليمية » ومن ورائها المصالح « الطبقية » ممثلة بأطماع الرأسمال المصرى الاحتكارى بالدرجة الأولى وهى التى تخدمها فلسفة حكام القاهرة ، وتعبر عنها دعواتهم ونشاطاتهم المختلفة ، بما فى ذلك النشاط التآمرى وحتى « الاغتيال » .

اننا نرى أن السياسة الاقتصادية العربية الصحيحة التى تقتضيها مصلحة كل بلد عربى ، كما تقتضيها مصالح الأمة العربية

كلها ، هى سياسة التضامن المخلص النزيه والتنسيق الاقتصادى بين البلدان العربية بصورة تضمن مصالح وأسباب تطور وازدهار كل بلد ، وانتهاج سياسة اقتصادية وطنيـــة مستقلة ، بعيدة عن التبعية الاستعمارية ، فى التجارة والصناعة والمال ، وينبغى التأكيد على أن أى مسعى مبتسر لفرض « وحدة » اقتصادية بين البلدان العربية فى ظروف من التجزئة السياسية ، والتعاون (ربما التباين) فى التطور المادى والتباين فى الظروف المادية ، وحتى فى العادات والثقافات « ماذا بقى لنكون أمة ؟ ! » ان مثل هــذا المسعى ، يستهدف كما هو واضح استئثار البورجوازية الاحتكارية المصرية ــ الأكثر تطورا ــ بالثروات الاقتصادية للبلدان العربية ، على حساب تجاهل مصالح الشعوب العربية ، بما فيها مصالح أرباب الصناعات والتجار والماليين الوطنيين فى البلدان العربية الأخرى ، ويلحق أبلغ الضرر كذلك بالعلاقات السياسية والروابط الأخوية بين البلدان العربية الشقيقة » [1] .

يا للعـــار ؟ .

كيف انقلب الأمميون .. الى حزب بورجوازى مدافع عن مصالح الماليين والتجار وأرباب الصناعات ؟ ! . لأن الأممية عندهم هى خدمة المصالح الأجنبية المعـادية لأوطانهم . وهم من هــذه الزاوية أخطر أسلحة الغزو الفكـرى ، فان خبـرتنا المريرة مع

---

(١) افتتاحية اتحاد الشعب : ١٩٥٩/١١/٢٤ .

الاستعمار الغربى ، تجعل مثل هذه الكلمات منه أو من عملائه لا قيمة لها .. بل بالعكس . تحدث أحيانا رد فعل عكسى .

أما من الذين يعرفون جيدا أن الوحدة الاقتصادية هى قاعدة الوحدة السياسية ، فان معارضتهم لهذه الوحدة خيانة ، والأسباب التى يتذرعون بها عار ! .

وكلما فكر العرب فى ذكريات المحنة القاسية ، حق لهم أن يتساءلوا ..

هل جن الشيوعيون وحدهم ؟ ليروا فى حكم عبد الناصر فاشية ، وحكم عبد الكريم قاسم ، ديموقراطية وحرية وتحررا ؟ !

وهل يمكن أن نسمى ذلك خطأ أو حتى انحرافا ؟ !

والجواب .. لا ..

لأن الوحدة .. كالغريزة ، تتحرك حتى ولو غاب العقل الواعى ..

ان بذرة الحركة الشيوعية فى الوطن العربى فاسدة أصلا .. وأقوى أسلحة الغرب ما كانت لتستطيع أن تغزو القلعة العربية مثلما فعلت الماركسية ابان لحظة حاسمة فى تاريخها ..

وكلما ذكر العرب على مر السنين والقرون ، حلم الأجيال الذى أشرق عليهم فى صبيحة الرابع عشر من تموز .. فأحاله الشيوعيون الى كابوس مرعب .. سيلعنون الذين هدموا بأيديهم ما بنته أمتهم . وكانوا أول الخاسرين ! .

واذا استطعنا أن ننسى دماء الماضى فلا يسعنا الا القلق على المستقبل والحذر لما تبادرنا به الماركسية ومعتنقوها .. لأن الشيوعيين حتى الآن ، لا يريدون أن يعترفوا بجريمتهم ضد الوحدة .. بل يعلن راديو موسكو : « اجتمع ممثلو الشيوعية فى بلدان المغرب والمشرق العربى فى كانون الأول من عام ١٩٦٤ ، وأجروا تبادلا موسعا ومقنعا لآرائهم وتجاربهم ، واستعرضوا النهوض المتعاظم للحركة الثورية ضد الاستعمار فى سبيل السلم والتحرر الوطنى والديموقراطية والتقدم الاجتماعى (لا اشتراكية) على مستوياته المتفاوتة فى جميع البلدان » .

ثم نصل الى المادة ٤ من قرارهم حيث يقولون : « ان المجتمعين اذ ينظرون باغتباط الى انتصارات الحركة الثورية فى عدد من البلدان العربية يلاحظون بأسف أن الانتكاسة العميقة التى تعرضت لها الثورة العراقية قد دلت على أن العامل الرئيسى فى نجاح انقلاب الردة الرجعية فى شباط سنة ١٩٦٣ كان كما تبين من الوقائع ومن تجربة الحزب الشيوعى العراقى الانقسام فى صفوف القوى الثورية والوطنية فضلا عن قمع الديموقراطية وقوة مواقع الاستعمار فى العراق » [١] .

هذا هو رأى الشيوعيين العرب .. وواضح أننا نتكلم بلغتين كما يقول لنين .. ولا سبيل للقاء بيننا وبين الشيوعيين .. ما داموا مصرين على هذا الفهم ! .

---

(١) راديو موسكو الساعة ١٥ : ٨ توقيت القاهرة ١١-١٢-١٩٦٤ .

فالأمة العربية ترى ثورة شباط ١٩٦٣ يوما من أيام العرب المجيدة ، أزيح فيه كابوس مجنون عدو للعروبة عميل للاستعمار ، وانهار فيه نظام بشع يقوم على تفتيت قوى الشعب ، وتدمير كل القوى التى تبنى المصير العربى ، ويعمل على اثارة عوامل الضعف التى تكفل استمرار حكمه ، بل وأيضا اصابة الأمة العربية بالشلل لسنوات عديدة بعد زوال كابوسه .

ثورة شباط هــذه عند « ممثلى الشيوعية فى بلدان المغرب والمشرق العربية » .. « انقلاب الردة الرجعية » وسقوط قاسم « نكسة » ؟ ! .

نريد أن نعرف مكسبا واحدا حققه حكم قاسم ، حتى يعتبر سقوطه نكسة ؟ هل علانية العمل الشيوعى هى مقياس التقدم والانتكاس ؟ أليس ذلك مقياسا مغرقا فى الذاتية ؟ .

ومع ذلك .. ألم يكن قاســم يمتهنهم ، واصطنع لهم حزبا مباحثيا ، ورخصه وحده باسم « الحزب الشيوعى » ، ورفض الترخيص للحزب المعتمد من الأممية رغم صدور الشهادات له من الدوائر الدولية ؟ ! ألم يكن فى سجون العراق مئات منهم .. يوم سقوط قاسم ، ومصرعهم تحت أسوار قلعته فى وزارة الدفاع ؟ . ألم تكن محــاكمه تشــهر بهم ، ويسلط عليهم الصحف تنهش أعراضهم ؟ .

لماذا يكون سـقوط قاسم نكســة ؟ ! وبأى منطق يواجه الشيوعيون المواطنين العرب ؟ .

والثورة العربية ترى أن سقوط قاسم كان ثمرة اتحاد القوى الثورية والوطنية وضعف مواقع الاستعمار بعد وصول القوات العربية الشقيقة الى اليمن ، وتحول الاستعمار من الهجوم الى الدفاع .. والشيوعية يرون العكس تماما .. فأين سبيل اللقاء ؟! هل نترحم معهم على قاسم ؟ . أو يلعنون قاسم مع الأمة العربية من المحيط الى الخليج ؟ ! .

أما موقف الشيوعيين من الاشـــتراكية العربية ، فما يزال غامضا ، ضعيف الأساس ، لا يقوم على الصدق والفهم ، والمواجهة الحقيقية ..

ان نقدا ذاتيا جديا لم يصدر الى الآن .. والشيوعيون فى الخارج ينقسمون اما الى أنصـــار للصين يرون فى كل ما تم فى بلادنا ، لعبة ماكرة تدبرها الرأسمالية بهدف اقامة نظام رأسمالى متعاون مع الاستعمار ! (١) واما ملتزمين بالخط الروسى . وهؤلاء

---

(١) منذ أشهر قليلة صدر فى أوربا كتاب جديد بعنوان « مصر الناصرية» ومن تأليف حسن رياض ، وهو اسم مستعار لشيوعى مصرى ، يعمل عضـوا فى مجلس تحرير مجلة « الثورة » ، وهى مجلة تصدرها الصين الشعبية فى جنيف لمشاكل آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . وقد انتهى السيد « حسن رياض » ـ بعد دراسة مفصلة مدعمة بالارقام والنصوص الماركسية واللنينية ـ الى ان النظام القائم فى مصر مثله مثل النظم القائمة فى الجزائر وفى غينيا وفى مالى ، وهى نظم تقيمها البورجوازية الصغيرة التى تنصهر مع البورجـــوازية القديمة ليقيما معا بورجوازية حكومية تستولى على السلطة وعلى الثروة العـامة وتقيم رأســـمالية دولة متصلة ومتحالفة مع الاستعمار الجديد ، الذى هو فى حقيقته امتداد غـــير مباشر للاستعمار القديم .. ولا يمكن أن تؤدى هذه النظم الى الاشتراكية لانها تقوم على الخوف من الجماهير وعلى استغلالها !»

محمد عوده .. مجلة الكاتب ديسمبر ١٩٦٤

لخص موقفهم الأستاذ محمد حسنين هيكل ، رئيس تحرير الأهرام ، عندما قال بعد اعتراف خروشوف باشتراكيتنا « انقسم معظم الشيوعيين العرب الى قسمين : قسم وافق طاعة وامتثالا .. وربما اقتناعا .. وقسم صعب عليه أن يتخلى عن المسلمات القديمة ، واعتبر أن خروشوف قد طعنه فى ظهره .. »

الا أن موقف الذين أعلنوا الاقتناع ، لا ينبعث من أساس نظرى ، والا لعكس درجة واحدة ، أو حتى درجات متقاربة من التأييد ، فبينما نلاحظ أن الشيوعيين فى الخارج لا يكادون يذكرون كلمة « اشتراكية » فى وصف نظامنا .. نجدهم فى الداخل ، يحنون الى الماركسية ، ويداورون ويحومون حول حكاية .. لا اشتراكية الا العلمية . ولا علمية الا الماركسية (١) .

وقد استطعت الحصول على نص البلاغ (٢) وأنا أعد الطبعة الثانية وسأنقل هنا فقرة أغفلها راديو موسكو :

يقول البلاغ : « لقد درس المجتمعون تجربتى الجزائر والجمهورية العربية المتحدة وقدروا أهميتها . انهم يحيون منجزات الجمهورية الجزائرية الديموقراطية والشعبية السائرة قدما فى الثورة الاشتراكية بقيادة حزبها الطليعى « جبهة التحرير الوطنى »

---

(١) ودمنا من المنافقين الدبن لايرون تناقضا بين ارتدائهم الزى الماركسى والموافقة فى نفس الوقت على أن الاشتراكية العلمية ليست الماركسية !!

(٢) مجلة الوقت ، عدد : ٣ ، مارس ١٩٦٥

على أساس ميثـاق الجزائر الذى يلتف حوله جميـع الثوريين الاشتراكيين بمن (كذا) فيهم الشيوعيون .

وقد لاحظوا أن نجاحات هذه الثورة التى تأخذ بعين الاعتبار الخصائص الوطنية للجزائر ، مرتبطة بالدور الفعال المتعاظم أبدا لشغيلة المدينة والريف ، فى اطار ديموقراطية ثورية ، تتجلى أكثر فأكثر بالتسيير الذاتى وبتعبئة الجماهير الشعبية .

كما أنهم يحيون التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الكبيرة فى الجمهورية العربية المتحدة التى دخلت فى طريق التطور اللارأسمالى .. (كذا) وان اقتران هـذه التحولات بالمزيد من الديموقراطية وبالمساهمة النشيطة المتزايدة للجماهير الشعبية ، وبالسعى لتحويل الاتحاد الاشتراكى العربى الى منظمة تعكس بشكل أفضل مصالح وايديولوجية الشعب العـامل ، فان ذلك يكون من شأنه أن يمكن الجمهورية العربية فى السـير نحـو الاشتراكية » أ هـ .

بمشيئة الله ! .

ومن تاريخ هذا البلاغ .. نعرف أنهم اجتمعوا فى كانون أول ١٩٦٤ أى ديسمبر ١٩٦٤ بعد قرارات يوليو العظيمة بثلاث سنوات وبعد قرارات مارس بتسعة شـهور .. وتاريخ نشره هو مارس ١٩٦٥ أى بعد ذلك كله بسنة أخرى ! .

ومع هذا فما زال الشيوعيون يسدون لنا النصح حتى نتمكن من السير نحو الاشتراكية ..

كل هذا الذى أنجزناه :. مجرد تحولات كبيرة .. أدخلتنا فى طريق التطور اللارأسمالى !..

والتطور اللارأسمالى .. فتوى جديدة أفرزها العفن الماركسى .. ولا تستحق أن يؤبه بها .. لأنها أشبه باللغز .. فما هو الطريق اللارأسمالى ان لم يكن الاشتراكية ..؟! أهو الاقطاع مثلا ؟!..

ثم ما الذى تمتاز به تجربة الجزائر عنا ؟.. حتى تستحق أن توصف « بالمنجزات » وبأنها «سائرة قدما فى الثورةالاشتراكية» بينما يرجى لنا السير نحو الاشتراكية ؟!..

ما الذى يتميز به حزب جبهة التحرير على الاتحاد الاشتراكى العربى .. حتى يوصف الأول بأنه الحزب الطليعى .. ويوصى بتحويل الثانى الى منظمة تعكس بشكل أفضل مصالح وأيديولوجية الشعب العامل ..

ترى هل أخزاهم الله ؟!.. وهل يسمح لنا القارىء أن نقف عليهم متأسين برسول الله يوم بدر فنقول .. هل وجدتم ماوعد الله حقا .. وهل اخزاكم الله يا أهل البلاغ ! . أو البقيع ! . » .. (ب)

وبعد فأحسبني قد أوضحت لماذا نرفض الماركسية .. ذلك لأنها ضرب من الغزو الغربي لحضارتنا باعتبار أن الحضارة الغربية الصليبية التي تنقسم الى كنيستين ، الكنيسة الغربية ، والكنيســة الشرقية الأرثوذكسية .. كلتاهما خاضتا الحرب ضد الاسلام والعالم الاسلامي ، واقتطعتا من الوطن الاسلامي ما قامت عليه امبراطورياتهما .. كلتاهما خاضتا الحرب ضدنا : تحت أعــلام الكنيسة ، ثم تحت أعــلام الديموقراطية والشيوعية .. والحرب واحدة ، والهدف واحد ..

وأحسبني قد أوضحت ان الماركسية غير قادرة على أن تشكل مجتمعا ماركسيا في العالم الاسلامي •• لأنها لا تقدم له جديدا يبهره ، ولا تنبع منه أو تمت له بسبب •• ولأنها أتت لهذا العالم ــ والعربي منه على وجه الخصوص ــ في عشية زوالها •• بعد أن انهارت أسطورة سيادتها على العالم كما كان البعض يتنبــأ لها •• فاذا بها تتصدع وتنهار قبل ان تنتهي السنوات الأولى من النصف الثاني للقرن العشرين •• القــرن الذي كان يســميه الشيوعيون قرن انتصار الماركسية !..

بل أصبحت أنباء العالم الماركسي تكاد تنحصر في اكتشافاتهم لفشل النظرية ، وانتصارهم عليها •• وعبقــريتهم في التخــلص منها !.. والثابت من أقوالهم الآن أنهم زيفوا علينا طوال هذه السنوات ، وأن أخطاء فظيعة قد ارتكبت ••

ومن هنا فقد سمعت تساؤلا عن سر اهتمامى بنظرية تسير الى الأفول ؟!..

وفى اعتقادى أن خطورة الماركسية الحقيقية بالنسبة لنا ،انما تكمن فى الأثر التدميرى الذى تمثله ضد مقومات حضارتنا وتخريبها لعقول الأجيال المقبلة •• مما يتركها فريسة للفكر الغربى الأكثر اغراء وخبثا ، والأعرق فى التضليل ، لقشرة الديموقراطية والموضوعية التى تغلفه .. ولتعدد أوجهه ممايتيح للناشىء وهم الاختيار الحر !..

ولما يشد ازره من تفوق مادى ساحق ، تحقق بنهب الشعوب بوحشية نادرة •• ولكنه يفسر الآن على انه دليل تفوق العقلية الغربية ومنهجها فى التفكير ••

وهو كذب ••

ولكنه ينطلى على عقول الكثيرين ••

وهذا يفسر لجوء الصليبيين الخبثاء الى محالفة الماركسيين ، بل والاعتماد على التفسير الماركسى فى معاقل الفكر الاسلامى والعربى •• واغراء حراسه على ترك مواقعهم •• لتأتى قوات الاحتلال الحقيقية العاملة لحساب الغرب •• فتحتل المواقع وتسبى الشعوب .

وقد سألنى البعض لماذا لا أفرد فصلا أو حتى كتابا لتفنيد الماركسية كنظرية •• وجوابى ان التاريخ والماركسيين قد تكفلوا

بذلك .. ومهما كتبت ضدها .. فلن أنال منها قدر ما يفعل ابناؤها اليوم (١) .. غير أنى أقول انه لم يعد هناك ما يسمى بالنظرية العامة للاشتراكية .. وان الماركسية قد أخذت مكانها فى المتحف ، كاحد التفسيرات للتطور الانسانى ، التى لعبت دورا حاسما وهاما فى تاريخ الجنس البشرى .. بل وكانت قوة دافعة للشعوب فى تحررها .. ثم رحلت مع غيرها من أحلام الفلاسفة واكتشافاتهم العبقرية ..

واذا كان ثمة مجال لمناقشة الماركسية وتحليلها كنظرية فذلك مجاله الجامعات ودور البحث الاكاديمى .. ولكنها لا تعنى أحدا الآن ، لأنه لا يبشر بها أحد ولا يطبقها ..

انما الذى يعنينا هو سلوك الماركسيين الذين يوجهون سياسة عدد من الدول ، ويشكلون قوى سياسية لها وزنها فى عدد آخر ..

وأحسبنى قد أوضحت أهمية فهم هذا السلوك لتحديد مكاننا وتوجيه خطانا فى دروب السياسة العالمية ولمواجهة تأثيرات الصراع المتغير بين هذه الدول المنتمية للماركسية .. وبين الدول المعادية للماركسية ..

---

(١) احسب أن نظرية بلغ من هوانها أن يتصدى اسماعيل المهداوى ، لتطويرها ليس من الشهامة أن نتعرض لها بعد ذلك بسوء .. فقد نهى ديننا عن الشماتة والمثلة .



اى بين ورثة الكنيسة الأرثوذكسية فى اوروبا وبين الديموقراطيات الغربية ورثة الكنيسة الكاثوليكية وانشقاقاتها ..

هذا الصراع الذى يحكمه عاملان :

وحدة الكنيستين فى مواجهة الاسلام ، والشعوب غير البيضاء ..

وتناقضهما فى نفس الوقت ، وتنافسهما على سيادة هذه الشعوب الملونة واسترقاقها ..

وفهم الماركسية والماركسيين ضرورى أيضا ، لمواجهة آثار اختفاء وحدة المعسكر الشيوعى واحتمالات الصراع المحتدم بين الشيوعيين البيض والشيوعيين من الشعوب غير البيضاء ..

كذلك فاننا فى العالم العربى ، نحتفظ بذكريات تجربةمريرة مع الشيوعيين العرب ، لأنهم لانعدام جذورهم القومية ، لم يكونوا أكثر من امتداد فكرى للشيوعية العالمية ، مع تأثيرات صهيونية .. واستعمارية .. وبالذات بريطانية .. (ويبدو انها تتحول بسرعة الى أمريكية) ثم بعد انقسام العالم الشيوعى الى شيوعية أوروبية بيضاء وشيوعية ملونة ، تأكد طابع التبعية فى الشيوعيين العرب بانحيازهم فى غالبيتهم للشيوعية البيضاء .. وتصور الأقلية .. أنهم بتبعيتهم للصفراء انما يعكسون موقفها ، وهو تصور موغل فى الخطأ ..

ومن ثم كان علينا أن نواجه الفكر الماركسي والسلوك الشيوعي فى الوطن العربى بالنقد .. حتى لا نقع فى تجربة مريرة أخرى كتلك التى دفعنا ثمنها فى فلسطين وفى العراق وسوريا وفى السودان والجزائر ..

ومنذ سنوات عديدة ، ونحن نصر على تعبير « تنبع من واقعنا » ولم نأبه بدهشة المستدهشين ولا سخرية المثقفين .. الى أن قادنا الفكر الحر والموقف القومى الى ضرورة التأكيد على المفاهيم الاسلامية .

وقد أثبتت الأيام أننا كنا على حق فى موقفنا .. فان الذين خاضوا غمار الحرب ضد الشيوعيين دون الاستناد الى فكر مستقل ، ودون ايمان حقيقى بخصائص الحضارة العربية ، وتفوق الاسلام .. سرعان ما سقطوا فريسة المنطق الماركسى (١) .. واستعاروا كلمات الماركسيين وتحليلاتهم ، فحكموا على أنفسهم بالافلاس والفناء فى جوف خصمهم الذى قتلوه ..

وأحرى بجماهيرهم أن تسألهم : فيم كانت الدماء التى أريقت ، والشهداء والضحايا .. ان كانت النهاية حلفا مع الشيوعية؟!.. أو استعارة لكل ما كانت تقوله ؟.

أما الذين انتهزوا فرصة وجود الشيوعيين فى المعتقلات ، فتاجروا بكلماتهم ، وتباهوا بنظريتهم ، على «غير المثقفين» الذين

---

(١) حزب البعث مثلا .

يتحدثون عن « تنبع من واقعنا » •• هؤلاء قد روعوا بخروج أصحاب التوكيل المــاركسي .. الذين طالبوهم بالتنحى ، وبما حصلوه نتيجة استغلال اسمهم وشعاراتهم ..

وقد حاول المتجرون بالفكر الماركسى أن يستمدوا الشجاعة من أمل راودهم بأن الماركسيين ولو فى البداية سيحتاجون الى بضع لافتات يتحركون خلفها ، ومشاجب يعلقون عليها خططهم•• الى برادع لها من المواصفات القانونية ما يمكنها من العمل باسم الشيوعيين ••

ولكن الصدمات توالت على المتجرين •• اذ تبين ان صاحب التوكيل لا يقل سعارا عنهم فى طلب المكاسب والمناصب والنضال! وتبين المتجرون ، أن عليهم اما قبول دور التابع واعطاءابطال الكفاح مكانتهم •• واما أن يحملوا عنا راية الـــكفاح ضــد الشيوعية •• وهم على الأغلب سيفعلون •• بل بدأوا بالفعل••

وسيكون من متعنا القليلة فى هذه الدنيا •• ان نراهم يصرون على اشتراكيتنا التى « تنبع من واقعنــا » و « اليســـار غير الشيوعى » •• يوم تنتابهم هيستيريا « الخطر الشيوعى » ••

غير أنى أطرح هنا •• وبعد عام عاصف ، وقفت فيه وحدى، أتلقى ما يزعزع ايمان الصخر ، وما يفتت تماسك الجلمود .. لولا رفيق سبق على الطريق •• بل معلم وقائد وصحابى جليل ••كان

لا يكرر الا كلمة واحدة .. « أحد .. أحد .. » لخص فيهـا سمو الاسلام وتفوق من يؤمن به ..

وقانا الله شر الغرور .. والهمنا الايمان والصبر على السراء قبل الضراء .. ففتنتها أكبر ..

أقول انى أطرح الآن .. فكرة الالتقاء مع الماركسيين العرب .. بشرط واحد هو أن ينبعوا فى سلوكهم السياسى من واقعنا

فلأننا طرحنا جانبا قضية النظرية .. نحدد موقفنا على أساس السلوك السياسى .. ونرى أن شـيوعيا مثل شوان لاى يرفض استخدام الحروف اللاتينية فى كتابة اللغة الصينية .. وحجته فى الرفض أن هذا الاجراء سيقطع صلة الصينيين بتراثهم ..

مثل هذا الشيوعى هو أقرب الى تفكيرنا من عدو للشيوعية يطالب بهذه الحروف للغتنا العربية ..

فليس ما يحكم سلوكنا هو شيوعية الآخرين بل موقفهم من قضايانا ..

وهنا يثور سؤال ..

امازال أمام الشيوعيين فرصة عمل فى الوطن العربى ؟.

أود أن أبادر فأقول .. لا .. وأنه من السـخف أن يعتنق المرء الشيوعية ، فى وقت يتجه فيه الشيوعيون الى خلعـها فى الدول الشيوعية ذاتها ..

ولكن •• ما العمل فى بقايا التاريخ •• وهى دائما ظواهر تثير الرثاء ، والألم ، والتعقيدات أيضا ••

وما العمل الى أن تتبلور حركة اسلامية ذات مفاهيم اشتراكية وسلوك اسلامى عربى ، وتفرض نفسها على السياسة العربية من المحيط الى الخليج ••

ما العمل ؟••

اذن يمكن القول بوجود فرصة عملى للشيوعيين شرط أن يفهموا حدودهم وواجباتهم ، فليس من يطالبهم اليوم بتطوير الماركسية •••

سعيكم مشكور ••

دعوا هذه المهمة لأصحابها •• وطوروا أنفسكم فهذا يكفى ••

وبدلا من الترقيع والتلفيق ، واجهاد النفس فى كتابة الحيثيات الماركسية لكل ما تتخذه السلطات من اجراءات ••

وفروا جهدكم •• فان احدا لا يطالبكم به •• وكونوا أكرم لأنفسكم بأن تفتشوا عن دور حقيقى تمارسونه ••

لا تجهدوا أنفسكم فى « اعتماد » اشتراكيتنا .. ولا تكرروا قصة الذبابة والشجرة •• عندما أرادت أن تطير من فوقها

فأخطرتها محذرة « تماسكى أيتها الشجرة فانى سأطير .. فردت الشجرة هازئة لم أحس بك وأنت تقعين على .. فكيف أتأثر عندما تغادرين غير مأسوف عليك ! »

لقد قامت اشتراكيتنا ونجحت رغم معارضتكم وما أظنها تحتاج لتأييدكم الآن ..

واسمحوا لى أن أقترح دورا يمكنكم أن تلعبوه .. وأن تمهدوا به للقاء مع القوى الاشتراكية القومية الشريفة .. وتخدموا به بلادكم ..

* فضح وكشف الفكر الغربى .. فمن المؤسف ـ وان يكن من غير المستغرب ـ أنهم الآن أقوى المدافعين عن الحضارة الغربية وكل ما فيها حتى اللامعقول !

* التصدى للمبشرين وفضح نشاطهم ، فذلك يخدم أهدافكم المادية .. بدلا من هذا الحلف المريب بين المبشرين والماركسيين العرب .. فاننا لم نقرأ لكم حملة واحدة ضد نشاط المبشرين الأمريكيين والانجليز والفرنسيين بالرغم من ان هؤلاء جواسيس يعملون لحساب الدول الاستعمارية الكبرى.

* ممارسة نشاط عالمى بين الأحزاب الشيوعية والحركات الاشتراكية .. ضد اسرائيل ووجودها ، فاضحين حقيقة هذه

الدولة ومنافاتها للاشتراكية العلمية (وهنا لا نمانع فى أن تكون الاشتراكية العلمية هى الماركسية) ومعاداتها للسلام وحركة تحرر الشعوب • وخطرها على الشعوب العربية ، والدول العربية الصديقة للمعسكر الاشتراكى • والمناضلة ضد الإستعمار فاضحين الحزب الشيوعى الاسرائيلى •• موضحين ان وجوده والاعتراف به يتنافى مع الماركسية اذ لا يوجد شعب اسرائيلى ولا أمة اسرائيلية يمثلها هذا الحزب •• كما لا يجوز أن يوجد حزب شيوعى فى الفرقة الأجنبية يسمى نفسه حزب الفرقة الأجنبية !..

هل نقترح على الشيوعيين أن يدعوا الدول الشيوعية والأحزاب الشيوعية الى اتخاذ موقف اكثر حزما من اسرائيل بقطع العلاقات معها ومنع اشتراكها فى المؤتمرات والغاء جمعيات الصداقة مع اسرائيل ووقف عرض افلامها وكتبها •• والا فليعترفوا أن الروابط الاسلامية والعربية ، أكثر علمية ، وفعالية من الاخوة الاشتراكية ووحدة الشعوب . لأن هذه الروابط تجعل شيوخا وسلاطين وخانات يقفون من اسرائيل موقفا أكثر حزما وأكثر عدالة وأكثر علمية •• من دول شيوعية واحزاب شيوعية

ان الدول العربية لا تملك الا أن تشكر بالامتنان للدول الشيوعية بعض مواقفها ضد اسرائيل فى المجالات الدولية وفى البلاغات المشتركة ••

ولكن دور الاحزاب الشيوعية باعتبارها فى الجـانب غير الرسمى ، وبما لها من دالة على الدول الشيوعية تستطيع أن تخدم عروبتها بالمطالبة بخطوات أبعد من أجل تصـفية رأس الجسر الاستعمارى ، والكيان الذى لا يتفق مع المنهج المـاركسى •• وعندما تأتى المطالبة من الشيوعيين فلن تثور شبهة السعى لاحراج الدول الشيوعية أو افساد علاقتها •• ومن ثم تخدم العـروبة والاشتراكية معا !..

نقترح للشيوعيين أن يكافحوا من أجـل خلق قيم جديدة للعلاقات الاقتصادية •• بين الدول الاشتراكية وبعضها •• وبين الدول الاشتراكية من جانب والدول المحررة من الجانب الآخر••

فليطالبوا بتحطيم خرافة السعر العالمى •• وهو السـعر الاحتكارى الذى فرضه الاستعمار ، ويتم وفقا له تبادل السلع المصنوعة بالمواد الخام .. على نحو يضمن للمحتكرين بهـذه الشعوب المنتجة للمواد الخام ••

تلك القضية التى أشار اليها جيلاس فسجن وجيفارا فاختفى . وتتحدث عنها الآن الصين وكوريا ورومانيا ..

فمن العار أن تشـترى الدول الشيوعية وتبيـع بما يسمى السعر العـالمى ، علما بأن هذا السـعر قد حددته الاحتكارات الاستعمارية الرأسمالية .. وقد آن أن يوضع معدل جديد للتبادل العالمى ، يقوم على أسس خالية من الاستغلال . فان ظهور هذا

المعدل كفيل بتحطيم العلاقات الرأسمالية القديمة واحلال العلاقات الاشتراكية على النطاق العالمى ..

وهو أكبر نصر يمكن أن تحققه الاشتراكية فى حربها ضد الرأسمالية الغربية . وهو تغيير ثورى بعيد عن سياسة الاغراق التى مارستها بعض الدول الرأسمالية ، وتلجأ اليها أحيانا بعض الدول الاشتراكية لاقتحام سوق مقفلة ..

لا .. .

نريد علاقات عامة نابعة من رغبة أكيدة وصريحة فى القضاء على الاستغلال بين الأمم كما قضى على الاستغلال بين طبقات الأمة الواحدة ..

صحيح أن ربح الدول الاشتراكية الصناعية سيقل ، ولكن معدل نمو الدول المتخلفة سيكون أسرع .. وصحيح أن منافستها فى الأسواق العالمية للدول الرأسمالية التى تنهب الخامات ستكون أصعب .. ولكن من قال .. ان مستقبل الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية يقوم على طرح سلع بسعر أقل ! .

أليس نمو الدول المتخلفة هو المعجل بزوال النظام الرأسمالى العالمى ؟ .

ومن يستطيع أن يحمل شعار « من أجل تبادل اشتراكى » الا الشيوعيون من الشعوب المنتجة للمواد الخام ؟ ! .

فليتركوا لنا نحن غير الشيوعيين فرصة الثناء على المساعدات غير المشروطة ، وغير الأنانية ، والأخوية التي تقدمها الدول الشيوعية للشعوب المتحررة ، فان الثناء من فمنا نحن أعذب وأوقع ..

أما هم فليطلبوا المزيد لبلادهم .. فليحرضوا رفاقهم الشيوعيين على أن يدفعوا أكثر ، ويضحوا أكثر لتحرير كل « الجنس الحى » .

ونحن فى صراعنا المصيرى ضد الغرب الذى رفض أن يعطينا أو أن يبيعنا .. نذكر بالامتنان موقف الذى أعطانا .. وسندفع له بالكامل أقساط ما أعطانا وأرباح أقساطه .. وشكرنا العميق ..

اما الشيوعيون فيجب أن يكون لهم موقف آخر .. عليهم أن يسعوا لكى تتفوق أخوة الشعوب على تضامن العصابات وترابط الاستعماريين الاستغلاليين . فليس من المعقول أن تعطى المانيا الغربية اسرائيل السلاح للغدر والعدوان بلا مقابل .. ثم تضن الشعوب الاشتراكية على شقيقاتها الشعوب المتحررة بمثل هذه الهدية للذود عن السلام وتحرير الشعوب وتحطيم قواعد العدوان التى كانت وما تزال تعد لضرب نفس هذه الشعوب التى تبيع السلاح .. وبالأرباح ! .

ليكن هذا السلاح هدية ..

ولكن ..

من الذى يقولها ؟ .

أنا ؟ ! . اذن فسأتهم بأنى أسعى للتقليل من المساعدات الايجابية الفعالة .. الخ ..

حسن ! .

ليقلها اذن الشيوعيون .. عندئذ يخدمون بلادهم ويرفعون سمعة مبادئهم ..

اننا نسمع عن التبرعات والهبات والقروض التى تجمع من البلدان الاستعمارية لاسرائيل ، بل يقال ان المانيا الغربية ستعطى اسرائيل قرضا لمدة خمسين عاما وبفائدة ١٪ لتحويل مياه البحر الى مياه عذبة تزرع بها أرضنا نحن العرب .. وتجلب بها مهاجرين جددا يكونون فى خدمة الأهداف العدوانية فى الشرق الأوسط .. ومع كل تقديرنا للمساعدات غير الأنانية التى تقدمها الشعوب الاشتراكية .. فلا زلنا نعتقد أن هذه الشعوب تستطيع أن تقدم أكثر .. وتستطيع أن تضرب المثل فى الوفاء والتضحية .. وأن تؤكد حقا استعدادها لاقتسام اللقمة مع الشعوب المحبة للسلام .

لتكن القروض الاشتراكية كلها من طراز القرض الصينى بلا فائدة .. ولينبع ذلك من ايمان بضرورة قيام قيم اشتراكية جديدة ، لا لمجرد منافسة وازعاج الاتحاد السوفيتى ..

لتكن المساعدات الأخوية بلا مقابل هى أساس العلاقات بين الدول الاشـــتراكية المتقدمة والأخرى التى تســير على طريق التقدم ..

هذا دور نقترحه لبقايا الحركة الماركسية اذا شاءوا أن يجددوا حياتهم وأن يخدموا بلادهم ..

وما نظنهم فاعلين ..

وهنا يكمن الخطر (١) .

ففى الوقت الذى نشهد فيه تفتت المعسكر الشيوعى ، وتصفية التنظيمات الشيوعية .. يتحول الماركسيون من عناصر غزو تعمل لحسابها .. الى مجــرد حاملى ميكروب الصليبية الغربية ، ولو بالمفاهيم السلبية التى يروجونها .

والحرب الصليبية الثالثة التى نخوضها اليوم .. أخطر من ســابقتيها ، لأن الغرب يتسلح فيها بالتفوق المــادى الساحق ، والمغلوب فى هذه الحرب سيحكم عليه بالفناء ، لأننا ندخل عصر الثورة العلمية . ونظرة للامكانيات غير المحدودة التى تبشر بها هذه الثورة ، تؤكد أن الأقوياء سيحققون تفوقا ربما أخرجهم من دائرة الجنس الواحد التى تجمعهم الآن مع الذين سيحكم عليهم بالتخلف والانهيار ..

---

(١) «ب»

ان الهوة التى تتسع يوما بعد يوم بين الأقوياء والمتخلفين ، ستتحول ، وقريبا جدا ، الى فارق لا يمكن تخطيه .. تماما كما حدث للانسان والقردة العليا ..

وفى مثل هذا الصراع ، لا عاصم لنا الا التمسك باسلامنا ، والاصرار على عروبتنا ..

لنبرز شخصيتنا الاسـلامية العربية المستقلة التى تصـمد للعواصف ، وتقهر الغزاة .. وتنتزع ، قوة واقتدارا ، مكانها تحت الشمس ..

ان لدينا كل عناصر القوة ..

فقط ..

لنؤمن بأنفسنا .. فقد شهد لنا البارى عز وجل ..

(كنتم خير أمة أخرجت للناس)

وما عرفت البشرية فى تاريخها ، يوما أجمل ولا أشرق من يوم كنا نحن شمسه .. وان بها لشوقا وحنينا لشمس ذلك اليوم ، تبدد عنها أعاصير شتاء طويل .. وظلاما يلتهب بما يشبه الضياء وما به قبس من نور ..

فأشرقى يا شمسنا العربية ..

ورفرفى يا راية محمد ..

مايو ١٩٦٥

مكتبة أحمد فوزي

للمؤلف

مصريون لا طوائف

١٩٥٠

* * *

الجبهة الشعبية

١٩٥١

* * *

قانون الأحزاب

١٩٥٢

* * *

روسى وأمريكى فى اليمن

١٩٥٧

* * *

شرف المهنة

١٩٦٢

* * *

الغزو الفكرى

١٩٦٤

الطبعة الثانية ١٩٦٦

* * *

الماركسية والغزو الفكرى

١٩٦٥


الدار القومية للطباعة والنشر

هذا الكتاب

- يرى أننا نخوض الحرب الصليبية الثالثة .. وان الغزو الفكرى هو سلاح الغرب الصليبى فى هذه الحرب .

- يناقش علاقة الماركسية بهـذا الغزو الفكرى من ناحية الدين والقومية .

- يستعرض موقف الشيوعيين من قضية فلسطين والوحـدة العربية .

- يرى أن الصراع بين الصـين وروسيا هو صراع قومى لا أيدلوجى .. وبه انتهت وحدة المعسكر الشيوعى .

- يرى أن القيم الاسلامية هى التى تحقق الحرية والمساواة وهى القادرة على بناء حضارة للعرب .. وتحقيق مع الشعوب الافريقية .



الثمن ٣٥ قرشاً